اليونسكو

ولقاء الثقافات بين الشعوب

بقلم اديب اللجمي

ظلت شعوب الانسانية ، طوال تاريخها الموغل في القدم ، وحتى عهد قريب ، تعيش مغلقة على ذاتها . فلكل أمة كيان تحرص عليه حرصها على وجودها ، منه تأخذ ، وفي نطاقه تنشىء أجيالها . وكانت الصلات الفكرية بين الشعوب محصورة في إطار نخبة من الباحثين وأهل الفكر ، هم قلة في الأصل ، بالقياس الى الجماهير الكبيرة التي لم تكن تلقى من المعرفة إلا مايحمله اليها تراث الأمة المنقول اليها في أشكال عادات وتقاليد وقيم روحية واجتماعية مختلفة .

(١) بمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) .

وظلت العلاقات بين الشعوب متأرجحة بين جذب ونبذ ؛ فهذه تسعى الى ابتلاع تلك ، وذاك المجتمع يريد أن يذيب هذا المجتمع في كيانه .

واستمرت العلاقات الانسانية تتزايد في نطاق التفاعل بين كيانات مغلقة ، وأنانيات ، واهتمام ضيق بالمصالح . واصبح التنافس بين الدول ، القوية منها خاصة ، عاملاً هاماً من عوامل اثارة الحروب وتهديد الناس بالفناء . وازداد التفاوت بين الأقوياء والضعفاء من الشعوب ، واستتبع ذلك يقظة روح التسلط عند الأولين على الآخرين . وجاء الاستعمار ، وما حمل معه من حروب ودماء وهدر للكرامة وتمييز بين البشر . وجاء في الوقت ذاته الصراع بين الجشعين أنفسهم ، وأصبحت الحرب ، كما اصبح التهديد بالحرب ، في اتساع مستمر في مجالي الشمول والعمق ، الى ان رزحت البشرية في مدى أقل من خمسين سنة تحت أهوال حربين عالميتين ، حملتا من الآلام والشقاء والبؤس الى الانسان ماجعله يخشى ان تكون « ارادة التسلط » و « شريعة الغاب » والقتل والتدمير هي القوى الغريزية الفعلية الوحيدة التي تتحكم في مصائر الشعوب وحركة التاريخ لإبادة الحياة كلها من سطح الأرض .

واحتلّ الخوف على مستقبل الانسان والحضارة ، المقام الأول من اهتمام أهل الفكر والحكمة . وظهر للملأ ان مجرد عقد معاهدات الصلح بين شعب وآخر ، بين دولة وأخرى ، لاتؤدي بذاتها الى تحقيق الأمل المرجو في اشاعة السلام بين الناس ، وتمتين روح التسامح والتعاون فيما بينهم . كما وضح أن ازالة النزعات العدوانية بين الافراد والشعوب ، على حد سواء ، لاتكون باستعمال القوة ، بل بتنمية الشعور بالحق والكرامة ، وبتثقيف الناس وفتح عقولهم على حضارات الامم للتعرف عليها واحترامها ، وبتربية الاجيال الناشئة

على معاني الإخاء والتضامن ، والعمـــل على قهر الحقد ، واشاعة المساواة بين الناس .

* * *

واجمعت الشعوب على وجوب انقاذ الانسانية من نذير حرب قد تقع في المستقبل ، فتأتي على الانسان وكل معالم الحياة .وازداد الناس اقتناعاً بأن صون السلام لايتم باستمرار التسابق في التسلح ، بل بالجوء الى التفاهم ، **وبالاعتراف بحق كل البشر في ان يعيشوا أحراراً ، وأن ينالوا حظهم من المعرفة والعمل والعيش الكريم .**

وقامت منظمة الامم المتحدة لتعمل على تقوية التعاون الدولي في ازالة الخصومات بين الشعوب ، واحلال التفاهم بينها محل النزاع ، وتمتين الحوار السلمي بين مختلف الفرقاء ؛ إذ لاسلام على الارض إلا بازالة اسباب الفرقة والنزاع بين شعوبها . ولكن الدفاع عن السلام لايتحقق بمجرد تقليص الاندفاعات الجامحة عند الدول القوية المتسلطة . **ان اقرار السلام يبدأ بتكوين نفوس البشر تكويناً جديداً ، إن أمكن** . ان يبدأ بالتقاء الناس حول مجموعة من الاهداف المشتركة وايمانهم بمجموعة من قيم الخير والمحبة والتضامن . ومثل هذه الأهداف والقيم ، يجب أن نعمل على غرسها في النفوس والعقول .

ولأول مرة في تاريخ الانسانية ، تنطلق فكرة جديدة تستهدف الحفاظ على السلام العالمي ، لا باتباع طرق الحوار السياسي ، واساليب المفاوضات الديبلوماسية ، **بل باتباع اسلوب انفتاح الثقافات الانسانية على بعضها ، وانفتاح عقول البشر ، لتتمكن من أن تتعايش مع بعضها ، وتتبادل حصيلة ابداعها ،**

ويتمكن شعب بالتالي من تقدير ثقافة الشعوب الاخرى وجدارتها في الاسهام بالبنيان الحضاري .

ان قيام منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) هو هذه الفكرة الجديدة التي تطرح لأول مرة في تاريخ الانسان مفهوماً جديداً لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الشعوب في سبيل توفير السلام لها ، ومساعدتها على ان تتطور وتتقدم .

لقد بدأت منظمة اليونسكو مهمتها منذ عشرين سنة بالضبط ولقد كانت واعية لها ، رغم أن الوسائل التي تملكها لتحقيقها مازالت مفتقرة الى مزيد من الكمال . وقد جاء في نص ميثاق انشائها :

« انه لما كانت الحروب تولد في نفوس الناس ، فوسائل الدفاع عن السلام يجب ان تقوم في نفوس الناس كذلك » .

وان عدم تفهم الشعوب بعضها بعضاً كان باستمرار ، منذ فجر التاريخ ، باعثاً على الريب وسوء الظن بين الامم ، فأدت اختلافاتها في كثير من الاحيان الى حروب . وإن الحرب الكبرى الاخيرة وقعت من جراء انكار المثل العليا الديموقراطية للكرامة والمساواة واحترام الانسان ، ومن جراء الرغبة في أن يحل محلها ، بواسطة استغلال الجهل والمزاعم ، مبدأ عدم المساواة في الاجناس والناس .

وإن كرامة الانسان تستلزم نشر الثقافة والتربية لجميع الناس ، بقصد تحقيق العدالة والحرية والسلام . ففي كل ذلك واجبات مقدسة لجميع الشعوب ، يلزمها تأديتها بروح من التعاون المتبادل .

وإن إسلاماً يقوم على اتفاقات الحكومات ، اقتصادية كانت أو سياسية ،

لايؤدي الى رضى اجماعي دائم صادق بين الشعوب ، وانه يجب تبعاً لذلك ان يقوم هذا السلام على اساس من التضامن الفكري والادبي للانسانية .

فلهذه الاسباب ، تقرر الدول الموقعة على هذا الاتفاق ، وهي عازمة على تأمين حرية التربية لجميع الناس ومساواتها بينهم ، وحرية تتبع الحقيقة الموضوعية وتبادل الآراء والمعلومات ، ان تنمي العلاقات بين الشعوب ، بقصد ازدياد التفاهم بينها ، والحصول على أصدق وأدق مايمكن من المعلومات عن عاداتها .

والخلاصة : إن الدول المذكورة ، تنشيء بهذا الاتفاق منظمة هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، لتصل تدريجياً ، بفضل تعاون الأمم في ميادين التربية والعلم والثقافة ، الى اغراض السلام الدولي والرخاء المشترك للانسانية ، أغراض انشئت من أجلها هيئة الأمم المتحدة وأعلنها ميثاقها . »

فالقضية التي قامت بسببها اليونسكو ليست بالهينة ولا بالقصيرة الأجل. لقد قضت الشعوب قروناً طويلة ، كان خلالها كل منها يجهل أو يتجاهل الآخر ، بل كان خلالها كل منها ينكر على الآخر ثقافته وحضارته واسلوبه في الحياة . فطبيعي ان تسود لديها نزعة الخصومة على نزعة التعاون ، وطبيعي ان يكون التعصب لديها أقوى من التسامح . ولكن انتشار التقنية في العالم ، وما استتبع من سهولة اتصال الناس ببعضهم ، ونمو المواصلات ، واستمرار تشابك الروابط الاقتصادية والتجارية ونحوها ، اصبح يفرض على البشرية وجوب تواصل الثقافات وتعاونها . وليس قصد اليونسكو ان تتوصل يوماً الى ان تتخلى الأمم عن حضاراتها الخاصة لتتبنى حضارة مشتركة واحدة . ان تنوع الثقافات وتعددها واقع أصيل ،

واقع يجب الحرص على بقائه واستمراره واغنائه . **ولكن تعايش الثقافات هو المطلب الذي يجب ان نعمل على تحقيقه .وخطأ كبير ان نتصور لثقافةمعينة قيمة مطلقة ، نقيم في ضوئها سائر الثقافات الأخرى** . لقد وقع الغرب في خطأ مزدوج : فقد اعتقد ومازال يعتقد الى حد كبير ، ان ثقافته ارقى سائر الثقافات واكثرها صلاحا للحياة والتطور ، واعتقد في الوقت ذاته بأن عليه ان يفرض هذه الثقافة على جميع شعوب العالم . وواضح ان اكثر شعوب الشرق وافريقيا قد سقطت في فخ هذه الخديعة . **فقد دخلت الى النهضة الحديثة،وهي على يقين ان تقدم البشر يسير في الاتجاه الذي دلها عليه الغرب** . وعلى الرغم من التحرر السياسي الذي نالته هذه الشعوب ، فقد ظلت تغذي استقلالهامن موارد غربية . ماهي هذه الموارد ؟ ان الغرب يعطي خاصة مايتوفر عنده ، وماله المنزلة الأولى ، ألا وهو الاساليب التقنية . فقد ترك الغرب روح حضارته الخاصة ومبادئها تغور في عصر التقنية ، ان انتصاراته ميكانيكية . ومايقدمه قدوة ، او ماهو قادر على تلقينه ، انما هي تلك الانتصارات . والشرق الذي يدّعي اجتياز مراحل تخلفه — بالنسبة الى التقدم حسب المفهوم الغربي — يظن ان هذه الانتصارات هي مايكرس قيام أمة متحضرة .

هذه الخديعة فضحها اكثر من مرة مفكرون من الغرب والشرق . كما ان اليونسكو قد عقدت لموضوع تعايش الثقافات اكثر من موتمر واكثر من لقــاء . فحلقة البحث التي قامت في نيودلهي سنة ١٩٥١ والتي ضمت شخصيات فكرية عالمية ، انتهت الى هذه النتيجة .

ولئن صح ان العلم وتطبيقاته بنت العقل ، فليس عسيراً على الانسانيةأن تتبنى قيم العلم . ان المعرفة العلمية مشاع بين الجميع ، ونتائج العلم يمكن أن

تنشر آلاءها على جميع الناس . وباستطاعة منظمة اليونسكو أن تسهم في نشر هذه المعرفة العلمية بين الشعوب التي ماتزال تعيش على أنماط من التراث الخرافي السحري . ان تقارب العقول من بعضها يتطلب بلوغها جميعاً مستوى واحداً او متقارباً من النمو والنشاط . واذا كان في مكنة العلم ان يقرب العقول ويوحدها، فان في مكنة تعايش الثقافات ان تقرب المشاعر بين الناس .

كيف السبيل الى ذلك ؟

ان من النتائج التي توصلت اليها منظمة اليونسكو من خلال إسهام المفكرين والباحثين في المناقشات واللقاءات التي نظمتها لهم هذه المؤسسة الدولية ، « ان الكائن البشري حصيلة التربيـــة . والتربية وسيلة مثلى للتقريب بين الشعوب . فعصرنا الذي يتسم بحضارة عالمية مؤلفة من ثقافات اصيلة مميزة لكل امة ، يحتاج الى مذهب تربوي قومي ، لا يرتكز على ثقافة وحيدة بعينها، بل على ثقافة انسانية اوسع نطاقاً ، قائمة على فهم مبادئ الثقافات البشرية . وان كل امة بوصفها عضواً مستقلاً في هذه الحضارة العالمية، تأتي بشخصيتها ومفهومها الخاص للحياة الى مجتمع الأمم هذا » .

ان ما يهمنا هو أن نتبين الميزات المختلفة ، والمكملة بعضها بعضاً ، عند الشعوب المشتركة في هذا المجتمع . « **فانعزال الثقافات يؤدي الى بعض الحالات المتطرفة : نمو مفرط عند بعضها ، او توقف في النمو عند بعضها الآخر** » . على ان مراحل الأزمة تلك يجب ان توجه المربي الى التحسينات الواجب اتخاذها في المذهب التربوي . ويحصل ايضاً في حالات استثنائية ، ان يغير هذان المظهران التربويان علاقاتهما ، فيصبح الاول نيابة ؛ ويكون ذلك ظاهرة أزمة ثقافية .

« ان التربية تشكل اليوم المعضلة المركزية للشرق والغرب على وجه

سواء : تربية الوجل التقني من أجل فعالية عمله في نطاق المجتمع ، تربية جميع الافراد دون تمييز لجعلهم قادرين على التطور والقيام بدورهم كرجال احرار ؛ واخيرا تربية الانسان بصورة عامة لكي يتعلم السيطرة على فتوحاته الخاصة ، وتكون له في النهاية ، حكمة . وهكذا يترتب على التربية ان تنزع الى خلق الانسان القادر ، في كل ثقافة ، باضطلاعه بقيمه ، وبمعرفته تجديدها ، على أن ينقذ في كل لحظة انسانيته المهددة باستمرار ، بظهور عناصر جديدة في حياة المجتمعات . »

* * *

بعد عشرين عاماً على انشائها ، ماتزال اليونسكو تتصدى لمشكلات ، هي من السعة والخطورة والصعوبة ، لاتكفي لمواجهتها جهود هذه المنظمة وحدها بل تتطلب عوناً صادقاً من جميع العلماء والمفكرين والاختصاصيين في العالم كله ، ومن الحكومات والدول ليعملوا بروح من التضامن الجدي على تحقيق المهمات ، كلها أو بعضها ، التي قامت اليونسكو من اجلها . ان عالم اليوم مازال ينوء بثقل الامية ، وثقل التمييز الثقافي ، واحتكار العلم والمعرفة . وعالم اليوم مازال يمارس تربية الاجيال في نطاق مختلف انواع التمييز العنصري والفكري بل والاخلاقي . ولا يكفي لبلوغ السلام وتحقيق الكرامة للانسان ان نهتف بهذين الشعارين ، ان العمل في سبيلهما شاق ، طويل الأجل ؛ ولكن كل انجاز تحققه اليونسكو او تحققه الانسانية ، في هذا الميدان ، مهما يكن ضئيلا ، هو أمل يحفزنا جميعاً الى مزيد من الجهد لتحقيق انجازات اكبر وأجدى. فالانسان الذي صنع الحرب والعنف والعدوان ، قادر على ان يصنع المحبة والسلام والرخاء . فالى اليونسكو تحية تقدير على ماتبذله من جهود في هذه الميادين . ومازلنا نرجو ان يصبح نشاطها في المستقبل اكثر اتساعاً واكثر فائدة مما هو عليه حتى اليوم .

تطور علم الاستشراق

في المانية

للمستشرق الألماني غونتر كرال
Günther Krahl

ان الغاية من هذا المقال التعريف بشكل مقتضب بأعمال أبرز ممثلي العلوم العربية والاسلامية في المانيا .

استهل المقال بالملاحظات التي ابداها الدكتور كامل عياد في محاضرته التي نشرت في مجموعة « التاريخ والآثار » تحت عنوان « المستشرقون والتاريخ العربي » ويتساءل الدكتور عياد : متى وكيف بدأ الاستشراق ؟ ولماذا شعر الاوربيون بالحاجة الى دراسة (الشرق) على وجه التخصيص ؟ ثم ماذا يقصد بالشرق ؟

(*) المستشرق غونتر كرال أستاذ اللغة العربية في جامعة ليبزغ .

ويجيب المؤلف عن تساؤلاته هذه بامعناه، ان الدافع الى تطور وتشجيع هذه العلوم يكمن في الرغبة بتطبيق الاهداف السياسية والاقتصادية للاستعمار الغربي في هذه البلدان ، والشرط الأولي لهذه الغاية كان تعلم لغة هذه الشعوب. وعدا ذلك فقد كان للبعثات التبشيرية بعض الاهداف الدينية الخاصة ، تدور حول الرد على الاسلام وتنشيط المذاهب المسيحية .

ونحن بدورنا نوافق على استنتاجات الدكتور عياد وخاصة بما يتعلق بالفترة الاولى من الاستشراق في هولندا ، وانكلترا ، وفرنسا ، أي في دول يعود تاريخ توسعها الاستعماري الى مئات السنين[1] .

يعود بدء الاهتمام بالعلوم العربية في المانيا الى القرنين السادس والسابع عشر دون ان يكون لدراسات ذلك الحين المستوى الذي كانت عليه هذه العلوم في بلدان مثل هولندا وفرنسا وانكلترا وايطاليا . فالأمر لم يتعد بعض علماء الدين الذين درسوا العربية الى جانب علومهم الأخرى .

---

(١) الدكتور عياد في المرجع السابق (صفحة ١٧٤ مثلا) يشير بحق الى تأسيس جمعية البنغال الآسيوية Asiatic Society of Bengal والى ان مصالح روسيا القيصرية في آسيا دفعت منذ فجر القرن التاسع عشر الى الاهتمام الموسع باللغات الشرقية . واذا كان الدكتور عياد قد حدد نهضة العلوم الشرقية في فرنسا بفترة احتلال الجزائر وتونس ، فلابد لنا من توقيت هذه النهضة بأبعد من هذا التاريخ . ففي عام ١٧٩٥ تأسست بموجب قرار اتخذته الجمعية الوطنية الفرنسية (المدرسة الاختصاصية للغات الشرقية الحية l' Ecole spéciale des langues orientales vivantes) وكانت تضم كراسي دراسية للغة العربية الفصحى والعامية واللغتين التركية والفارسية. والهدف من التدريس لم يكن بالطبع تعليم الطلاب هذه اللغات وحسب بل احاطتهم الى جانب ذلك بعلوم اخرى هامة بالنسبة لتكوين ملاك يستوعب علاقات فرنسا السياسية والاقتصادية بالشرق. [راجع من أجل ذلك : Johann Fuck (جوهان فوك) «Die arabischen Studien in Europa Leipzig 1959» في المرجع السابق صفحة ١٣٤ — ١٤١ ومابعدها و١٥٥ ومابعدها] .

والنهضة العلمية التي غزت المانيا في مطلع القرن الثامن عشر دفعت الى الحكم على الاسلام من زاوية مجردة وعلمية وظهرت في اثر ذلك دراسات لم تكن كسابقاتها مقيدة بالاحكام الدينية المسيحية . ففي القرن الثامن عشر برز العالم الالماني الاول (جوهان جاكوب ريسك Johann Jakob Reiske)[1] الذي رفع دراسة اللغة العربية الى مستوى العلوم بعد ان اكد اهميتها العلمية . ففي عام ١٧٤٢ اصدر (ريسك) أطول قصيدة من القصائد المجموعة في كتاب « المعلقات » لطرفة ، بالعربية الاصلية (غير المحركة) مع ترجمتها اللاتينية وتعليقات النحاس عليها .

وفي تفسيره للشعراء العرب غادر (ريسك) نهائيا الطريق الموروثة المشربة بالتأويلات الدينية وطرق في عمله الطليعي هذا سبلا ماتزال تسلك .

وكما هو متوقع فقد تعرض العالم الى استياء ومقاومة الدوائر الدينية مما ادى الى منعه من اجتياز كلية الفلسفة رغم كونه اقدر الناس في اللغة والادب العربي واضطراره الى دخول كلية الطب وتأليف اطروحة الدكتوراه في تاريخ الطب .

ونذكر من مؤلفات (ريسك) كتاب « المدخل في التاريخ الاسلامي » الذي استند فيه كثيراً على « تاريخ البشر » لأبي الفداء . وهنا لا يظهر المؤلف العلاقات المتبادلة بين الشرق والغرب وحسب بل — وهذا الجديد عنده بالمقارنة مع الاحكام الدينية المسبقة — يبرز بالدرجة الاولى المعارف التي يستطيع مؤرخو الغرب الحصول عليها من دراسة الشرق . ويلح (ريسك) بشكل خاص على ان تاريخ الشرق من حيث غنى المحتوى ليس متأخراً عن تاريخ الغرب . وعدا هذا المدخل

---

(١) حول (ريسك) وغيره ممن سيأتي ذكرهم من المستشرقين الالمان راجع بشكل مفصل مصدر (فوك) السابق حيث يشير الى ادبيات تتعلق باشخاصهم ومؤلفاتهم ورسائل تأبينهم .

كتب (ريسك) العديد من المقالات والدراسات وترجم فصولاً من كتاب ابي الفداء الآنف الذكر . ويتضح من هذه المؤلفات ان العالم استخدم معارفه باللغة العربية للبحث في التاريخ ولهذا عرف بكونه اول من اعطى التاريخ الاسلامي مكانه اللائق في المانيا . ومما يدل على سبق (ريسك) لزمنه ، وعلى ان الاستشراق بقي في ظل الحكم المطلق في الاقطاعيات والدويلات الصغيرة تحت تطاول رجال الكنيسة ، هو ان الأمر تطلب مرور نصف قرن على وفاة (ريسك) عام ١٧٧٤ حتى يظهر من يخلفه ويتم عمله ونعني بذلك العالم الذي لايزال صيته ذائعاً : جورج ويلهلم فرايتاغ Georg Wilhelm Freytag (١) الذي تخرج مع زميله (هينريخ لبريخت فليشر Heinrich leberecht Fleischer) مؤسس المدرسة اللايبزيغية على يد ابرز علماء اوربا في العربية في ذلك الحين سيلسفتر دو ساسي Silvestre de Sacy وقد ابدى فلايشر في دراساته اهتماما خاصا بالجوانب الشكلية لعلم اللغة وعالج مواضيع خاصة بالقواعد والمفردات والكلام الدارج . ومقالاته المجموعة تحت عنوان « مؤلفات صغيرة » تدل على ثقافة عالية ومعرفة واسعة ، وعلى ان المؤلف متمكن من العربية الكلاسيكية والحديثة وعالم بالتاريخ الاسلامي والفقه وعلم الجغرافيـــة . ونحن لانوفي (فلايشر) حقه الكامل اذا لم نذكر نشاطه في الحقل التعليمي . فعلى يده تخرج جمع كبير من الطلاب ينتسبون الى قوميات عديدة وان المعارف التي تلقوها من استاذهم اصبحت لعدد غير قليل من هؤلاء الطلاب منطلقا للمضي فيما بعد بنشاطهم العلمي الخاص .

---

(١) واشهر اعماله هي تأليفه لكتاب « lexicon Arabico - Latinum » واصداره كتاب « الحماسة » لابي تمام وتعليق التبريزي عليه ، وثلاثة مجلدات تضم الامثال العربية وكتابته عرضا لقوانين الشعر العربي .

في القرن التاسع عشر زادت محتويات المكاتب الاوربية من المخطوطات العربيـــة وكان ذلك حافزا لبدء نشاط مطبعي كبير يهـــدف الى وضع هذه المخطوطات في متناول الناس. ويحتل فريد ريك ووستنفلد Friedrich Wüstenfeld – الذي كان معاصراً لفلايشر – المكان البارز بين الرجال الذين اشتهروا في هذا الحقل من العلوم العربية . ونحن مدينون له باصدار عدد كبير من الكتب الهامة في التاريخ الاسلامي والجغرافيا وبينها كتب معروفة واعني بذلك « كتاب وفيات الاعيان » لابن خلكان و «السيرة » لابن هشام و « سيرة مدينة مكة » و « كتاب المعارف » لابن قتيبة و « كتاب الاشتقاق » لابن دريد و « تهذيب الاسماء واللغات » للنووي و « معجم البلدان » لياقوت و « معجم ما استعجم » للبكري و « غرائب الموجودات » للقزويني . وليس ذلـــك كل نشاط (وستنفلد) ، فقد ترجم الى الالمانية مقتطفات عديدة من مصادر عربية و كتب لها توضيحات هامة .

وبعمله هذا وضع (وستنفلد) مجموعة من الكتب الضرورية لفهم التاريخ القديم وجغرافية البلدان العربية في خدمة الاستشراق وعلم التاريخ . ونشاطه يستحق تقديرا اكبر لكونه احرز هذه النتائج الباهرة بالرغم من انشغاله في الجزء الاكبر من يومه في اعمال المكتبة .

وفي عـــام ١٩٠٦ جرى تكريم ذكرى المستشرق ثيودور نولدكه Theodor Noldeke باصدار مجلدين مهديين له بمناسبة عيد ميلاده السبعيني ، وهو كان يعتبر من جميع ابناء مهنته بانه اكبر مستشرق في عصره . فقد كانت له ذاكرة عجيبة وكان يلم بالامور بسرعة ودقة كبيرتين ويتحلى بامكانية لايتسرب اليها الشك في استخلاص الظاهرات الاساسية من غير الاساسية . ورغم انه كان

يعارض وصفه بعبقري ـ اذ كان يرغب باعطاء هذا اللقب لزميله في المهنة غولد زاير Goldziher و وولهاوسن Wellhausen ـ فان مؤلفاته الصاغة بمنتهى الدقة تكفي برهاناً على ان العالم كان يفهم موضوع بحثه حتى اصغر جزئياته .

فبأي تقرير يجب علينا ان نذكر الرجل الذي بالرغم من ضعف بدنه ترك لنا مايقارب ٧٠٠ دراسة في معالجات نقدية [١] ! ولايمكن نسيان ان نولدكه الضالع بالعلوم العربية انما كان يحيط باهتمامه كل اللغات السامية الاخرى، لا بل انه وضع العلوم السامية على قواعد متينة ثابتة .

ونحن في هذا المجال لايسعنا الا الاكتفاء بذكر أهم مؤلفاته التي منها « القواعد السريانية » و « القواعد المندية » و «حول قواعد العربية الكلاسيكية» و « تاريخ القرآن » و « تاريخ العرب والعجم في عهد الساسانيين » وهذا الاخير هو طبعة المانية لجزء من « تاريخ الرسل والملوك » للطبري . ثم مقالات حول علوم اللغات السامية، وترجمة وشرح المعلقات وغيرها من الكتب . وجدول مؤلفاته يدل على ان معظم نشاط نولدكه كان ينصب على العلوم العربية والتاريخ والعلوم السامية ، والى جانب ذلك كان يبدي اهتماماً باللغات التركية والسنسكريتية ايضاً .

منذ القرن الماضي اخذت تنمو الحاجة الى معجم يستند الى المصادر العربية ، واخذ اوغست فيشر August Fischer الذي خلف (فلايشر) في كرسي تدريس اللغة العربية في لايبزغ على عاتقه البدء بهذا العمل . والمقالات العديدة التي تؤكد المام فيشر Fischer بمختلف استعمالات اللغة العربية ـ من

(١) راجع Snouck Hurgronje مجلة « الجمعية الألمانية لشؤون الشرق » رقم ٨٥ ١٩٣١ صفحة ٢٣٩ .

اقدم نصوصها حتى عاميتها الحالية ـ وبمفرداتها ، تدل على أنه كان قادراً على القيام بهذا العبء .

وهكذا دعته وزارة المعارف المصرية ـ قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة نزولاً عند رغبة المجمع اللغوي المصري الذي كان فيه فيشر عضواً منــذ تأسيسه [١] ـ وكلفته بتهيئة مخطوطة معجم كبير للعربية الكلاسيكية وبالاشراف على طبعه . وكان عليه ان يستند في عمله هذا على مجموعة من بطاقات المفردات البالغ عددها المليون بطاقة والتي كانت تجسد عملاً معجمياً دام عشرات السنين . ولكن الحرب العالمية الثانية وما تبعها من صعوبات اوقفت هذا العمل الذي بدأ بنجاح وحال دون اتمامه . والآن تظهر على ايدي رجال آخرين ثمار النشاط الكبير الذي ابداه فيشر في هذا المجال .

ومن أجل الحكم على شخصية فيشر واعطاء امكانيته العلمية حقها من التقدير تكفي الاشارة الى انه كان عضواً عاملاً أو شرفياً في العديد من الاكاديميات والهيئات العلمية العالمية بما لم يحظ به احد غيره . وان اسم المدرسة اللايبزيغية مقترن باسمه اقتراناً وثيقاً .

وكما هو الحال في العلوم الاخرى، كذلك في علم الاستشراق ،فكلما اتسع مجاله وزادت مادة البحث فيه صعب على شخص واحــد ان يلم بجميع جوانبه ويستقصي معاضله وان يضع لها حلولاً علمية وهكذا اصبح التخصص موضوع الساعة في علم الاستشراق أيضاً .

---

(١) وبعده دعي لعضوية هذا المجمع اينو ليتمان Enno Littmann وهنــاك سام الاثنان معا في عمل لجان عديدة . وقبــل بضع سنوات اختير الاستاذ (فوك) من جامعة هاله في المانيا الديموقراطية عضواً مراسلا للمجمع اللغوي المصري .

ومنذ اواخر القرن المنصرم نمت فروع مستقلة خاصة بالايرانية والتركية والآشورية والعربية والسامية عامة، وفروع اخرى لم يحاول العلماء المختصون فيها الخروج كثيراً عن نطاق حدودها . وداخل العلوم العربية ايضاً ظهر نوع من التقسيم للعمل بظهور فرع خاص بالعلوم الاسلامية . وفي هذا المجال اشتهر في المانيا مارتن هارتمان Martin Hartmann [1] .

وبشخص هارتمان ، نواجه المستشرق الالماني الاول الذي لم يقتصر في نشاطه على البحث في فجر الاسلام وآدابه والشعر العربي القديم – رغم كونه انجز الكثير في هذه الميادين – فانه اهتم بشكل خاص بالاســـلام في العصور الاخيرة وتتبع التغييرات التي لحقته في العالم الاسلامي خلال القرن الماضي والقرن الحالي .

ولم تكن غاية هارتمان الوحيدة فهم الاسلام بشكل عام وايجاد العلاقة الحتمية التي تربط حاضره بماضيه انما الذي كان يشغله بالدرجة الاولى هو رغبته في نشر معلوماته ومعارفه في جمع اكبر من ابناء قومه . وهكذا برز هارتمان ككاتب لمجموعة كبيرة من المقـــالات وكواضع لكتاب بعنوان « الاسلام تاريخ ومعتقد وشرع » وكتاب آخر بعنوان « خمس محاضرات عن الاسلام» وكتب اخرى عديدة . وهو لم يقتصر في دراساته على الاسلام في البلاد العربية بل توسع في ابحاثه وشمل فيها حتى الصين وغربي افريقيا . ونحن مدينون لقلمه بالكثير من الدراسات منها مايعالج الصحافة العربية والادب الكردي ونظام الادارة في

---

(١) عدا (فوك) المذكور فيما سلف راجع وولفانغ رويشل Wolfang Reuschel تحت عنوان « نشاط وشخصية المستشرق الالماني هارتمان » في مجلة جامعة كارل ماركس في لايبزيغ العدد الخاص رقم ٢ – ١٩٦٣ .

تركستان ونظام المكاتب في البلدان الاسلامية وعن اناشيد الصحراء الليبية ونقوش الجنوب العربي ودور المرأة في الاسلام وحركة النساء التركيات . هذا اذا اكتفينا بذكر النذر من انتاجه العلمي(١) .

وليس بوسعي الآن ان اذكر بان هارتمـــان شغف طوال عمره بسورية . وان هذا البلد العربي قد حظي باهتمام خاص من قبله . وتدل على ذلك مؤلفاته التي لااستطيع ذكر سوى اليسير منها مثـال ذلك « الصحافة السورية ١٨٨٢ - ١٨٨٣ » و « لواء اللاذقية » و « لواء حلب » و « الخطوط الحديدية في اواسط سورية » و « النهضة الاصلاحية في سورية » وغيرها .

وملاحظاتنا هذه عن هارتمان تبقى ناقصة اذا لم نذكر انه هو الذي بادر بالاقتراح وساهم بتأسيس الجمعية الالمانية للعلوم الاسلامية التي وضعت نصب عينيها دراسة العلاقات الحاضرة في البلدان الاسلامية . وعن هذا العالم كتب أحد العارفين في الاسلام في المانيا قائلاً : « ان هارتمان هو الالماني الاول والزمن طويل الألماني الوحيد الذي درس نظم الدولة والنضالات السياسية والعلاقات الثقافية في الشرق الحديث وحاول رفع هذه الظاهرات من مستوى البحث الصحفي الى اعالي الدراسات العلمية والتاريخية »(٢) . وكان هارتمان على صلة وثيقة بمواضيع الاسلام ونظامه في الدولة الحديثة . وهو لم يدرس الاسلام عن بعد بل كان يعيشه ويشعر باصغر دقائقه . ومن فهمه الواسع لماضي وحاضر الاسلام كان يستطيع استنتاج امور تتعلق بمستقبله .

---

(٧) وجاشكه يعدد لهارتمان في مجلة « Welt des Islams » ١٩٤١ الصفحة ١١٥ ومابعدها مايقارب ٢٠٠ عنوان مقالة هامة .

(٢) راجع عند (جاشكه) Welt des Islams الرقم ٢٣(١٩٤١)صفحة ١١١

لايكاد يتسع وقتنا لاستعراض كل العلماء الالمان الذين تركوا وراءهم آثارا قيمة في العلوم العربية . لذلك اغض عن ذكر الشاعر والمستشرق الالماني فردريك روكرت Friedrich Ruckert الذي نقل مقامات الحريري شعراً الى الالمانية ، والمؤرخ العبقري جوليوس ولهاوسن Julius Wellhausen الذي خلد نفسه بكتاب تاريخي عن حكم الامويين في سورية تحت عنوان « الدولة العربية وسقوطها » والذي ضمنه احكاما عن هذه المرحلة من التاريخ العربي لاتزال تحتفظ بقيمتها العلمية حتى الآن . وكذلك لايسعني الا ذكر ادوار ساشار Eduard Sachar الذي ساهم في اصدار « كتاب الطبقات » لابن سعد والذي كان بارزاً في معرفة الفقه الاسلامي . ولاذكر مترجم كتاب الف ليلة وليلة اينو ليلمان Enno Lillmann وكاتب دراسات قيمة عن خطوط سامية عديدة ومؤلف مايزيد على ٥٠٠ مقالة .

وفي مجرى الحديث عن المستشرقين لا بد من الوقوف عند الشخصية الفذة كارل بروكلمان Carl Brockelmann . فليس هناك من طالب يدرس العلوم العربية لايعرف بروكلمان من خلال كتابه المترجم الى العربية ايضاً « تاريخ الأدب العربي » . وليس من عالم في ميدان الأدب العربي يستغني عن المؤلف المذكور كسند اساسي لنشاطه . فلنذكر ان بروكلمان في كتابه هذا سجل جميع الخطوط العربية المعروفة حتى الآن ، وعدد كل المخطوطات العربية الموجودة في جميع مكاتب العالم ودون عدد طباعاتها واعطى لمحات عن حياة مؤلفيها .

ولا بد لرجل يقوم بهذا العمل الجبار من ان يتحلى بذاكرة فريدة في نوعها تحتفظ لكل مايقرأ بدقة لا يتسرب اليها الشك ولا بد له ان يكون صاحب مقدرة ممتازة على جمع المواد المقروءة الكثيرة والمتشعبة . ولم يكن « تاريخ الادب العربي » المؤلف الوحيد الذي خلفه بروكلمان لعلم الاستشراق . فكتبه

« مقارنة في قواعد اللغات السامية » و « القواعد السريانية » و « القواعد العربية » و « قواعد التركية الشرقية » و « تاريخ الشعوب والدول الاسلامية » ومجموعة كبيرة من الدراسات والملاحظات مختلف جوانب الاستشراق تدل على ان بروكلمان يجسد البحاثة الذي استطاع الاحاطة بعلم الاستشراق كله .

ويؤكد ذلك عدد كبير من الطلاب الذين درسوا على يده اللغة والآداب العربية واولئك الذين سمعوا محاضراته عن اللغات الاكادية والقبطية والحبشية وعن النقوش السامية الشمالية وعن الوثائق العثمانية القديمة ومواضيع اخرى عديدة .

بقي بروكلمان طوال حياته صديقاً حميماً للعرب ـ وهذا مايشهد به العديد من الكتاب العرب البــارزين الذين كانوا على اتصال دائم بهم ـ وكان يعطف بحرارة على حركة التحرر العربية الموجهة ضد الاستعمار الاوربي . وقد كتب حول هذا الموضوع في مقدمة كتابه (تاريخ الشعوب والدول الاسلامية) : « انها لجرأة خاصة التصدي لعرض التطورات السياسية ـ التي ماتزال في حركة مستمرة ـ في الشرق الادنى الذي يتحرر من الضغط الاوربي . ولاضرورة للتأكيد بانني حذر جداً بما يخص هذا الموضوع فان اصدقائي في الشرق يعلمون بأي عطف اتابع مساعيهم » .

ان نهضة الاستشراق في المانيا في منتصف القرن الماضي وجدت ايضاً تعبيراً لهــا في تأسيس كراسي تدريس في الجامعات وبقيام « الجمعية الالمانية لشؤون الشرق » عام ١٨٤٥ . وباعتبار ان المانيا ـ أو بالاحرى الدويلات الالمانية في ذلك الحين ـ لم تكن تعد من الدول الاستعمارية ، ولانه لم يبد مايشير الى ان هذه الدويلات الاقطاعية كانت ترمي بسياستها الخارجية الى احتلال اراضي الآخرين في آسيا وافريقية ، نستطيع اعتبار الهدف من تأسيس هذه الجمعيــة

العلمية هو حقا ما حدده نظامها الداخلي حيث يقال : « تهتم الجمعية بتشجيع المعارف عن آسيا والدول المتعلقة بها من جميع النواحي، وبتوسيع دائرة المساهمين بهذه الدراسات . والجمعية لن تقتصر في عملها على الادبيات الصادرة في الغرب حول الموضوع بل تبحث في تاريخ هذه البلدان وباوضاعها الماضية والحاضرة » . ومن كمية المساعدات المالية للجمعية ليس بوسعنا ان نستنتج انها كانت متأثرة باعتبارات من جانب الدولة .

ومع انها كانت تتلقى مساعدات لاتتعدى ثلاثة آلاف مارك من مملكتي بروسيا وسكسونيا [١] فان هذه الاموال ورسوم الاعضاء التي كانت تؤلف الجزء الاكبر من مالية الجمعية لم تكن تكفي الا لتغطية مصاريف طبع المؤلفات العلمية التي اصدرتها هذه الجمعية ونذكر منها طبعتي (ووستنفلد) « معجم البلدان » لياقوت « وغرائب الموجودات » للقزويني وتعليقات ابن يعيش على « مفصل الزمخشري » و « الكتاب » لسيبويه (وهذان الاخيران اصدرهما ج . جاهن G . Jahn) ثم « كتاب الفهرست » وغيره من المخطوطات ، والى جانب ذلك كانت للجمعية مجلتها الخاصة باسم « معالجات لعلوم الشرق » [٢] .

ان مجلة « الجمعية الالمانية لشؤون الشرق » حافظت منذ بدء صدورها على الاهداف المرسومة في النظام الداخلي للجمعية، مع اننا نرى ضرورة الاشارة الى ان الجمعية لم تف بكل ماوضعته نصب عينيها مما يتعلق بدراسة بلدان الشرق

---

(١) يتكلم الدكتور عياد في محاضرته المذكورة عن « مبالغ طائلة » .

(٢) جدول الكتب المطبوعة على حساب هذه الجمعية تجده في كتاب « لمحة عن الجمعية الالمانية لشؤون الشرق بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٩٥ الصادر في لايبزيغ في عام ١٨٩٥ » .

في العهود الحاضرة [1] . لكنها ـ اذا اهملنا النظر الى بعض الشواذ ـ قد حافظت على طابعها العلمي الخالص ولم تنجرف مع الاغراض السياسية حتى في عهد الفاشية .

ورغم ان عدداً من المستشرقين وبعض المتخصصين في العلوم العربية والاسلامية وضعوا انفسهم في خدمة الاستعمار وساهموا في السياسة العدوانية الاستعمارية ، فان تقديراً مجملاً لعلم الاستشراق في المانيا لابد ان يرى فيه صفته الاساسية اي طابعه الانساني وتقاليده الديمقراطية .

وكجزء من العلوم الخاصة بآسيا وافريقيا ، تواصل مؤسسات العلوم العربية في جمهورية المانيا الديمقراطية هذه التقاليد التقدمية [2] . ففي الظروف الاجتماعية الجديدة تستطيع هذه العلوم ان تزدهر بلا عائق . ودون اي ميل استعماري ، بامكانها ان تساهم في دراسة البلدان العربية ولغتها وتاريخها واقتصادها وثقافتها في الماضي والحاضر . وهي قادرة على تقديم المساعدة الى هذه البلدان التي تحتل المكان البارز في حركة التحرر العالمية . وكذلك نشر الحقائق عن هذه الشعوب بين ابناء الشعب الالماني . وهكذا يصبح موضوع الدراسة اكثر اتساعاً وتشعباً مما كان عليه في الماضي . مما يتطلب عملاً مشتركاً بين مؤرخين واقتصاديين

---

(١) وترى الجمعية ضرورة معالجة الامور اليومية ، وبرأينا ان جمعية المانية رغم كونها مشكلة من مجموعة علماء فانها ليست محقة بتجنب البحث في الامور اليومية التي من هذا القبيل ... (مجلة الجمعية الالمانية لشؤون الشرق العدد الأول عام ١٨٤٧ ص ١٣٧)

(٢) بالنسبة لطابع ومستقبل العلوم الآسيوية — الافريقية في جمهورية المانيا الديمقراطية راجع فريتز غرونر Fritz Gruner ، المجلة العلمية لجامعة كارل ماركس في لايبزيغ العدد الخاص رقم ٢-١٩٦٣ . ص ٢٥٨ — ٢٦٩ .

ولغويين وحقوقيين [1] . وبامكاننا ان نسجل بارتياح ان الجهود المشتركة المبذولة في هذه الدراسات — رغم حداثة عهدنا بها — قد اتت بثمارها ولاقت الترحيب والتأييد الواسعين ، وليس هناك من شك في ان التطور الايجابي في هذا الاتجاه سيعود بالنفع الكبير على هذه الشعوب التي تربطنا وإياها اواصر صداقة متينة .

(١) والشكل التنظيمي لهذه الدراسات هو المعهد المتعدد الجوانب . وهذا ما يجعل من واجب معهد الاستشراق التابع لجامعة كارل ماركس في لايبزيغ باقسامه الخاصة بالتاريخ والاقتصاد والحقوق والعلوم الدولية واللغات الحديثة البحث بالدرجة الاولى في حتمية تطور ومستقبل حركة التحرر لدى شعوب شمال افريقيا والشرق الادنى .

العوامل الاجتماعية

في تطوير الطب

للطبيب الدكتور منذر الدقاق

قد يكون علم الطب في العالم في مقدمة العلوم التي تخضع لعوامل التطور السريع والتغير المفاجىء . وقد يعلل لنا هذا الكثير من التطورات الاجتماعية والمفاهيم الانسانية . ولربما كان تطور الطب السريع أحد العوامل الاساسية في تطور جيل كامل او في بعث فكرة انسانية جديدة .

ولطالما وجدنا الجماهير في العالم العربي تتساءل بانتظام عن مدى ما وصل اليه الطب ولطالما رددت الهيئات الاجتماعية في بلادنا اهتمامها

البعيد بمدى قدرة الطب على مكافحة المرض ومدى استعداداته العلمية والفنية بحيث تتمكن من تأمين العناية الطبية الضرورية لكل مواطن في حدود ابسط مفاهيم الانسانية .

ان تطوير الطب في شرقنا العربي هو تطوير اجتماعي وتهذيب اخلاقي وتحسين صحي واستقلاب علمي . وهذه العناصر الاربعة الاساسية لابد منها لتأمين طب علمي يتساوى في قدرته مع المفاهيم الحديثة في البلاد المتقدمة .

وقد ينقص المال او قد يتوفر في تأمين تطور الطب الا انه عنصر نسبي في هذا التطور ولا يكفي لوحده في تغيير واقع علمي يتأثر بالتربية والعادات والتقاليد ويتفاعل مع حاجات المجتمع وامكاناته واهدافه وغاياته . ولهذا فان تطوير الطب في الشرق العربي يخضع لمفاهيم غير طبية تقضي بأن تخطط الدولة — لأمد بعيد — الوسائل والغايات وان تهيء ولمدة طويلة عناصر المعرفـة الطبية من مستشفيات وجامعات وطاقات العلم الطبي من علماء وباحثين ... وقد يكون من السهل تحقيق ذلك بالمال الا انه من الصعب جداً حفظه من الضياع ومن التعثر ان لم يتوفر له المجتمع الصالح الذي يستطيع ان يصون الصفة العلمية لهذا التراث الطبي والذي يستطيع ان يؤمن له عوامل البقاء واشكال التجدد وصفات الابداع .

وتطوير الطب يخضع لعامل اجتماعي وعامل صحي وعامل علمي واخيرا لعامل اخلاقي انساني قد يكون من اهم هذه العوامل الاربعة .

العامل الاجتماعي في تطور الطب

العامل الاجتماعي هو تقدير حاجة المجتمع لكيفية وكمية الخدمات الطبية التي تسمح للمواطنين كافة بالعناية الصحية الوقائية والعلاجية المثلى مع حفظ

العلاقة المهنية الخاصة بين الطبيب والمريض التي تقضي بأن يبقى المريض حراً في اختيار الطبيب الذي يتوسم فيه الثقة والقدرة على معالجة شكواه .

ويقضي هذا التطور الاجتماعي بتأمين المؤسسات الاجتماعية ، كمؤسسة الضمان الاجتماعي التي تأخذ على عاتقها دفع القسم الاكبر من نفقات الافراد المرضى سواء من الناحية الطبية والصحية أم من الناحية الاجتماعية، اذ تؤمن لافراد عائلة المريض ابان مرضه الدخل الذي يسمح لهم بالعيش الكريم دون ان تتأثر حياتهم اليومية بتعطل المريض - الذي قد يكون رب الأسرة - وتوقفه عن عمله اليومي وبالتالي توقف دخله المادي .

ويقدم هذا التطور الاجتماعي ايضاً مؤسسات واسعة للشيوخ والعاجزين المقعدين والمكفوفين ، ودوراً ومعاهد للبكم والصم ، ومراكز تدريبية للمشاولين وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية التي لها طابعها الانساني والتي تختص بالعناية بالمرضى غير القابلين للشفاء .

الشكل الصحي للتطور الطبي

يلازم العامل الاجتماعي ترتيبات صحية واسعة تمثل الشكل الواقعي العملي الذي يستطيع كل مواطن ان يتمتع به اذا ما اصابه المرض او داهم البلاد وباء او تعرض الوطن لاحدى الكوارث .

والمؤسسات الصحية الناجحة في العالم هي المؤسسات التي تملك من الخبرة الادارية والعلمية في العَدد والعُدد ما يجعل كل مواطن راض عما يستطيع ان يناله من عناية في مرضه ورعاية لشكواه وعلاج لأبسط آلامه .

ومثل هذه الثروة من الطاقة الصحية العلاجية والوقائية متوفر في بعض

البلدان في العالم حيث ينعم كل خمسمائة نسمة بطبيب وكل مئتي شخص بسرير في احدى المستشفيات المجهزة .

والتطور الصحي يقضي بتنظيم المعالجة والوقاية بحيث يتيسر للمواطنين جميعاً مستوصفات عامة قائمة على العلم والعناية تعالج الشاكين ، ومستشفيات حديثة تختص برعاية كل مريض اشتد عليه المرض ، ومستشفيات خاصة بالامراض الانتانية والسارية تمنع انتقال الامراض المعدية ، ومراكز تعمل لمعالجة الامراض الانتانية الخطرة كالسل ، وجمعيات تعمل لمكافحة الامراض الصعبة كالسرطان ، ومؤسسات فنية كاملة ترعى آلام الحامل والطفل الرضيع فتضمن سلامة النشء ونمو الاطفال ، ومراكز تعمل على مكافحة الامراض المستوطنة كالملاريا والزحار ترشد المواطنين الى السبل الصحية الصحيحة وتمنع انتقال المرض بواسطة المستنقعات والمياه الملوثة ، ودوائر تسعى وراء تطبيق الاصول الصحية الحديثة في المرافق الاجتماعية كافــة ، تؤمن الوقاية من المرض والقاح ضد العدوى والحجر ضد انتقال الاصابة .

الفكرة الانسانية في تطور الطب

لايمكن ان يتم التطور الطبي اذا لم يتفاعل العامل الاجتماعي والعــامل الصحي بواسطة العامل الثالث وهو العامل الانساني ، لان الفكرة الانسانية في مكافحة المرض تجد طريقها في وضع النظم الاجتماعية العديدة التي تكفل للمريض المعالجة والعناية في حدود انسانية يؤمنها المجتمع دون النظر للاعتبارات المادية . الفكرة الانسانية تعبر الى حد كبير عن خلــق المجتمع ومــدى وعيه وقدرته على تقبل تطور الطب بأشكاله كما انها تمثـــل الصورة الحقيقية لامكانيات المجتمع في تهيئة مختلف الوسائل والسبل التي ترعى كل مايتعلق بالصفة الاجتماعية

للمرض ، وذلك عن طريق ايجاد مؤسسات عامة . ولعل الدول الاسكندنافية اولاً والاوروبية والأمريكية ثانياً والدول الاشتراكية في حقبة مابعد الحرب الثانية هي في مقدمة الدول التي اعتمدت المؤسسات الاجتماعية ذات الصبغة الانسانية والاقليمية . وتقوم هذه المؤسسات بوظيفة صحية اجتماعية علاجية ووقائية لهـا الدور الاول في تطور الطب الحديث .

فاذا كان المريض قادراً على ان يعالج نفسه فلأن مؤسسة الضمان الاجتماعي تدفع له القسم الاكبر من تكاليف المرض ... واذا كان من السهل على المريضة ان تقبل الذهاب الى المستشفى ... فلأن التطور الاجتماعي قد هيأ دوراً خاصة تحضن لها اولادها ابان مرضها .. واذا كانت الحامل تسعى وراء مراجعة مراكز الامومة والطفولة للعناية بجنينها فلأن هذا يسهل لها مهمة الوضع ويسمح لها ان تربي طفلها في افضل الشروط الطبية والصحية ..

واذا كان الجندي في معسكره او قتاله يعرف ان المؤسسات الاجتماعية قد ضمنت لعائلته ابان القيام بواجبه كل الشروط الطبية والصحية في حالة الالم والمرض ... فانه اقدر على اداء مهماته وانجح في خدمة وطنه .

ولذلك فان العامل الانساني الذي يربط العامل الصحي بالعامل الاجتماعي يمثل مـــدى التطور الخلقي في المجتمع ويقدم الصفة الحقيقية لمشاعر الدولة ازاء المواطنين .

الاسس العلمية في تطور الطب

الا ان التطور العلمي المادي في الطب هو الصفة الظاهرة الناطقة التي يسأل عنها افراد المجتمع والتي يفهمها ويدركها ويسعى لها المرضى ولذلك وجب توفرها دائماً في المجتمع الطبي ... وصيانة هذا التطور العلمي المــادي منوط بالعوامل

الاخرى التي اوردناها وهي العامل الاجتماعي والعامل الصحي واخيراً العامل الانساني .

ويعود تطور الطب علمياً ومادياً الى عنصرين اساسيين : التعليم الطبي ، والممارسة الطبية .

١ — التعليم الطبي :

اما تعليم الطب فهو اساسي في تركيز دعامة التطور في الطب وفق تعاقب الاجيال ، وقد نرى احدى الجامعات تدرس الطب في عصر الذرة والفضاء بنفس الروحية التي كانت تدرس فيها الطب عام ١٩١٩ ، والسبب في ذلك جمود في البرامج وانقطاع في البحث العلمي وجهل للغات الاجنبية التي ينبثق منها على تتابع الزمن تطورات الطب الحديث ، وتوارث التدريس دون النظر الى الامكانيات الموجودة والمتوفرة على مر الايام .

وتطور الطب من خلال التعليم يقضي ان تلاحق المؤسسات الجامعية كل جديد يطرأ على الطب من الوجهة الفنية والدراسية .. فتتوفر الاجهزة الحديثة وتتأمن الفحوص الجديدة ويسعى التعليم لاستخدام تجهيزات تتلاءم مع روح العصر وتقدمه ، ليقدم لطلبة الطب اشكالاً متجددة في كل سنة في الوسائل والطرق والابحاث والدراسات بحيث يتكون لدى طالب الطب طاقة المتابعة والابداع .

ولهذا فان الجامعات الطبية هي دائماً المسؤول الاول عن اوضاع الطب في كل بلد . وبقدر ماترتفع المؤسسات العلمية في الرقي والعلم والمعرفة بقدر مايكون المجتمع الطبي قادراً على ان يقدم افضل الخدمات الصحية والاجتماعية .. وتأخر المؤسسات الطبية عن ركب التطور الحديث هو احد الاسباب الرئيسية لضعف مهنة الطب وجهودها .

ويلازم عنصر الثقافة الطبية عنصر آخر كثير الاهمية بالنسبة لتدريس الطب ... والتربية الطبية هو الخلق المهني الذي يكسبه الطبيب ابان دراسته للطب أي الوجه الاجتماعي للطبيب ابان ممارسته لمهنة الطب .

وتكتسب التربية الطبية الصحيحة الرفيعة في سني الدراسة وفقاً لطباع الاساتذة واخلاقهم وعاداتهم في الممارسة المهنية ... وبقدرما يقدم الاساتذة لطلابهم من مثل اخلاقية وانسانية ومن عادات علمية توجيهية . . . يتحلى اطباء المستقبل بكل ما تقتضيه القيم الأخلاقية من الطبيب والمثل الانسانية من مهنة الطب .

وخلال هـــذه الفترة الطبية يدرك طالب الطب دقـة مهنته وان عامل التطور فيها هو اساسي للنجاح فيها وبهذا يتبلور لدى طبيب المستقبل ابان دراسة الطب وعي وشعور دائم بضرورة متابعة تطور الطب طالما انه يعمل في مهنته .

٢ ــ الممارسة الطبية

اما ممارسة الطب فلها واجباتها وامكانياتها واشكالها العديدة التي تقدم احدى صور الطب .

والممارسة المجدية المفيدة المؤثرة على عالم المرض تقتضي وجود جهاز طبي متكامل من الناحية الفنية والعلمية ... والاطار المهني الفعال يقتضي وجود عدد من الأطباء يتناسب مع عدد السكان بحيث يكون لكل ألف نسمة طبيب على الأقل . وكلما ارتفعت سوية الطب انخفضت النسبة . ولا يكفي توفر الاطبـــاء اذ لابد ان يكتمل الجهاز الفني بعدد وافر كاف من الممرضات ومن محضري المخابر ومن الفنيين في الاشعة ، وهذه الوحدة الفنية المتكاملة هي الشرط الاساسي لنجاح اي مشروع طبي عام .

فلن يفيد الطب طبيب بلا ممرضة ، ولن يستفيد التمريض اذا وجدت

المعرضة ونقص الطبيب ، ولن تكتمل الدراسة العلمية اذا حرمت المخابر من المحضري الفنيين او اذ افتقر الاطباء الاخصائيون في الاشعة الى المساعدين الفنيين.

فاذا ما تمت هذه الحلقة العلمية امكن للطب ان يتطور وفق الحاجة اولا، وتبعاً لمقتضيات ومكتشفات العلم الحديث ثانياً .

ولا بد لهذا الجهاز الطبي الكامل من ان يبقى على اتصال دائم بتطورات الطب الحديث عن طريق المطالعة المتابعة والقراءة الملحة لكل ما يقدمه الادب الطبي من انتاج في حقل التطور والتجديد ... واذا كانت الطاقة العلمية للوحدة الطبية متوفرة ، امكن لها اجراء ابحاث ودراسات طبية جديدة تنصهر في بوتقة تطور الطب العام وتساهم في وضع اسس جديدة لافكار جديدة وملاحظات عامة ونظريات خاصة حول تطور المعرفة الطبية في دراسة امراض الانسان.

وحين تستطيع الوحدة الطبية الكاملة ان تبحث اشياء جديدة في الطب وان تضع دراسات خاصة في تطور الطب فان هذا يسمح لها ان تقدم انتاجها الطبي الجديد المتطور في مختلف المؤتمرات الطبية الدولية التي تعقد في انحاء العالم وهذا ما يرفع سوية الطب عامة وما يزيد في التقدير العالمي لكل ابداع علمي او تطور طبي فيه الخير للانسان المريض .

للمال دور محدود في تطور الطب

وليس من شك ان توفر المال هو الشرط المباشر لكل تطور طبي ،الاانه من المؤكد ان المال لايكفي للحصول على التطور او للمحافظة عليه ... فلابدمن توفر الجهاز الفني الذي يستطيع الاستفادة والافادة من المال ، ولابد من توفر الخبرة الادارية في شؤون الصحة العامة التي تحسن توجيه استعمال هذا المال،ولابد

من توفر أصول الثقافة الطبية الصحيحة التي تهيء الجهاز الفني القادر على استعمال المادة ، ولابد اخيرا من سوية عالية من تفهم المجتمع لمشاكله الصحية والاجتماعية والانسانية لتأمين حسن استعمال واستهلاك المـــال المتوفر في حدود تطور طبي حديث ومفيد .

ان مؤسسات البحث العلمي التي تعمل على رعايتها الدول المتقدمة والراقية تؤمن متابعة تطور الطب وتدفع الى هذا التطور وتشجع الاطباء على السعي له . . . وتقوم مثل هذه المؤسسات العلمية على اجتماع مختلف العناصر العلمية والاجتماعية والصحية التي شرحتها باسهاب . ومن المتعاوف عليه ان تعمل مؤسسات الطب الاجتماعي على تحسين المعرفـــة الطبية بواسطة دوائر البحث العلمي وعلى تحسين العناية الصحية بتطور الخدمات الطبية للافراد وعلى تهذيب الثقافـــة الطبية والاجتماعية في نشر مفهوم الطب الوقائي وجعله اهم من الطب العلاجي في حفظ صحة المجتمع ...

ولعل اهم وظائف مؤسسات الطب الاجتماعي هي مراقبة استعمال الامكانيات التي تضعها بين يدي الطبيب في خدمة المرضى ، ومثل هـــذه المراقبة الدائمـــة تؤكد اخلاق الطبيب في توجيـــه الاستعمال الصحيح الامين لوسائل الطب الحديث المادية والمعنوية ... كما ان هذه المراقبة الدائمة هي اساسية لتوجيه طباع المرضى نحو صيانة هذه الامكانيات الطبية والاقتصار في استعمالها على الضرورة المرضية الملزمة ، وهذا يعني عدم التبذير والاسراف في تسخير الخدمات الطبية في امور لا حاجة لها ، على نحو ما تبين بوضوح في بلاد الكويت حيث جعلت العناية الطبية في اول الامر مجانا ولعامة الناس وهو ما اثقل الخدمات الطبيـــة بتجار المرض وادعياء الالم وهو ما ارهق ايضاً النفقات

الطبية بعقاقير كان اكثر المرضى يبيعونها في السوق السوداء ان لم يبلعها البحر .

فصيانة الطبيب للامكانيات الطبية ، وحسن استعمال المريض للخدمات الطبية ، ومراقبة الدولة لمختلف المؤسسات الصحية ادارياً ومالياً والاسراع بتطويرها وفق الحاجة والزمن... كل هذا يؤمن احسن الوسائل الطبية والصحية والاجتماعية لتقديم حياة افضل .



لغة العلوم

وصلتنا بعض الأجوبة حول تحقيقنا في موضوع لغة العلوم في التدريس الجامعي – متأخرة عن موعد طباعة باب العلوم الاجتماعية. فأرجأناها الى عدد قادم.

في العدد القادم جواب :

- العلامة الاستاذ مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي.
- والباحث الملحق الصحافي في المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي – الرباط – الاستاذ محمد اديب السلاوي.

ومايرد من أجوبة جديدة

الكتاب والموضوعات

- القيم الادبية

للناقد الادبي و . و. روبسون

ترجمه عن الانكليزية محيي الدين صبحي

- همنغواي بعد خمس سنوات

من انتحاره

بقلم اندريه موروا

عضو الاكاديمية الفرنسية

ترجمة جبران السابق

- اختفاء نعيمة

قصة للكاتب الجزائري محمد ديب

ترجمة جورج سالم

الآداب

القيم الأدبية

للناقد الأدبي و. و. روبسون
W. W. ROBSON

ترجمة عن الانكليزية محي الدين صبحي

ثمة رأيان يقول بهما ت. س ايليوت، علقا بذهني سنوات عديدة واجد من المناسب ان ابدأ بهما الحديث في موضوعنا هذا .

قال في محاضرة القاها عام ١٩٣٦ بعنوان « الديانة والادب » :

« ان عظمة الادب لاتبنى على المقاييس الادبية منفردة . ومع ذلك فعلينا أن نتذكر بأنه سواء أكان مالدينا ادبا ام لا ، فانه مبني على المقاييس الادبية وحدها . »

وفي احدى محاضراته عن « جونسون شاعرا وناقدا » سنة ١٩٤٤ يقول : « لقد تزايد في ايامنا هذه تأثير علم النفس وعلم الاجتماع على النقد الادبي بشكل ملحوظ. ونجد ان تأثير هذه المناهج قد وسع على النقد الادبي واكد الصلة بين الادب والحياة في عالم يميل الى التقليل من اهمية الادب . هذا من جهة ،اما من الجهة الاخرى فاننا نجد ان في هذا الاغناء افقاراً للقيم الادبية الصرفة . وقد خسر الادب التقدير الذي كان يتمتع به من حيث هو قيمة جمالية حين نظر اليه على ضوء الاعتبارات الاخرى » .

هذان النصان لايعالجان الموضوع من زاوية واحدة وان كانا يتضمنان مشكلة واحدة فهناك « قيم ادبية صرفة » ومقاييس ادبية تمت بصلة الى « تقدير الادب من حيث هو قيمة جمالية » .

وفي النص الاول مايفيد ان هذه المقاييس غير كافية لتقرير ما اذا كان الاثر الادبي عظيا ام لا . وفي النص الثاني انه يمكن تمييز هذه المقاييس عن غيرها من القيم النفسية والاجتماعية التي يجلبها النقاد الى الادب . وفي كلا النصين لايحدد لنا الكاتب ماهية هذه المعايير : ويبدو انه يفترض اننا نعلم بها ولا نحتاج لغير التذكير . لكن ايليوت في النص الثاني يبين لنا مايراه خارجاً عن حيز المقاييس الادبية الصرفة .

لقد اثرت موضوع « القيم الادبية الصرفة » لا لانقيها بل لاؤكد ان مفهومنا عنها غامض جداً وبامكان المرء أن يفترض ان حدود هذه القيم تقف عند النحو التقليدي اوعلم الصرف . ولكن هذا التفسير يوقعنا في مآزق عدة : اذ كيف يمكننا ان نصحح مقطوعة ما دون ان نخاطر باطلاق احكام خطيرة على الصفات العقلية عند الكاتب ، وعلى موضوعه وطريقة معالجته ، وموقفه منه ، وهدفه من كتابته ، والى اي مدى نجح في ذلك اوفشل ؟.

ان الدراسة الاسلوبية حقل واسع ، ولكن ما ان تتدخل « القيمة » — ولايمكن تقدير النجاح أو الفشل الا بالاعتماد عليها — حتى يجد الدارس نفسه قد دخل في حيز النقد الادبي بمعناه الشائع المفهوم . ولنلاحظ هنا ان ايليوت تحدث عن المقاييس الادبية كشيء يعتمد على بعض القيم الادبية بالاضافة الى الاسلوب . وهذا يعني ان الاحتفاظ بتعبير (المقاييس الادبية) و (القيم الادبية الصرفة) يلزمنا ان نعترف بالنقد . لكن هذا الموقف الجديد لايحل شيئا من المشكلة فما هي حدود هذا الاعتراف ؟ ومن الواضح ان احداً ما لايرغب في ان يضع هذه الامور ضمن أطر ضيقة .

ان الذين يرفضون «القيم الادبية الصرفة» هم الذين يربطونها بالقيم الجمالية ويجدون سلطة هذه القيم . اما ماهي سلطة القيم الجمالية على الادب فهذا ماجهله الجميع ، وما لم يوضحه احد . واظن انه ليس في الموضوع تسلط بل ميل واتجاه من احد الطرفين الى الآخر . بالرغم ان مثل هذا الموضوع موجود فقط في مخيلة الفلاسفة الذين لا تعدو تجربتهم في الفن ان تكون موقف رجل يحدق الى آنية صينية : فكيف نقارن « تجربته الجمالية الصرفة » بأي اثر ادبي ؟ لاأدري .

وكل مااعتقده هو ان تجربتنا المثالية في الاعمال الادبية لايمكن ان تعتبر حدساً صرفاً بجمال الصيغة منقطع الصلة بالجوهر الانساني والمعنى الذي يؤديه ؛ كما انها لاتلبي احساسنا بحاجات الانسان واهدافه .

واعتقد ان لدى الجماليين شيئاً يمكن ان نتعلمه من ميلهم العام نحو جعل الفنون الصافية تتمثل الادب . وهذا الميل هو التأكيد على احساسنا بان مانعتبره هو الفن الذي لا يحمل في جوهره اي تأكيد قطعي بل انه مصوغ من الوجود الانساني نفسه ، لأهداف معينة ، وصيغ معينة ، وتقاليد واطر معينة . ان احساسنا بناحية (الاطار) يمكن ان يتعدد لأسباب مختلفة . فأحياناً يبدو الكاتب وكأنه يسألنا ان نعتبر معرفتنا بالتقاليد التي يتبعها جزءاً هاماً من المتعة التي يقدمها لنا [illegible] . وفي احيان اخرى — تظهر في شعر د . ه . لورنس — يبدو الكاتب وكأنه يبذل اقصى جهده ليجعلنا ننسى الاطار ونتلقى التجربة التي يقدمها بشكل مباشر .

لكننا في هذه التجربة وغيرها لا نجد ضرورة لاستمرار الشعور النقدي بما نعمله وبما عمله غيرنا لنـــا ؛ وانما نطالب ان تكون لنا على الاقل قدرة العودة الى مثل ذلك الشعور . فقد نشارك بخيالنا فيما يجري ولكننا نفترض دائماً قدرتنا على القيام بدور المراقب. وربما كانت القاعدة هي اننا — في وقت واحد — نراقب ونختبر ، وهذه في رأيي هي حالة العقل حين يقيم الفن . وبالطبع فان درجة الانغماس في العمل الفني لا تعتمد على نوع العمل فقط ، وانما على المتلقى ايضاً . وقد تولد عندي انطباع عن الناقد الفني الممتاز جورج سانتيانا ، انه كان دائماً في حالة المراقب . وفي هذه الحالة لايصح ان نتكلم عن ارتداده الى حالة المتأمل. لكن هذا النوع من الانفعال بين الاثر الفني والدارس نادر جداً . فالتجربة الفنية الجوهرية تكون عادة اكثر دموية ، كما تكون حافلة بالتجاوب اكثر مما توحيه لنا كلمة « التأمل » . على انني لن اقف طويلا امام ظواهر التجربة الادبية الخـــداعة ، مادمت ارى ان استخراج ميزات العمل الادبي هو من مهمات النقد . والصعوبة في الموضوع

هي أن تعرف ماتنتقي وما تهمل . فهنـــاك بعض الاعتبارات التي يحكم عليها احياناً بأنها عرضية لا تمس صميم العمل ، كمعرفة سيرة الاديب مثلاً . لكن هـذا الموضوع البسيط اصعب مما يبدو لأول وهلة . ففي بعض الاحيان تؤثر معرفة السيرة في التقييم فنظرتنا الى الاثر الادبي تعتمد على ماتضفيه عليه من لدنا . ان العدل والقسط في الامور الادبية لاتتطلب منا ان نتجه الى الادب بعقول فارغة ، إذا كان ذلك ممكنا بالفعل . فالادب نتـــاج انساني ومعرفة الكاتب — ككل — أمر ضروري للمتعة وللفهم ايضا . ونحن بحاجة الى الاحساس بالاجزاء والى درجة معينة من الحس النقدي ولا أقول الجمالي .

ان الاعتراض على الفرضية الجمالية او النقد الصافي هو الاعتراض نفسه الذي يوجه الى الذين يراقبون الادب بمفهوم الاخلاق التقليدية . ففي كلا الحالتين تعلق الأمور الادبية الحيوية من أجل أحكام خارجية . انني لاانكر ان الأدب يحتوي مفاهيم أخلاقية ولكن يبدو لي انها مجرد تأكيد لخصائصه الاساسية فنحن نستمتع بالادب سواء اوافقنا على القيم الاخلاقية التي يعرضها ام آثرنا جحودها .

ثمة ناحية تتعلق بالمصطلحات ، فمن سوء حظ علم الجمال ان كانت كلمة « اخلاق » تستعمل في تغطية كل شيء انساني هام وجدي في الادب الخيالي الذي نقرؤه بانتباه تام . والاستعمال العملي الواسع والغامض لهذه الكلمة يجردها من قيمتها وسيلة للتأكيد على الامور التي يطالب بها القارىء او لتوجيهها . ولكن بالرغم من كل التضليل الذي توحي به لايمكن تجنبها لأنها تذكرنا بفراغ الحياة الذي لامفر لنا منه اذا اردنا ان نظل بشرا . والعنصر الاخلاقي في الادب لابد ان يطغى على جميع المحاولات الادبية اذا اراد الكاتب ان يضع مقياسا « لحقائق الحياة » سواء أكان الكاتب واقعيا او طبيعيا او غير ذلك . بل أية حقيقـــة للحياة يمكن ان تتضمنها كتاباته اذا خلت من التجربة الاخلاقية للجنس البشري ؟

ان الانسان كائن اخلاقي . هذه حقيقة بسيطة ، اما المحاولات التي زجت الاخلاق في الأدب فكانت باسم « الواقعية » . وأرى ان هذه المحاولات غير واقعية بل رومانتيكية . ان بعض الكتاب قد يتبنون اتجاها يعزل الاخلاق عن الشخصية . غير ان الاعتبارات تتطلب من الكاتب ان يكون « فوق » او « تحت » المستوى الانساني الذي لابد ان يزيف مطلبه استناداً الى القانون الحقيقي الذي قبله الكاتب . فنحن لانرى الحياة الانسانية من مستوى الذبابة ولا من إلهيات لوقريطس .

ولباب الموضوع هو انني لا ارى للاحكام الخلقية صلة بالنقد الادبي ، مالم نعط

تقريراً واضحاً عن فكرة الاخلاق – أو غير الاخلاق – في الحكم الأدبي منفصلاً عن الاخلاق . وقد يرى بعضهم ان مشهد « الحرب والسلم » ومادتها تدعوان الى نظرة أبعد مما تدعو اليه قصيدة غنائية مثلاً ، لكنني لا ارى ان المقاييس تختلف اختلافاً منطقياً ، فمن الواضح ان اعتبارات الشكل وثقل المادة ، وكثافة الجوهر ، تدخل في حساب أي بحث ولكننا غير ملزمين ان نأخذ في حسابنا أية قيمـــة سوى تفضيل الاحسن بحسب مقاييسنا .

* * *

يواجه كل من علم الادب لتلاميذ ناضجين ، مشكلة « اخلاص » الكاتب . ومن الواضح ان هذا الاصطلاح عرضة لسوء الاستعمال ، فمضمونه النفسي يحول انتباهنا عن العمل الادبي – الذي هو الموضوع الوحيد المعقد – إلى مسائل غامضة تتعلق بصياغة فرضيات عبرت عن عقل الكاتب اثناء التأليف وعن دوافعه الكتابة . ومن مزالق هذا الاتجاه انه لا ينطبق إلا على الآثار التي يبدو فيها الكاتب يتحدث عن نفسه . فالاخلاص يختلط هنا بالترجمة الذاتية ، وبفضولنا في معرفة المصادر التي جمع منها الكاتب مواده . هذا الى ان الاخلاص ليس شرطاً كافياً للتفوق او الامتياز كما يبدو في معظم اشعار الحب أو الرثاء . انه في افضل الظروف شرط لازم لكنه لا يفيد الدارسين كثيراً ، لذا اقترح ان نبدل به مفهوما (الصحة) او (العبقرية) وهمـــا يشيران الى المكتوب وليس الى الكاتب . لكنني أرى أن « الاخلاص » مثل « الاخلاق » لفظ لا يستغنى عنه ، لأنه يتضمن – أو يجب ان يتضمن – التزاماً شخصياً عميقاً يلتزم به الكاتب نفسه . لكن هذا الالتزام بعيد كل البعد عن ادب الالتزام او ادب الدعاية الذي يعجز بسبب طبيعته الخاصة عن ان يعبر عن العالم الداخلي للكاتب ، وعن تصوير الحركات اللطيفة للارادة الانسانية . فالاخلاص الذي يرد في حسابنا هو الشيء المنجز بحسب نظام داخلي . واحساسنا به هو الاحساس بان الكاتب نفسه يعيش في المخيلة التي يصورها عمله ، ويعبر عنها ، او يرفضها ويفشل في التعبير ، او يكشفها ، او يتركها تحت الظلال بين شكوكه وتوتره وموقفه الاخلاقي النهائي . فانا لا ادعي بان تجربتنا الفعلية مع العمل الادبي يجب ان تكون حياة خيالية ، من خلال المشاكل الخاصة للكاتب كما يوحي بها هذا النص المقتبس من رواية « جودا الغامض » : « مادمت كبرت وشعرت انك في قلب زمانك ولم تكن على الهامش ، كما شعرت عندما كنت صغـــيراً . فلابد ان يصيبك نوع من الارتعاش ، وكل ما حولك بدا

وكأنه يحدق ويجلجل وانقضت الاصوات والمناظر على تلك الحليـــة الصغيرة التي هي حياتك وصدمتها ولفتها » .

والمشكلة في « جودا الغامض » انه يثير فينا الشعور بعدم الرضى دون ان نتأكد من الحدود الموضوعة بين ماهو اجتماعي وما هو ذاتي . على اننا نحس إحساساً اكيداً بان الكاتب قد عاش في مخيلته واستطاع ان يخرج منها بإبداع مأساوي . واقتناعنا هذا لايأتي من مصادر خارجية وإنما يتولد من خلال قراءتنا للنص . وحينما نركز انتباهنا وملكاتنا العقلية نجد إن الكاتب يبدع باخلاص مطلق من كامل وجوده الانساني .

وهذا الكمال الانساني رد فعل للتأكيد الفني عند الكتاب الكبار وهوأمر مخيف . ومن الافضل لنا ان نسائل أنفسنا — نقاداً ومعلمين — الى أي حد ينبع نظامنا النظري من الخوف : الخوف من عظمة الأدب ، والخوف من تلاميذنا ، والخوف من الاخلاص عامة سواء في انفسنا أم في الاخرين .

انني في موضوع الخوف لاادعي احداً غير نفسي . ولكن لااكف عن التساؤل ماذا لم يكن ثمة خطأ شائع في التأكيد الاكاديمي على التقدم التاريخي وعلى اهمية الاجيال الادبية . فن المؤلم ان نعتمد في دراستنا على تصنيف الانواع الادبية فنقول : هذه قصة وهذه مسرحية او قصيدة دون ان نتساءل عن الدوافع العاطفية المنشئة في القصة نفسها .

وما اعجز عن تذوقه احيانا هو ذلك البغض للبشر الذي نجده في الاعمال الادبية الكبيرة . واذا كنا نقبل ذلك من رجل ذي عبقرية هدامة كجوناثان سويفت فلا بد ان نستغربها من رجال امثال شكسبير وتولستوي و د . هـ — لورنس . والخطر هو في ان نرفضها دون ان نعرف الدافع لذلك ؛ فهل رفضنا لها يأتي نتيجة حركة طبيعية الصحة النفسية ، او نتيجة دوافع كامنـــة لانتبينها ، او نتيجة رغبتنا في الظهور بمظهر الكائن الاجتماعي الطيب ؟

ان قراءة الأدب قراءة تحقيقية او تعليمية او مناقشته، مرتبطة بعملية فهم الناس وعرضها . فنحن مضطرون ان نستخرج من انفسنا وان نعري فيها كل ماهو قاس أو حكيم او عاطفي أو سخيف او ممل اوحسن..وان نلتزم به . وربما كان اهم مانكتشفه اثناء تعاملنا مع الآثار الادبية العظيمة هو النبل والحياة النبيلة . ويجب الا نخاف من هذه الكلمة التي ترتبط بالعصور القديمة ويبدو انها تتناقض مع الحياة الحديثة . على انني لااقترح هنا ان نتبنى

مفهوم النبل عند كاتب معين بل يجب ان يكون لنا مفهومنا الخاص عنه . ولكن اذا كان ذلك صعبا فن الطبيعي ان نعود المرة تلو المرة الى الكتاب الكلاسيكيين.. ان الانحطاط الواضح في الحياة الحديثة ، او لنقل بشكل اقل تصميا ، ان عدم التأكد من مقاييس الشرف والسلوك والاخلاق ، والذي يبدو واضحا في الحياة المعاصرة وفي الرواية الحديثة والصحف يدعونا الى طلب كل مساعدة ممكنة من الماضي الانساني في سبيل ان نفهم انفسنا ومشكلاتنا .

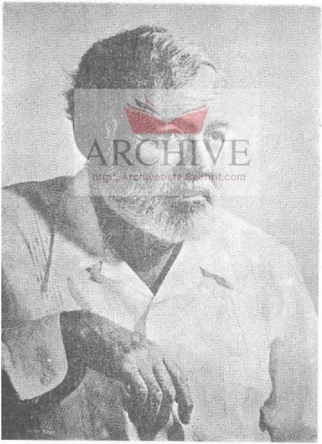


همنغواي

بعد خمس سنوات من انتحاره

للكاتب الفرنسي اندريه موروا
André Maurois

ترجمة جروان السابق



كان آلان ، وسيمون ويل يقولان : ان حركتنا الاولى هي القتل . نحينا نعرف اننا قادرون على القتل دون خوف من العقاب أو لومة لائم نقتل ، او اننا نبعثر البسمات المشجعة القتلة . واذا ماشعرنا صدفة بشيء من الاشمئزاز نصمت ، ومن ثم نخنق هذه البسمات خشية الظهور بمظهر الجبن ، او نقص في الرجولة .

وارنست همنغواي « العسكري في العشرين ، والمأجور في الخامسة والعشرين ، والاستاذ في الثلاثين ، قدّ اسلوبه من قضيب شجرة البندق . » واستخدم هذا الاسلوب القاسي المقدود من الخشب القاسي في رواية القصص العنيفة التي ليس ابطالها الا الاشخاص الذين يقبلون المجازفة ويمنحون الموت ، كالملاكمين الدمويين ، والقتلة المراهنين،والمصارعين المبعوجين ، والجنود المبتورين ، وصيادي الحيوانات المفترسة والحيوانات البحرية . ومثل هذا الاسلوب لم يتكون الا نتيجة لاحداث الحياة التي عاشها الكاتب ، والطباع التي ولّدت هذا الضيق لديه .

شباب عنيف

في ضاحية اوك بارك القريبة من شيكاغو كان الدكتور كلارنس همنغواي يمارس في نهاية القرن المنصرم مهنة طبيب . وقد اشتهر بسرعة نظره الثاقب ولحيته الطويلة ، وبراعته في الصيد البري والبحري ، وكان ارنست المولود في الواحد والعشرين من شهر تموز عام ١٨٩٨ ثاني اطفاله الستة .

جعلت العلاقات الدقيقة المتنافرة بين والديه طفولته صعبة ، وشاقة . فامه كانت توجهه نحو الموسيقى ، ليستطيع الترتيل في الكنيسة ، وابوه سلمه عصا الصيد في الثالثة من عمره ، والبندقية في العاشرة ، فاحس بتضامنه مع الجنس المذكر ، وكتب في اول قصصه :

قال الدكتور :

— امك تريدك .

فاجاب (نايك) :

— افضل ان اذهب معك . واعرف مكان السنجاب الاسود .

وقال ابوه :

— حسناً هيا معنا !

(ونيك) هو بطل القصة الذي ابتكره ارنست ليمثل شخصيته ، ويتمتع بشباب

متوحش ، مفعم بالحرية، وهو الذي يقضي صيف سنواته بين الهنود ، ويبصر مشاهد الحياة القاسية ، ويشهد عملية قيصرية تجري بواسطة السكين الصغير ، ويقطع السمكة الرقشاء الحية قطعاً صغيرة يجعلها طعماً للاسماك الاخرى .

هكذا عاش الصبي سنوات طفولته في بيئة موحشة من الحيوانات التي تضحى ، فتكونت شخصيته قاسية قوية، وان ظهرت ضعيفة امام نفوذ الاب الذي يدين له بالجميل، لانه اعطاه البندقية ، وعلمه دروس الصيد . وكان لايريد له ضعفاً ازاء امه ، او افكارا عرضية عن الجنس .

« ووالد نايك عاطفي ، يشبه كل العاطفيين بالفظاظة ، والانخداع ... ولو لم يكن جباناً لعاند هذه المرأة .. » وكل العاطفيين خونة . « فنايك لايستطيع ان يكتب عن ابيه الآن ، لكنه سيفعل ذلك في يوم ما .

اظهر ارنست همنغواي ميلاً للادب في مدرسة اوك بارك ، واحتل المكان الاول في تحرير الصحيفة المدرسية . واعجب رفاقه بموهبته ، لكنهم كانوا يعاملونه معاملة تخلو من المحبة ، ويؤيدونه بفكرته : بان يكون الانسان قاسياً في الحياة ، والقساة هم الذين يعيشون .

كتابة الأشياء البسيطة

ما كان يحب اسرته، او مدرسته، وفر مرتين. تسكع خلالها بضعة اشهر، اكتسب في غضونها الخبرة بالعنف والشر. واشتغل في المزارع ، وغسل الاواني في المطاعم، وسافر تهريباً في قاطرات الشحن . وكانت حياة المغامرة والتيه تبدو ملائمة لهذا الكاتب الامريكي الشاب الذي كان يقول : « لا أتوق لشيء غير اجادة الكتابة » .

وفي عام ١٩١٧ دخلت امريكا الحرب ، فحاول همنغواي ان يتطوع . لكن عينه الشريرة اصلحت محاولته . فقضى ستة اشهر يقدم تحقيقات صحفية لجريدة « كنساسيتي ستار » . وتناولت تلك التحقيقات الجرائم المحلية. ثم حصل على سماح بالسفر الى اوروبا كسائق سيارة اسعاف في خدمة الصليب الاحمر . وارسل الى الجبهة الايطالية حيث تدور المعـــارك العنيفة ، فاحسن التصرف ، وجرح جراحاً خطيرة ، حصل من جرائها على وسام التقدير العسكري الايطالي .

ترك الجرح الخطير ندبة في ساقه على شكل نجمة، حملها طوال حياته، وندبة في عقله

كانت تتراءى له بعض الاحيان . وقد كان امام الخنادق حين رماه احد النمسويين فقال : « حينئذ مت » . وقتل إيطاليان كانا معه ، وقطعت ساقا الثالث .

ولما عاد همنغواي الى وعيه جر الايطالي المبتور الساقين الذي يصرخ مستغيثاً نحو الخنادق الايطالية . فكشفه إبان ذلك النور المسلط ، وتولاه رصاص احـــد الرشيشات فجرحه في قدمه وركبته . ولما وصل الخندق مات الايطالي ، بينما كان هو على عتبة الموت. ثم سُحبت من ساقه مائة وسبع وثلاثون شظية .

لم ينس خلال فترة طويلة هذا الجحيم ، ولا هذه الصدمة . فكان إن فقد النعاس . واذا نام يحلم بذلك النمسوي ، وهو يقفز عليه ، فيستيقظ جافلاً .

عاش بعض الوقت في شيكاغو ، فتعرف على عـــدد من الكتاب بينهم أندرسون واصدقاؤه . واحب صحفية تدعى هيدلي ريشاردسون . تزوجها في ايلول عام ١٩٢١ ورافقها الى الجبهة اليونانية التركية كمراسل حربي .

وكأن ميادين القتال تدعوه على الرغم من ذكرياتها السيئة ، فتجذب العليل الى الاماكن التي يقتل فيها الناس. وهنالك عاش بعض الاهوال ايضاً ، وعاد بعدها الى باريس يحمل كتاب توصية من شروود أندرسون الى جير ترود ستين . وقال :

« كنت احاول آنذاك ان اكتب ، لكني وجدت صعوبة كبيرة بالكتابة عما حدث فعلاً ، والافعال التي سببت هذا الانفعال والتأثير ... مع ذلك كنت احـــاول الكتابة بادئاً بالاشياء البسيطة ... »

وكانت جيرترود ستين الكتلة الجسيمة العامودية التي هجرت بلادها كاتبة سليمة الحس . ادركت سمو الكلمات في مختلف الايام ، وقوة التكرار ، وايقاع لهجة الحديث ، وكل الاشياء التي يميل اليها همنغواي .

قامت مودة تقنية بين الباحثين . فكان همنغواي يشاهد غالباً في شارع فلوروس بين اتباع سيزان ، وبيكاسو ، وتشاهد جيرترود ستين في ساحة تيرتر حيث تقلب مخطوطات الشاب الامريكي .

يتطهر من العنف

مايتمنى ان يقول همنغواي ؟ يريد ان يتطهر من عنفه فيعبر :
— ماهو طبيبك النفساني ؟

— الكوروونا الخفيفة الحمل ذات الرقم ثلاثة (١) .

وحدث ان سرقت من هيــدلي همنغواي الحقيبة التي كانت تحتوي على مخطوطات زوجها . وهيدلي كانت حبلى تريد ان تضع مولودها على الارض الامريكية . وحياة الاسرة غير منظمة. ومع ذلك تحدد هدف الزوجين« ان تلد الزوجة ، ويعود الزوجان بعد ذلك الى باريس ليؤلف روايته » .

وفي غضون ذلك كان همنغواي يكتب القصص القاسية التي تشبه المسامير ٠ تروي احداها التي تحمل عنوان « الخمسين الف دولار » مغامرة ملاكم يراهن على الرغم من انه يشعر بنهاية قوته ، ويربح .

وكانت القصة اشوا كاً حادة في معظم حوارها ترتكز على اسلوب الايحاء والتلقين. حتى ليظن القارىء الجدير انه يطالع احدى قصص كيبلنغ . ولربما لم يقرأ همنغواي مؤلفات كيبلنغ . والكتب قلما يتحدث عن ملهميه . ومع ذلك قبلت مجلة « اتلانتيك » الشهيرة ان تنشر « الخمسين الف دولار » فاعترف القراء الجديرون بان همنغواي استاذ . هكذا تمكنت هذه القصة التي لاتزيد عن العشرين صفحة ان تشهره .

وحينئذ بدأت المجلات تطلب منه القصص وعرضت عليه سلسلة صحف «هيرست» عقداً رفضه . وما كان مشحوناً بفكرة كسب المال ، حتى أن هذه الفكرة لم تكن رئيسية بنظره . وكان يريد ان يبقى كاتباً وقوراً . فيقول : كل ماأتوق اليه ان احسن الكتابة» ولكي يحسن الكتابة يجب ان يتفرغ للعمل الفكري لا ان يتعاقد . « انه يؤمن بنزاهة الكتب كما يؤمن ببكورة الفتاة التي لاتستطيع استعادتها اذا فقدتها مرة واحدة .»

وكان لايخصص لنفسه غالبا الا خمسة قروش في اليوم الواحد ليتناول صحن البطاطا طوال اقامته في باريس ليستطيع ان يكتب كما يشاء ، وبحسب اسلوبه .

فبدأت شهرته تنتشر بين المهاجرين في باريس . وكانت جيرترود ستــين وأزرا باوند ، وسكوت فيتجرالد ينتظرون منه الشيء الكثير . وصادفه جيمس جويس فكان يخرج معه كل مساء ليحتسيا الخمرة سوية .

واصدر همنغواي عام ١٩٢٣ كتابا صغيرا يتألف من ثلاث قصص ، وعشر قصائد وفي عام ١٩٢٤ اصدر كتابه « في عهدنا » الذي تعاقبت فيه الملاحق ذات القصائد النثرية

---

(١) بندقيته الخاصة .

القصيرة التي تجدد الذكريات الرهيبة دون أي تأويل . اما الافعال في الرواية فكانت مجردة دامية . هذا مثال منها :

« اعدموا ستة وزراء في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين على طول جدران المشفى . وكانت في الباحة مناقع الماء ، والاوراق الميتة الرطبة . والسماء تمطر مدراراً . وقد اغلقت نوافذ المشفى . وكان احد الوزراء مصاباً بالحمى فحمله جنديان تحت المطر ، وحاولا ان يسنداه الى الجدار لكنه سقط في منقع الماء . وبقي الخمسة الآخرون ينتظرون اعدامهم مستندين الى الجدار بهدوء . حينذاك قال الضابط لجنوده ليس من المجدي محاولة ايقافه . ولما اطلقت الرصاصة الاولى كان جالسا في الماء ورأسه بين ركبتيه . »

رائع هذا النص من الناحية الفنية . طلاه ببرودة واضحة ودون اي تأثير ، والمع ينفصل منه انفصالا عنيفا على القعر المسطح .

والعنوان « في عهدنا » لايمكن ان يكون الا سخرية ، وتذكيرا « للسلام في عهدنا أيها السيد » بكتاب الصلاة العام . لأن في عصرنا يعدم المتضررون ، والجماهير تلح على مصارعي الثيران الذين ياطرون يبقر بطونهم ، والجرحى يئنون وينزفون امام الحفر ، والحبال الباردة تمضي في اعناق الرجال نحو السجون .

هذا احتجاج صامت على العنف ، ولذة ماسوشيستية ، وحرية كاملة في وصفه فينبغي ان نكرر :

— طبيبك النفساني ؟

— الكوكورونا الخفيفة ذات الرقم ثلاثة .

وقد شاهد الطفل والرجل كثيرا . والجيل المريض يتخلص من سموم مرضه .

الكتب الكبيرة

هجرته هدلي في عام ١٩٢٧ فتزوج بولين بفيفر في السنة ذاتها ، وكانت محررة بمجلة « فوغ » . وفي السنة التالية اصيب بصدمة عنيفة عندما انتحر والده . وبقي السبب مجهولا فقيل : « سقط الدكتور في شرك ، وتولاه الخوف ، فلم يجرؤ على المجابهة . »

ومن الطبيعي ان يلازم ابنه هذا الوسواس . فهل كان ابوه وجلا ؟ والخوف سيكون احدى المسائل الهامة لدى همنغواي .

ومؤلفاته القصصية لم تثمر حتى الآن الا اخفاقا ماليا . الا ان كتابه « الشمس تشرق ايضا » بدأ يحرز نجاحا في بيع نسخه للمهاجرين الامريكيين ، والانكليز ، واليونان الذين يعيشون في باريس .

وكان البطل جاك برنس المبتور نتيجة لاصابة في الحرب يتنزه في مقاصف الفنادق المتوسطة الدرجة بين فرنسا واسبانيا ، وحبه واه خائر ، والمرأة التي احبها تخونه مع ملاكم ، ثم مصارع ثيران . فيتألم جاك وبريت دون محادثة مشتركة .

فهل هذا الاسلوب رومنسي ؟ اجل ، ولكنه رومنسي صامت غارق في الكوكتيل والشامبانيا . حصل على أثر المأساة في هذا الشريط الطويل من صور ليـــالي الفنادق ، والثمل الحزين ، والمومسات ، والضجعات . ولكم يندر ان تنفصل هذه الفئة البشرية عن كل المجتمعات . فاللاشيء لايخدم الشيء . والشمس تشرق ايضا ، وايضا دون جدوى .

كان يأس بعد الحرب عاما شاملا ، فاستطاع مثـــل هذا الكتاب ان يمس الوتر الحساس « لدى جيل الضحية » ورواية همنغواي كنت بالنسبة للرواية التقليدية كالهندسة المعمارية بالنسبة للهندسة الزخرفية .

وحمل كتاب القصص القصيرة « رجال دون نساء » هذه المزايا كامـــلة . وقصة « القتلة » هي احدى روائع الادب . اذ يقول فالبريع « نعترف بالقصة انهـــا احدى الروائع الادبية حينا لانستطيع ان نغير فيها شيئا . » والهجوم فيها مفاجيء دون تحضير طويل . وفق اسلوب بلزاك . وللقاريء ان يتخيل الديكور ، والشخوص الذين لانعرف بالبداية عن أي شيء يتحدثون ، فيكررون الكلمات عشر مرات . ثم يبرز الموقف شيئا فشيئا من هذه البلبلة ، وهذا هو الاسلوب الجميل .

قبيل عام ١٩٢٧ هجر همنغواي اوروبا ليعيش على ضفاف المحيط في كي ويست فلوريدا . فادرك فيها البطن ، واللحية ، ولقب بابا . وحصل من زوجته الاولى على ابنه جون المعروف بيومبي ، ومن زوجته بولين على صبيين .

والكتب تلد ايضاً . فولد « وداعاً ايها الســـلاح » عام ١٩٢٩ وهو رواية عن معركته في ايطاليا . وكتاب « موت بعد الظهر » محاولة فلسفية عن سباق الثيران . « وربى افريقيا الخضراء » ثمرة رحلة الصيد الكبيرة . والحرب ، ومصارعة الثيران ، والصيد « القتـــل لتجنب القتل » . فلابد من سيطرة اليأس الداخلي ، والاشمئزاز من الناس اللذين يعود مصدرهما الى طفولته .

ومع ذلك فهو الوقت الذي تعامل فيه ارنست همنغواي مع مجلة « الشريف » كما تعامل (تين) مع مجلة «الحياة» الباريسية . ولامه النقاد الامريكيون لانه يعمل لهذه المجلة التافهة التي تجاور فيه النصوص الادبية الدعايات الغزلية . ولكن ما اهمية ذلك ؟ وهو لاينفر من الغزل . ولهذه المجلة طابع ادبي ، ويكتب فيها اندريه جيد ، وتوماس مان .

العثور على ايمان

بيد ان كل شيء يشير الى ان همنغواي كان غير راض عن نفسه في عام ١٩٣٦ وقد اصطاد في افريقيا برفقة الرجال الاغنياء . وكان يكثر من الخمرة ، والقمار ، وان كان يشعر بالضجر . فاحتسى كثيراً « حتى ثلّم حد فكره » .

سبع سنوات من البور انقضت دون ان يؤلف كتاباً جيداً . « وتكتون من وداعاً أيها السلاح ، وهذا الجدب ، موقف التظاهر بعدم الاهتمام ، بعدم جدارته دنتاج شيء آخر » .

انتهى زواجه مرتين نهاية سيئة ، وهو يشعر بأنه ملام على مجلة « شريف .. » .. هكذا هدم نبوغه ، وخان نفسه بالذات ، فبأي شيء كان يعتقد ، وهو يشرب الخمرة ... بالخمرة ، بالنموذج المألوف ، بالتصلف ، والحكم الاعتباطي ... »

وليكمل كل شيء ، كانت فكرة الموت تصابقه . فنداك يبلغ « ان كل شيء سينتهي الى رحلة محتمة في مساومة مع امرأة ، حين لايترك وراءه أي انتاج نقي يستطيع ان يطمئن به الى ديمومته ... »

وطلقته المرأة الثانية في عام ١٩٤٠ ولما انفجرت الحرب الاهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ تطوع كثيرون من مثقفي الولايات المتحدة الامريكية لمساعدة الجمهوريين فكان همنغواي واحداً منهم . جاء مدفوعاً لتقدم رائحة الدم الجديد اكثرمن ايمانه بقضيةالحرب. واثمر منها رواية جديدة هي : لمن تقرع الاجراس ؟ «وفيها يجسد البطل روبير جوردان البطل القديم ذاتك ، وهمنغواي بالذات . والغريب في هذا البطل النضال الجاني المجرد من الاعتقاد السياسي .

فتسأل ماريا الحسناء الاسبانية الفاتنة جوردان :

— هل أنت شيوعي ؟

— لا . أنا ضد الفاشية .

— منذ زمن طويل ؟

— منذ أن فهمت الفاشية .

فا هي اذن سياسة جوردان ؟

« ليس له سياسة معينة . ويقاتل في هذه الحرب ، لانها نشبت في بلد يحبه ، ولأنه يؤمن بالجمهورية » . وبطعّيم المغامرة الحربية ، كما في كتابه وداعاً إيها السلاح برواية حب . الحب المنغوائي الشهواني ، القصير الامد ، المولود ميتاً .

ابان الحرب العالمية الثانية

وفي عام ١٩٤٠ تزوج مرتاجيلهورن الروائية . وسافرا سوية الى الصين . ثم اقاما في كوبا قرب هافانا .

وفي عام ١٩٤٢ عرض يخته للبحرية الاميركية ، وطلب ان يقوم بدور رجـل الانتحار على ان يبحر وحده ليجتذب الغواصات العدوة . وحالما تقاربه احداها يفجر يخته . فادرك الناس إن هذه الفكرة الروائية تفتنه .

رفضت البحرية عرضه . وسعى همنغواي الى ان يبعث الى انكلترا كمراسل حربي . واتفق بعد انزال حزيران عام ١٩٤٤ مع القوات الفرنسية ، وشكل كتيبة منها كان قائدها . وما كان الناس يعرفون عنه الشيء الكثير . إلا أنهم كانوا يدركون ان هـذا الرجل ذو شأن كبير .

فاظهر المدجج بالاسلحة ، الحامل المنظار المزدوج قدرة فنية في الحرب التي اختبرها مدة طويلة . فكان المتطوعون لتحرير فرنسا يحترمونه ، والجيش يغض الطرف عنه ، فدخل باريس من طريق آخر غير الطريق التي سلكته فرقة ليكلرك ، ومضى للحال نحو ريتز التي حررها . ووضع خفيراً عند ساحة فاندوم ، وشعاراً : « أخذالبابا فندقاً حسناً ، وكهفاً للخمور مجهزاً » .

ثم انطلق الى المانيا مع كتيبة إختارها ، كمراسل فوق العادة يسير دائماً في مقدمة الطليعة ، وهو يطالب بالدبابات لتحمي جناحيه ، ويطلق النار مخالفاً إتفاقيات جنيف ، وغيرها من الاتفاقيات ، فتارة يُهدد باحالته الى المحكمة العسكرية ، وتارة اخرى يلقى المديح لبطولته

«الشيخ والبحر»

بعد الحرب اقام في فندق فينيسيا ليؤلف كتاباً عن الحرب العالمية الثانية . وتوقفه عنه بسبب مرض في عينه ليبدأ رواية قصيرة تحمل عنوان : «عبر النهر،وبين الاشجار» وهي قصة الحب الاخير لدى امرأة شابة وعقيد عنيف ناضج .

انصب النقد المتعب من المدح على هذا الكتاب فزقه.واستسلم همنغواي للاستطراد عن الاستراتيجية . وهاجم منتغمري . والحقيقة كان النقاد ظالمين . كما كان الكتاب غير جدير بمؤلفه . ولم يكن افضل كتبه ، الا انه ارفع مما كتب غيره .

ثم تزوج همنغواي للمرة الرابعة من الصحفية ماري ويلش التي عاش معها في بيت يجاور هافانا « بمزرعة فيجي » التي اختارها لانه كان يحب كوبا ، ويشعر فيها بهدوء يُنيم عليه اكثر من اي مكان . فكثر زواره من نجوم هوليود ، وعظماء اسبانيا . وهمنغواي ذو اللحية البيضاء والغضون المدبوغة يستيقظ الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين صباح كل يوم ليباشر عمله . ويكتب اوصافه بقلم الرصاص ، والمحاورات على الآلة الكاتبة .

وبعد الظهر يصيد مع بحاره اذا سمح له الطقس . واستمر يفكر بان على الكاتب ان يحافظ على اتصاله بالطبيعة بمختلف اشكال العمل . « واذا انسحب من الحياة يضمر اسلوبه ، ويصاب بالهزال . » هكذا ظل صياداً شغوفاً كما كان في عهد ابيه حينما سلمه عصا الصيد .

وفي عام ١٩٥٢ برهن على ان نظريته التي تقول بضرورة الاتصال بالحياة هي صحيحة حينما كتب « الشيخ والبحر » وهي القصة الوجيزة التي استقبلهـا الناس بحماس شامل . وقال احد النقاد قبل الرواية السابقة : « انتهى بابا » . وبابا لم يكن قط في افضل مما هو عليه الآن .

ويتمثل جمال كتابه بروعة الفن الادبي ، ودقة الفن البحري والرياضي ، والدفء الانساني . وكان الشعور الحي ، والحقيقي يحركه في قصة هذا العجوز الذي يصيد بقوة الشجاعة والاصرار اكبر سمكة في حياته ، ويبصر كلاب البحر تفترسها ، ولا تترك له منها الا هيكلاً من الاحساك .

جائزة نوبل

لا استطيع الاحجام عن التفكير بوجود رمز لهذه القصة ، وربما كان مصدره اللاشعور . فالسمكة الهائلة هي الرواية الجميلة التي ظن همنغواي انه ألفهـا ، والنقاد

م الذين مزقوها . وهذا الحس الشخصي ، والجرح الغرق يوحيان « للعجوز ، والبحر » بدوام الزمن المؤثر ، المر .

بعد هذا الانتقام كسب همنغواي الحرب ضد زمانه . اذ اعاد الصياد العجوز غنيمته كاملة هذه المرة . فصفق العالم لجائزة نوبل التي خصصت له عام ١٩٥٤ وكان في تقديره الانصاف كلــه ، فهمنغواي اعطى للادب اسلوباً جديداً ليس الا اسلوب هذا القرن .

وفي مطلع هذا العام ظن الناس انه مات خلال بضع ساعات . فبينما كان يصيد في افريقيا سحقت طائرته في احد ادغال السودان ، قرب النيل ، وفي منطقة الوحوش المفترسة . فنسخت الصحف مراثيها على عجل . وكانت ملأى بالتملق .

لكن « البابا » الذي نهض جريحاً ، ادرك النيل فوجد مركباً عابراً . وقال في مؤتمر صحفي عاجل اجتمع في الادغال : « مازال حظي سعيداً . »

ولم يسافر همنغواي الى ستوكهولم لتلقي جائزة نوبل :

— تعرفون ندبات الجروح .

والحقيقة كان غيابه بسبب الرواية الكبيرة التي يؤلفها .

— تسير سيراً حسناً ، واتصور حتى زمن طويل ان الجائزة وصلت ... واذا توقف الكاتب عن تأليفه لايعرف الا الله موعد استئنافه .

كان همنغواي يصيد على ساحل كوجيار القرية الكوبيــة الصغيرة يوم جرى احتفال ستوكهولم . يرافقه بحاره غريغوريو فيونتز على مركبه الاسود والاخضر الذي يبلغ طوله اثنين واربعين قدماً ويدفعه محركان كرايزلر . حينذاك كان البحر يبتسم للعجوز ، ومحرر التايم الذي يرافقه يسجل احاديثه وهمنغواي لايريد ان يبدل حياته ، وكتاباته ، ولو تمكن من ذلك .

— يكفيك ان تفعــل ذلك مرة واحــدة حتى يتذكرك بعض الرجال ، اما اذا تابعت عملك سنة بعد سنة يقول الرجال لابنائهم ، وابناؤهم لاحفادهم فيتذكرونك ، واذا كان عملك تأليفاً يقرأون كتبك ، وان كانت جيدة تدوم طالما دام الرجال .

وهذه هي الجائزة الوحيدة التي يرغبها الكاتب الحقيقي .

كنه تفكيره

قالت جيرترود ستين : « له هيئة الرجل الحديث ، وانفه يعبق برائحة المتحف » كتبت هذه العبارة في عهد الشقاق بينهما ، وارادت منها الخبث ، فجاءت مدحاً ظريفاً دون ارادتها . والمؤلف الكبير يرتبط دائماً ببعض التقاليد ، ولو كان معاصراً او حديثاً . والصحفي الذي ينطلق من الصفر قلما يمضي بعيداً .

وكان همنغواي الكاتب المتصلف يقرأ كثيرا ، ليتجاوز كل مايقرأ . وجيرترود ستين قرأت همنغواي كثيرا ، وهو استعار منها الشيء الكثير . فمن هم معلمو همنغواي ؟

كان يقول : « تعلمت الكتابة ، وانا اقرأ التوراة . ولكن ليست التوراة وحدها التي علمته ، لانها تعلم الراوي فن القصة المجردة ، والقدرة على التكرار ، والشعر . ويقول انه مدين لفلوبير ، ويرى فيه الوسواس ، والبحث عن الكلمة الصحيحة ، والحاجة للوزن وايقاعه يختلف عن ايقاع فلوبير ، ومثلما يكون الجاز ليس من صنع موزار . لكن الموسيقى تبقى ذاتها . ويمتدح ستاندال ، ومدحه له ليس مفاجئا ، او غريبا ..

مع ذلك فعلموه الحقيقيون امريكيون وهم : امبروز بيرس ، وستيفن كران ، ولاسيما مارك توين الذي قال عنه همنغواي : كل الادب الامريكي الحديث مقتبس من كتاب مارك توين « هولكبري الفنلندي » وهو افضل كتاب لدينا » .

اما فيما يتعلق بالفلسفة فقد يحق لي ان قلت انه مدين لكيبلنغ سواء بالصدفة ، او بالاطلاع عليه . والمجتمع الذي ظهر لهذين الرجلين منذ طفولتهما لم يكن مجتمعا مسالما ، وانما تسوده القوة والدهاء . والبطل لايستطيع شيئا ازاء هذين العنصرين . اما الكون فهو كما عرف عنه .

الا ان الرجل داخل المجتمع العديم الشرائع الاخلاقية يستطيع ان يدعي شريعة اخرى ويراقبها . وهي شريعة الشرف ، والشجاعة « التي تجعل من الانسان في حياة من التوتر المؤلم رجلا ، وتميزه عن غيره الذين يمتثلون لوساوسهم ، ويرساون شعرهم وهم قذرون ، خائفون احيانا ، يعيشون دون محرمات ... »

والمحرمات ليست القواعد الاخلاقية تماما ، او على الاقل ليست قواعد اخلاق مذهب البوريتاني البروتستانتي ، والبورجوازية . فالملاكم المجاهد ، ولاعب القمار ، والسارق يرتضي كل منهم بشريعة همنغواي شريطة ان يكون مخلصا وفيا لعقوده التي لم تنعقد مع المجتمع ، وانما مع الرفاق الذين اختارهم : « فلدى اللصوص ، والمومسات شرف . لا تختلف فيه الا معايير القياس . »

سيطرة الخوف

والخطأ الرئيسي ان يرضخ الانسان للخوف . وليس ان يخاف . والخوف ينبثق غالباً من عجز الانسان عن التعلق بوظيفة الخيال . والعصبيون يخافون اكثر من هادئي الاعصاب . وليس في هذا التكوين من جريمة ، اذ أن المسألة طبيعية ، تتعلق بطبيعـــة الانسان . لكن الشريعة تتطلب بألا يتخلى الملوع للخوف .

كتب همنغواي فوق ذلك قصة قصيرة كاملة هي «حياة فرانسيس ماكومبي القصيرة السعيدة» كان بطلها امريكيا . جاء الى افريقيا مع زوجته ليصيد الحيوانات المفترسة . فاستولى عليه الخوف حين انطلق يهاجم الاسد ، طريدته الاولى . واحتقر روبيرويلسون الانكليزي المحترف الصيد زبونه الجديد احتقاراً مهذباً .

فخجلت مارغوت ماكومبي وتعيبت بزوجها ، وهي المرأة الحسناء الفاتنة . وذهبت في الليلة التي اعقبت خوف زوجها الى خيمة الانكليزي تقدم نفسها له ، لأنه كان باسلا . وقبل ويلسون الثروة الجديدة دون استغراب : فالاغنياء مجانين ، وكل هذا العمل بعض من المهنة .

ثم حدث شيء لماكومبي : اسكرته الغيرة حينما عادت الخائنة الى خيمة زوجهـــا فضبط اعصابه ، واصبح رجلا شجاعا متألقا ، وقال لزوجته :

— لقد حدث لي شيء ما . فاصبحت خلاف ذلك الرجل .

القت مارغوت نظرة غريبة نحوه . وبعد بضعة ايام اطلقت النار على الجاموسة الهائجة التي كان زوجها يهاجمها ببسالة ، فاصابته في قاعدة جمجمته . طلقة قاتلة . فهـــل هذا حادث خلقته الصدفة ؟ لا . لان الامريكية التي اعتادت على السيطرة شعرت بان زوجها الذي اصبح شجاعاً لن يبقي شيئاً من حياة الزوج المفضل ، فتخلصت منه دون مجازفة .

وبما ان المرأة في نظر همنغواي ، كما هي بنظر كيبلنغ عائق ، وغواية . فانها تحترم الرجل القوي ، رجل القانون ، لكنها لاتقاوم الميل للسيطرة على الرجل الضعيف .

والحب ؟ تبدو الشهوة ماهية ابطال همنغواي . وليكن الحب الفيزيولوجي ، لكن يجب على الرجل ان لايكفه غالباً . فالمرأة المحاربة الحديثة هي التي تجود بذاتها بين معركتين ، وتعرف ان النسيان يتبـــع ذلك . وان تحتفظ من حبها الا بذكريات حجرة الفندق ، والزجاجات الفارغة ، والعطاء للخدم ، ونوادل المصاعد ، والقذائف التي تنفخ في الليل . وليس هذا الا وقتاً من اللذة العابرة .

الابداع ضد اليأس

مثل هذا القانون صحيح بالنسبة للرجال والنساء في سائر البلدان ، وخلال بضع سنوات . وما هو الا قانون الدغل : قانون المجتمع الذي يعيش الحرب ، ويسود عليه الخوف والشجاعة . ويركن اليأس في اعماقه .

كان هذا المجتمع مجتمع الكل حيناً من الزمن . ويظل مجتمع عدد كبير من الرجال. وربما يبقى مجتمع الغـــد اذا لم نتنبه له . وكل اخلاقيته تقوم على سلوك التصرف حين وجود الموت .

لهذه الحالة من اليقظة المستمرة حلان · الاول هو نسيانها ، وابطـــال همنغواي كنماذجه يحتسون الخمر ، ويقضون اللبانة ليتخدروا . والحل الآخر ، وهو الاسمى الذي يتمثل بان يقبل الثبت الجنان هـــذا التأجيل بالموت . فالانسان يسير بين الاطلال متهيئاً أبداً للانفجار النهائي ، محاولاً نسيان كوابيسه ، وراصداً بين الجرحى « الحب البريء المؤثر في النفس » ... « والحب ، كالصيد او الحروب ، او نشوة الخمرة ، وكل عمل عنيف مفرط يخفي عنا وجود العدم ، تلك اللحظة القصيرة » .

هذا المجتمع اشد رهبة من مجتمع كيبلنغ ، والمجتمع الحقيقي الذي ليس الا ظاهرة! واننا نعرف الوف البيوت ومئات القرى التي يعيش فيها الوف الرجال العمال ، والنساء الامهات والاطفال اللاهون ، وهم يتذوقون السعادة الصافية ، ولا يعوزهم النسيان .

لكن كربة همنغواي عادلة ، وشرعية بعد وصلتين جحيميتين، وامام خطر الآلام الشديدة . فهذا الجحيم هو الذي استوطنه . ويستطيع اطفالنا ان يقطنوه في الغد . هكذا تبدو كربة برسوت خفيفة طفيفة بالنسبة له .

انقذت الاخلاق هذا العالم . وللفرار من « مجتمع اللاقيم » ثمـــة اسلوب آخر للتملص،اروع من السكر اوالملذة ، وهو الابداع . هنا يلتقي همنغواي ببروست فيسعى لاخفاء الاشياء البسيطة « في حلقات من الاسلوب الادبي الجميل » .

وهمنغواي لايستعين بالصورة الا استعانة بسيطة . واسلوبه موضوعي مجرد.يصف اسوأ الفظاعات بزهد كلاسيكي . وهذا الاحتراس في وصف الشنيع هو الاسلوب الادبي.

لكنه يتجاوز المجاز ، والاستعارة ، فيلجأ الى الرموز الواسعة ليدرك الكون ، كما

رمز العجوز والسمكة . ومثل هذا المجتمع ليس عديم القيم طالما يعترف بالقيم الجمالية - فالكاتب كالصياد ، والجندي ، يحترم قانونه ولا يبلغ بتعازيه ، وورقياته الزمن الذي ليس بنظر همنغواي دوالهول ، فحسب ، وانما الموت انتحاراً .

ومن المحتمل ان تكون كلمة الكون (نادا) العدم ، لاشيء . لكن الشريعة والمهنة ترسمان في هذا العدم ظلال بعض الاشياء



اختفاء نعيمة

قصّة للكاتب الجزائري محمّد ديب

ترجمها عن الفرنسية جورج سالم



لقد انصرمت خمسة اسابيع ، ولم يرد خلالها أي نبأ من نعيمة. لا شيء البتة. يعتقد بعض الناس انها سجنت في ثكنة (بودو) . ثكنة بودو ... ان الذين يسجنون فيهـا يعتبرون رهائن : وعنهم تروى أشياء رهيبة .

كيف السبيل الى التأكد من ذلك؟ ليس بوسع أحد أن يعرف أي شيء بشكل يقيني، فما شوهد أحد يعود من هنالك . ليس الا الانتظار ، أن يقطر خبر ، أو أن تقاد نعيمة بمعجزة الى المحاكم . الانتظار ... هذا كل ما ابقوه لنا .

اني اصحب الأولاد الى النزهة وآخذهم في الغالب الى الحديقة العامة التي نسميها « البستان الصغير » حيث نمضي بعض الامسيات ، بعد الظهر . الخريف يعطي الخضار لوناً احمر ، ويمزج تلويناته الصهباء والصفراء بزرقة السماء . لسنا نستطيع البقاء طويلا ، ففي ساعة مبكرة تفرغ الحديقة ، ومن الخطر البقـاء فيها مدة طويلة . ومع ذلك فان الأولاد يتلهون كل التلهي فيها . وأجد أنا أيضاً فيها ، الدقائق الوحيدة من الراحة التي سمح لي بتذوقها بعد الآن . اننا ننخرط جميعاً في هذه الحرب .

أما اذا وجد من يفلتون منها ، فانهم يكونون قد تعلموا أشياء كثيرة . فرحيم الذي لايتجاوز السابعة من عمره وقد عاش حتى الآن ثلاث حروب . وهو يصوب نحوي أنظاراً رزينة جداً يجتاحها تساؤل أخرس ، حتى لأضطرب وأشعر بأنني مذنب .

سألته منذ بضعة أيام لماذا يتفحصني على هذا النحو ، فأجابني :

ـ بابا ، يجب على الانسان ألا يتوانى في القاء قنبلة ، أليس كذلك ؟

واجتاحتني كآبة حمقاء . ماذا اقول له ؟ هل احـدثه باحاديث ملفقة ؟ ان ذلك لا يجدي حتى مع رحيم . الاعتداءات والهجمات والكمائن: ان صدى كل ما يجري ليظهر في اقواله وافكاره . ولن احاول أن أعلمه أن يكون حذراً . فان يفهمني . لقد سبق أن ظهر بيننا هذا التمزق .

وفي يوم آخر سألته وأنا أضحك ، دون أن اشك فيما اعرّض نفسي له :

ـ ماذا تظن أن علينا أن نفعل ؟

ـ نقتلهم جميعاً ، ونفجّر القنابل دون توقف ؟

لقد قال هذا دون ان يتردد ، ودون أن يكف عن تفحصي بعينيه البريئتين .

ـ هل تفعل ذلك أنت ؟

ــ وأنت ، ألا تفعله ؟

ــ قلت : لا .

انني ما أزال أراه بتأملي بهيئة من لا يصدق .

أما في المنزل ، فقد ازداد تكتم المستأجرين شيئاً فشيئاً حول موضوع نعيمة . واني لأحاول ان أحل محلها بالنسبة الى الاولاد ، جهد الطاقة ، طوال مدة سجنها ، كما ان الجارات ينقذنني دائماً من عدد من الاعمال المتعبة . فهن اللواتي يقمن بالكنس والطبخ والجلي والغسيل . وما كن ليغفرن بأي ان أن يرين رجلاً يعنى بمثل هذه المهام . بل قد يحدث ايضاً أن يطعمن (بن علي) و (زهية) و (رحيم) اثناء غيابي . وكانت امرأة مغطاة الوجه تحمل على نحو منتظم مبلغاً من المال ـ هو تعويضات من الجبهة ـ فتسلمني اياه . ولم تظهر هذه المرأة وجهها لي قط ولم يتلحن في معرفتها ابدا . وعلى هذا فلم يكن يلحن حول هذا .

لم تكن الحركة تنقطع في المنزل ، في اية لحظة . كانت العتمة ماتزال مخيمة هذا الصباح ، وكان فجر عبق رطب يشرق ، حين اجتاحته اصوات وهمسات محمومة . وما كان ذلك لحسن الحظ الا انذاراً خادعاً . فتشنجات الاثارة هذه ، المألوفة ، تبلغ ذروتها بعد الانفجارات بخاصة . فيهرع المستأجرون أشد حاملين الانباء ويلقون بها الى الآخرين ، فتخلو غرف الباحة ، ويأتي كل امرىء ليقول كلمته . لم يحدث هذا الصباح شيء من ذلك . الا أن اليوم لم يكن الا في بدايته .

افكر في نعيمة اثناء هذه التشنجات ويعذبني أنني اجهل مكانها ، وماذا فعلوا بها . ان حوادث الاختفاءات والقتلى والاعتقالات في المدينة تحدث بنسب كبيرة حتى ليصعب تعدادها . وما يحدث منها اليوم ينسي ماحدث أمس .

ثمة اعلانات ملصوقة في كل مكان تظهر رجالا صرعى . وتعلق المحاكم كل يوم احكاما بالموت ، ويتضاعف تنفيذ الاعدام الجماعي ويصحبه اكتشاف اجساد مشوهة كل صباح . ويعتقد معظم الجيران ، دون ان يجرؤوا على ان يقولوا لي ذلك ، فأنا أقرؤه على وجوههم ، أن نعيمة لن تعود أبداً .

امس اقترب مني شخصان مجهولان في الشارع ، وفتشاني امام دكان خياط . قال لي الخياط بعد ذهابهم بهيئة طبيعية للغاية :

ــ نعم ، لقد وضعوا بعض الاشياء ههنا .

– وكيف ذلك ؟

قال : ايه

ففهمت .

واكتشفت في تلك اللحظة : ان الخطر لايثير في الا رد فعل من التحدي .

بعد ظهر ذلك اليوم ، بينما كنت اجتاز الشارع الذي يفضي الى ساحة سوق الغزل المزدحمة ابدا ، تحرك الفخ . فاجأ الناس أول الأمر ثم تصاعدت الصرخات . كان قد انطلق عياران ناريان ، وتلاهما انفجار ، وراح الناس يتدافعون ويطأ بعضهم بعضا ، وفرغت الساحة في مثل لمح البصر . لم يبق هناك الا جسد انسان لايرى وجهه ، ممددا . فهربت لاتجنب وقوعي في ايدي الشرطة الذين كانت صافراتهم قد شرعت تثقب الهواء .

والتجأت الى دكان حذاء في الشارع المجاور .

سألني الصانع وهو في دهشة من دخولي المفاجيء :

– ماذا ؟ ماذا يجري ؟ هل من جديد ؟

قلت له :

– أما عن الجديد فليس هناك الا هجوم حدث منذ قليل في سوق الغزل .

وتوقفت مبهور الأنفاس .

فقال :

– آه !.

وأضاءت ابتسامة شحوب وجهه الطويل الناعم :

– وددت لو أراهن أن سيحل السلام ، وددت لو اراهن أنك ستحمل الينا السلام .

قلت له :

– السلام ؟ انه شيء ماسمعنا أحداً يتحدث عنه .

انني ما ازال احتفظ بذكرى واضحة جدا عن هذه اللحظة وعن الكلمات التي تفوه بها . وهي ذكرى بلغت حدا من الوضوح حتى انني لم أكد أتوقف عن اجابته

والضحك بدوري ضحكا عصبيا من فزعي حتى هز الشارع انفجاران آخران . وسمعنا ، هذه المرة ، عواء متوحشا يتصاعد قربنا ، وانبعثت طلقات طائشة . وسرعان ما استحالت الى عاصفة وهبطت تحت ابصارنا أشباح تحطمت بضربة واحدة .

وتقاربت شهقات المدافع . فأوحيت الى الحذاء ان يغلق دكانه . فأقفل الباب دون ان ينبس بكلمة ورمينا بأنفسنا على البلاط .

كنت أصغي الى اللجب الذي يغور في الشارع ، ولا اذكر انني شعرت بالخوف . كنت هادئاً بارداً : أتطلع لمعرفة ماسيجري وحسب . وتتابعت الثواني ببطء بارد .

قرع الباب آنذاك قرعات شديدة كأنما تريد ان تهده . أراد الحذاء أن يفتح فسألني ذلك بنظرته . أشرت اليه الا يتحرك . تضاعفت القرعات واتخذت شيئاً فشيئاً شكلاً آمراً ، وازدادت غضبا . وفي النهاية استسلم الباب ودخل احد الجنود . لم يطل بحثه . لقد التقط رفيقي من رقبته وجره الى الخارج وحين وصل الى العتبــة ضربه بأخمص بندقيته على بطنه ضربة شديدة جدا ممـا جعل الحذاء يتقيأ كمية من الدم ويسقط ، ووجهه متجه نحو السماء . واذ رأيت حقيبة فوق رأسي تسلقتها واختبأت فيها . الا ان الجندي لم يرجع .

انتظرت وأنا مضطجع فوق ، في الظل ، بجانب لفائف الجلد . كنت اتبين من مكاني ، بين صفيحتين منفصلتيـن ، قسما من الشارع . كان الفسق يسيل سيلاناً خفيفا الى الحانوت الصغير . لم اقم بأية حركة بل كنت أنظر واستنشق رائحة الجلد . وكانت الدقائق تمر .

لقد ابتعدت الزوبعة ، فلم يكن يسمع الا هدير اصم خلال شعاب المدينة .

نهضت ونفضت ثيابي . وكان عليّ ، وأنا أخرج من فرجة البـــاب المخلوع ، أن أخطو فوق جسم الحذاء ، وكانت الشوارع التي سلكتها هادئة ومقفرة على نحو غريب .

* * *

لقد قبلنا ان نموت ، الا اننا لم نتمّ بعد ان نتخلى عن ذواتنا . في هذه الليلة كان فكري والبلدة والحرب صامتة كلها . نهضت ونظرت حولي ، لقد بدا لي كل شيء خالياً من المعنى . الأولاد نائمون ، لماذا كان هؤلاء الاولاد ؟ وماذا يفعلون هنا ؟ تملكتني رغبة في ان ارتدي ثيابي وأجري حتى البلدة القديمة رغم منع التجول . ثم وجدت مشقة بالغة في ان اعود فأنام . نمت . كنت رأسي تتدحرج في مدّ لانهاية له .

خرجت مع اول خيوط الفجر . ثمة اناس مستعجلون قد انطلقوا الى اعمالهم ، ودراجات تزوغ بين الجمهور وهي ترن اجراسها ، وتائهون متجولون يزحمون الارصفة . اما في سوق الغزل فالمخازن الوحيدة المغلقة كانت المخازن التي صُرع اصحابها .

وكانت آثار القنابل فوق الساحات ، وحواجز الحديد الممزقة ، ماتزال هنا . لم اكن احلم : فالزجاج المحطم والقرميدات المتفجرة تغطي ارض الشارع .

بلغت دكان الحذاء .

كان مغلقا . لقد تركته أمس مفتوحاً . اما هذا الصباح فان قفلا موضوعاً بين رزتين كبيرتين يغلق مصراعي الباب . فتأملته فترة . وماذا عن الحذاء ؟ ماذافعلوا به ؟ دخلت مخازن التجار من جيرانه آملا أن أضيف الى ماأعرف شيئا جديدا . الا انني لم أحصل على كلمة منهم سوى انه لن يكون هناك جنازات . فكل الجثث التي رفعت ليلا قد حملت الى المقبرة ودفنتها السلطات من غير أن تنبيء الأمر بذلك . ومضيت اتنزه .

انني اسير بلا هدف وأشعر أنني منفصل عن هذا النهار العاري . ينبغي أن أفكر ... أفكر ؟ إن هذه السماء المكشوفة وهذا الضياء الزغيب وعذوبة الاشياء هذه لتمنعني من ذلك .

سرت طويلا في المخارج ومرعان ما لاحظت ان كل شيء كانت تسكنه رائحة الدم ومذاقه .

* * *

في الليل ، أيقظتني مرة اخرى يد قاسية ، فأرهفت السمع . كان عواء يتصاعد من منازل بعيدة . وكانت صيحات اخرى لا تقل عنها وحشية تنتشر من حي الى حي . وانبعثت طلقات نارية ، تصحبها طلقات من رشاشات . فأصغيت ، وانا جامد ، ألتقط انفاسي . كنت صرخات الألم والفزع هذه تطلقها النساء والرجال ثم ساد الصمت . أغلقت عيني ، ان حيوانات سفر الرؤيا تستطيع ان تأتي لتجتاز الارض .

ليس ثمة الا سيارات تهدر من بعيد ، وتختفي ضجيجها ايضا .

في الصباح ، السماء مغسولة بزرقة الكحول ، والضياء باهظ . ومامن احد يمضي الى مشاغله الا والجزع منوط بقلبه .

لقد اكتشفت اجساد المقتولين ملقاة على ابواب المدينة . كانوا حوالي عشرة بينهم ثلاث نساء .

الحرب تمتد وقد تدوم سنوات اخرى وما من احد يتخيل بعد اليوم أن بامكانه

الانسان ان يعيش الا في وسط الضجيج المستمر لاطلاق الرصاص والانفجارات. وسرت انباء جديدة فتهامس الناس بها. لم أكن لاسير في الشارع دون أن ألتفت في أغلب الاحيان الى الوراء. ودون أن أكون على اهبة الانبطاح اذا ماقذفت قنبلة يدوية أو انفجرت قنبلة. وان رؤيتي لأية حركة مريبة تجعلني الزم الحذر، وما كنت لأنتظر قط انتهاءها كيا أهرب. فليس يثق الانسان اذا هو خرج من منزله أن يعود اليه حياً.

ثمة ساحات واسواق ومفارق معينة ولاسيا تلك التي تحرسها مراكز قوات الحكومة، ولقد عدلت نهائياً عن المرور في هذه الاماكن. وكذلك الأمر بالنسبة للشوارع والطرقات المسدودة بالاسلاك الشائكة. وليس من الخير الالتجاء اليها ابان الهجمات: ففيها يمسك المرء كأنه في مصيدة.

وبينما كنا قد سلمنا الى جزارين وقد قيدت ايدينا وارجلنا، كانت الحرب الحقيقية تجري في مكان بعيد، لذا كنا نبحث عن دفاعنا الوحيد ضد الفزع اليومي والفوضوي وانهيار المؤسسات والقوانين. لقد سبق ان دفعنا الثمن غالياً جداً كيا نتردد اليوم أو نتراجع. لقد بدأ شيء ما وهو شر من الحرب نفسها.

اود في بعض اللحظات لو أجد الموت في احدى الهجمات غير المعدودة التي تشن كل يوم، ان هذا الدم الذي تلطخنا به وعفونة المسالخ جعلات قلبي يدور واشمئز من كل شيء. ثم اشعر فجأة بنهم شديد الى الحياة ورغبة عارمة في معرفة ماسيجري فيا بعد، حتى انني أصبحت على اهبة ان اجابه كل الجيوش والشرطة في العالم.

بأية وسيلة سيعيش اولئك الذين سينجون من الحرب؟ وماذا تعني العـــودة الى السلام عندهم؟ لقد فقد العالم بالنسبة الينا مذاقه ولونه، كيف سينجحون في اعادة تكوين وجه انساني له؟

ماكدت اجلس في مقهى (تيزاوي) اذا دورية تنقض علينا، ودفعت مرفوع الذراعين الى الداخل مع سائر الزبائن الجالسين الى الطاولات على السطح. وانتظرنا، ونحن مضغوطون حتى لنختنق، أن يأتي دور كل منا كي يفتش وتفحص هويته «ويقلى». وكانت الفوهات السود للمدافع الرشاشة تنذر بالموت كل من قد يجرؤ على الحركة. ولبثنا ساكنين وسط هذا الصمت حيث حل هدوء غريب. وقلت لنفسي: «لن يتمكنوا، لن يتمكنوا منا».

استغرق تفتيشنا ساعة، وكان على كل انسان خلال هذه الساعة أن يثبت رباطة جأشه. وخضعنا لظهيرة مليئة بالتهديدات. كانت حنجرتي تتألم مما ابتلعت من شتائم..

وموعد منع التجول الجدد في الساعة الرابعة والنصف لن يتأخر في اخـلاء الشوارع ؛ غادرت المقهى وبدلاً من أن أعود تواً الى المنزل آثرت أن اسير قليلا . كان انتظـار يميت يجمد باحات المنازل . وكان الناس يسيرون صامتين بخطى حذرة . واتخذت المدينة المتقوقعة على نفسها التعبير الذي تتخذه في الأيام السيئة .

كانت هضاب (المنصورة) الزرق في نهاية الشارع وهي تنعكس على سماء رقيقة، تبعث في وجهي وعداً ثابتاً بالسعادة . ووددت لو تجولت حول الاسـوار واجتزت الأبواب و ... لو استطعت الى ذلك سبيلا !

واقتصر هدف نزهتي على الوصول الى كشك الجرائد في ساحة (أوتيل دوفيل) حيث استطيع أن القي نظرة على الجرائد دون أن اضطر الى شرائها لأنني اعرف البائع الذي يشرف على الكشك بعض المعرفة . قرأت الأخبار التي تشبه أخبار أمس ومضيت . مررت وسور المتحف الحديدي ، وكنت قد بلغت زاوية الشارع : وعندئذ حدث ذلك ، فقد هز الاشتعال المفاجىء الجدران من حولي واصطدمت بالهواء الذي حرق وجهي . وفي الثانية نفسها حـدث انهيار الزجاج المصم للآذان وانطلقت صرخات من جميع الصدور . وكان الناس في الشارع المملوء بالدم يهربون في كل اتجاه . ولجأت اقرب شارع. وكانت الصرخات والنداءات والاوامر ماتزال تسمع .

كنست الطرق الطلقات الدافع الرشاشة وسقط امامي رجـل ، ثم امرأة تشربكت بملاءتها .

وتجمد الشارع .

تدفقت الشاحنات مزمجرة بكل صافراتها وتوقفت بفظاظة ، ثم قفز منهامظليون وهم يحملون الاسلحة . واشار اليّ واحد منهـم ذو عينين زرقاوين جامدتين أن انصرف . فابتعدت .

الا أن الجنود الاحتياطيين من ابناء البلد في زاوية الشارع المجاور ، امروني بالتوقف . فتسمرت في مكاني . ثم عزمت وأنا أجابهم بنظرتي أن امضي اليهم ، كنت أتوقع أن يصوبوا النار علي في كل ثانية . كنت هادئاً كل الهدوء بارد الاعصاب ممتلئاً احتقاراً . وقلت في سري وأنا ارغم نفسي على التقدم «لن نتيح لهم أن يسروا برؤية تذلل الشخص الذي يصرعونه » . كان هناك وجوه أعرفها بل كان بينها وجوه رفقاء قدامى في الصف.

صرخوا بصوت واحد :

ـ لاتتحرك .

خطوت بضع خطوات فاعتراني شعور بالغثيان. لم أعد أذكر بالتفصيل ماحدث بعد ذلك ، فقد أعادوني الى الساحة بعد أن تلقيت ضربة على نقرتي ووجدت نفسي بين مجموعة أخرى من الجزائريين والبنادق مسددة اليهم وكانت أجساد الاحياء منهم تتمدد على مرتفع من الشارع ، كان بعضهم قد مات أو على وشك الموت . وأن واحد من المحتضرين أنيننا ضعيفاً على اقدامنا :

ـ ساعدوني ، ساعدوني ...

لم يقم أي انسان ليساعده . وكانت مطاردة البشر مستمرة في الساحة والشوارع المتفرعة منها . أشباح ترتدي ثياباً رسمية منحنية الظهور وأسلحتها مصوبة الى الأمام تركض خلف أشباح أخرى منهزمة . وكانت بعض هذه الأشباح ترفع ذراعيها فجـــأة وتسقط ووجهها الى الامام وتختلط مع الحضيض الرمادي .

راح رجل كان قد خرج في تلك اللحظة من احد البارات يصرخ ويحرك يديه وهو يشير الى شخص ما واقف في زاوية :

ـ هاهو ذا . هذا الذي وضع القنبلة . هذا هو . فقد رأيته .

نظر اليه الآخر دون أن ينبس، وشد قبة حقيرة الى صداره الاسود القذر الذي كان قفـــاه المدعوك يتطالب على صدره . وأسرع بعض الجنود الاحتياطيين قبل غيرهم فأمسكوا به من تحت ذراعيه . أما هو فلم يظهر نحوهم أية مقاومة . فقـــادوه الى وسط الساحة حيث أطلقوا نيران بنادقهم عدة مرات في صدره وبطنه ، فهوى دون أن يترك قفته الحقيرة .

وصرخ الواشي ، وهو بائع كتب :

ـ عاشت العدالة !

كان هذا الانسان ، هو عامل بناء كما تدل على ذلك كل الظواهر ، قد انتقذنا ولا شك ، كان اصغر حجماً وهو ميت ، ممـــدداً في وسط الساحة ، متحجرا . الا انه بدا يتحدى كل البشر الآن . لم استطع أن ارفع بصري عن وجهه ، وأتحرر من صمته .

وفي الواقع فقد سمح لنا بالمضي بعد قليل . ورفع الحصار وسار السكان بحرية : انطلق راكبو الدراجات بسرعة ، ودخل بعض الزبائن المخازن وخرج منها آخرون ،

وأطلق شاري الثياب العتيقة صرخته الغريبة، ووصل بائع خضراوات وهو يدفع عربته. لقد انتهى الفزع . ولم تعد تخفق الا موجة غامضة من الدم، الا انها كانت تلطخ كل شيء، وتثقل الرأس والقلب . تابعت طريقي وسرت في الدرب الذي يصعد نحو حينا .

* * *

الارتياب نفسه ابدا ، والجنون عينه ابدا . وهنالك دائما ذات الهوة الفاغرة فها التي تبتلع وجودنا .

في هذا الصباح اكتشفت عشرون جثة معروضة في الساحة القديمة . فذهبت الى هنـــاك . كان كثير من الاشخاص يركضون الى ذلك المكان كذلك ، وكانت تهرب الى المنازل وجوه ذات عيون مشتعلة .

وعلى اطراف الساحة كان الجنود يرجعون السكان بالقوة ، مقيمين الحواجز في جميع الشوارع ، ولم يكن باستطاعة الناس أن يمضوا الى ابعد مما وصلوا اليه ، ورحت ادور من هنا ومن هناك .

في هذه اللحظة ظهرت اغرب مسيرة طافت ببلدتنا. كانت تتألف من نساء سافرات واطفال فقط . وتقدم هذا السيل الجارف وهو ينشد بصوت عال نشيد التحرر . العنف والغضب والالم والتحدي . ولم يكن هناك من يعلم أيا من هـــذه الامور كانت اشد دفعاً لتلك النسوة واولئك الاولاد الحفاة ، وحملهم على إلقاء انفسهم امام المصفحات ؟ كان علم أبيض وأخضر مصنوع من الاسمال ومعقود حول عصا يتموج فوق رؤوسهم ، اصطف المظليون حول الساحة : فعمدت النساء اثناء مرورهن الى نزع قبعاتهم عن رؤوسهم .

لعلعت الاسلحة الآلية فجأة ، وأحسست كأن بصري يغيم . عند ذلك شعرنا ، نحن الذين ننظر اليهم ونسمع اصواتهم العنيفة تتصاعد الى السماء ، أننا نذوب في بوتقة الموت والدم نفسها . ووددت لو اركض نحوهم ، وأجأر بهذا النشيد ، وأن يصوّبوا النار عليّ .

تحولت عاصفة النار نحونا فتفرق الناس جميعا ، وداس بعضهم بعضا خلال الضياع وركعوا على الارض .

الساعة الثانية صباحا .

هز الفراغ دوي انفجار . وارتفعت ضجة في مكان ناء . ورسمت طلقات النار آثارها في الظلمة ، مثيرة ردا من الطلقات المتشنجة . مرت الدبابات فرجت المنازل . ثم لم يحدث شيء . ولم يعد المرء يسمع أي شيء وأضاف الصمت جدرانا أخرى الى الليل .

بزغ الفجر في طراوة كطراوة الزبدة ، وانسكبت اطنان من الضياء ، حتى الجنادب خدعت بها ، فعادت الى الحياة،وهي ترسل صريرها . ومن المنازل افلتت اسراب من الصغار الذين يستحوذون على الشارع .

ان أملاً احمق يشد ازري اليوم . ماذا يعني ذلك ؟ أهو أمل الثبات أمام الانهيار العام رغم كل شيء إنني على اهبة أن أقسم ، سواء صدقني الناس أم لا ، أن النجاة والسلام والنصر هي أمور تتعلق بالمستقبل . انتصبت بقسوة وأنا اهتز واغني واشجع الآخرين.

وابان ذلك أخذ لاجئون من الريف يتدفقون . كانوا جائعين منهوكي القوى ، يحملون معهم رائحة الارض ونقمة خبيئة وحقدا صامتا . انني احلم بهدوء الحقول التي تحيط بالمدينة وبالتهديد الذي تنضوي عليه . حتى الاشجار بدت جامدة ، والاوراق موحشة تلسعها لهبات خفية ، وتبدو كأنها تترصد شيئا ما .

ان رؤية النسوة أمام ابواب المنازل ، أو مجتمعات في الباحة،وسماع ضجةعاداتهن تعطيانني انطباعا غريبا مع ذلك ان ما من شيء قد تغير،وما من شيء سوف يتغير . ان ذلك ليشبه هذا الطقس الجميل الذي لا يتحرك فلا ضباب ولا امطار تعكر صفوه قط . ان هذا الزمان لهو الجنون بعينه .

انني ما ازال حرا على قيد الحياة ، ولكنني أتساءل في كل الأيام فيم استحق ذلك وماذا يفيدني . يستمر صوت البنادق في الانفجار في كل حين ، ويتجه خاطري فجأة نحو نعيمة ، ثم يعود الى الاخطار التي تحملها الي كل ثانية . انني افكر فيها في الليل حين اصغي ، فاتحا عيني في الظلام ، الى أدنى ضجة في البلد ، ولكنني افكر فيها في الصباح بخاصة حين يستيقظ الاولاد ونكون بأمس الحاجة لوجودها . كان لهذه الاصباح المنعشة الزرقاء ، التي تكاد تكون اصباحا شتوية ان تصالحني مع العالم بلء خاطري لولم أكن أستيقظ كل ايام والغم ناشب في قلبي .

ما الحياة الا كابوس مرعب ، وان الانتظار ليتحول شيئا فشيئا الى اذعان لما هو محتم . لقد دخل في روعي ببطء انني لن أرى نعيمة ابد الدهر ، وانها لن تعود ، ولن تسير ابدا في هذه الغرفة . ومع ذلك فقد ظللت احيا ،وظللت أترصد الضجة والأصوات في المنزل ، واصغي الى حكايات الجيران .

مرت بعد ذلك عدة ايام عصف فيها الهواء . ومات الخريف . اما عظمته المطرودة

فقد سمحت للون الرمادي أن يستقر أخيرا . تصلبت الاشجار . وفوق أغصانها اليابسة ملأت الغيوم القاتمة صفحة السماء ، ولقد تمتعت بهذا التغير رغم يأسي وقلة مبالاتي . فقد أصبحت الأيام الاخيرة من الخريف أياما لاتحتمل لفرط الضياء والشفافية والنقاء .

وبدأ المطر يهطل ؛ وكان في ذلك الخلاص ، لقد هطـــل المطر مدة طويلة . كان مطرا مستمرا منتشرا لايمكن تنشقه ، ينساب ببطء في بلدة جافة ، وراحت حرب الشوارع تضعف حدتها .

المطر مايزال يهطل بينما أثير هذه الذكريات ، كأنه لم يتوقف عن الهطول منذ ذلك الحين . لقد استنفدت أياما وأسابيع في البلدة المبللة التي تسح منها المياه ، في ممرات ومساع وتضرعات ، طرقت أبوابا لاحصر لها لكي ألقى زوجتي . كان ذلك أمس ، فيما يخيل إلي ، كان ذلك اليوم . وذهب جهدي أدراج الرياح . تابع المطر هطوله في عالم أسود على أشجار عارية ، ومنازل سودتها المياه . انظر الى هذه السماء المنخفضة الثقيلة ، وتعود فتنبعث أمام عيني السماء المقلقلة نفسها التي كنت فيما مضى ، والشوارع الغارقة في الابخرة والضباب نفسها ، وأشباح السابلة نفسها . كان نوع من الأمل مايزال يدعمني ، صحيح أنه أمل منتحر في مناطق بعيدة كل البعد حتى لأتردد اليوم في تسمية ذلك أملا . كانت صخرة قد ألقيت في هاوية ، وكنت أصغي الى صوت سقوطهـــا الذي لاينتهي . كنت انا تلك الصخرة ، وربما كان الأمل الذي تعلقت به هو ألا تبلغ القاع أبد الدهر .

وكنت إما ألقت بقعة من السماء خالية من الغيوم ضياءها على المدينة بين الفينة والفينة ، خرجت وهمت على وجهي في الشوارع . كنت أحاول أن أهتم بحياة الآخرين عجزا مني عن الاهتمام بحياتي ، وعلى هذا فلم أكن أعتني بنفسي . وفي ذات صباح ، وفي ساعة مبكرة جاء شخص ما يستدعيني من المنزل .

كان هذا الرجل الذي ينتظرني على عتبة الباب إنسانا ما عرفته قط . فجذبني الى الوراء قليلا وراح يحدثني خافتا صوته . شرح لي أنهم منذ أن مات الحـــذاء وجدوا أنفسهم في ارتباك شديد ، فكأنه تلعب دورا هاما ، ولم يكتشفها رجال الشرطة رغم ماحدث . فيمكن اذن أن تستعمل مرة أخرى .

ثم أضاف :

ـــ لابد انك كنت على وفاق معه مادمت جئت تسأل الجيران في اليوم

التالي للجزورة عما حل به . ومنذئذ لم نعثر على شخص يحل محله ويعيد فتح الدكان. لا شخص معروفاً بين الجيران بخاصة. ومن الضروري جداً استعادة هذا المحل . ألست تريد أنت ... أوه ، ان لديك متسعاً من الوقت لتفكر ، فنحن لا نستعجلك . بل لست مرغماً على القبول اذا كان ذلك لايرضيك .

تركت هذا الرجل يلقي كلامه ، فترة تسمح لي بتكوين فكرة عنه . ثم قلت له آخر الأمر .

– هل معك المفاتيح ؟

فسحب من جيب بنطاله حلقة تجمع مفتاحين . فأخذتها ومضى .

انني اوقف هذه الذكريات : فتفكيري بزوجتي وبالحذاء وبالآخرين هو الذي دعمني وساعدني على العيش حتى هذا اليوم . فقد عرف هؤلاء لماذا ماتوا .



ديوان المعرفة

احرفنا الحمر

شعر أبي سلمى



رفّ في غزّة الهوى والعبيرُ

إنه الشوق في الربوع يزور

ماعليها اذا انجلى الليل عنها

ساعة الشوق وانطوى الديجور

ماعلى القفر بعدما اقبل الأهل

اذا ما انتشت عليه الزهور

زحفوا يلثمون رمل حام

فاذا الرمل روضة وغدير

ماعلى الشعر إن تساقط كالأنجـــم حـــتى يلوح صبح منير
ماعلى الدمع إن تلالأ حتى يتلاقى في الحروف نار ونور

* * *

ايها الحاملون أحرفنا الجمر صَلاهـــا تشرّدٌ وسعير
ماعليكم اذا مشيتم على الجمر قليلاً ؟ انّ اللهيب طهور
قد مشينا عليه دهراً وهذا الدم في الدروب شارة ونذير
شِعْرُنا عابق الشذا من دمانا تتلظى حروفه والسطور

* * *

يخجل الشعر حين يغفو على الاعتاب ، لاكان ان عداه الشعور
هو إن لم يحشد أماني فلسطين وآلامها ، لَقىً وقشور
كل حرفٍ حرٍ يضيء طريق الشعب ، كالسيف للجهاد يشير
وهج الشعر حرقةٌ والتياعٌ ليس فيه مُذَهّبٌ وحرير
كم حروفٍ وليس فيها حياة وحروف فيها دنى وعصور

* * *

لاتسلني عن الديار وأهلي أنكرتهم حتى الصُوى والقبور
وشظاياهم على كل أرضٍ لفظتهم آكامها والصخور
فخيامٌ جريحة تتشكى وشعاب غريبة ووكور
من وراء الحدود تبكي المروءا ت عليهم ودورهم والقصور
ماهذي الحدود تمتد في الأفق وتطغى اعماقهـــا والجذور
هي إن لم تزل فليس لدينا دولٌ حرةٌ ولا تحرير

* * *

كثرت بيننا الدويلات زوراً وقليلٌ والله هذا الكثير
لايَنجيرون غير كل عدو وديارِي على المدى تستجير
ويثورون كل يوم علينـــا وعلى غاصب الحمى لم يثوروا
كيف يعلو على المسارح منهم تاجرٌ اوممثـــلٌ أو أجير
وفلسطين يابقايا فلسطين فهل أسدلت عليها الستور
قد مللنا النواح في كل حَفلٍ ليت شعري متى يدوّي الزئير

* * *

كلما سرت في دروبك ياغزّةُ غنى شعبي معي والطيور
فالنسيم الذي يهب علينـــا من ربانا هفت اليه العطور
حاملاًمن أريج عكاءَ والرملة طيبـــاً تغار منه الخمور
ليس الاّ على ثراكِ تهـــاوى الظلم والغدر والاذى والنير
وحّدتنا دماؤنا في الميادين وماض هام لنا ومصير

* * *

داميات الحدود من خَلـَل الدمع تنادي متى يكون العبور
ومتى يهزج التراب على وقع خطا أهلنـــا ويعلو النفير
ومتى تهبط النجوم على السفح وتأوي الى ذرانا البدور
ومتى تنشد الجبـــال أغانينا وتُصغي شطآننا والبحور

* * *

ان جيش التحرير جيش فلسطين تنـــادت فرسانه والنسور
وجنـــاحاه ؛ في الشآم جناح وعلى غزة الجنـــاح الأثير

جيش حطين جيشنا ، يزحف اليوم فقد آن أن تُوفّى النذور

الدويلات والحدود تداعت   وتولّت آثامها والشرور

عَلَمٌ واحد وجيش وحيد   ونضالٌ موحّد ومسير

وأزيل المستعمرون عن الارض   ولم يبق غاصبٌ ومُغير

وأطلّ الشعب الحبيب على دنيا   ه تزهو به العلى والدهور

وأمام التاريخ يخفق في الساح عليهم لواؤه المنشور

لاتراعوا عند اللقاء اذا ما   رَفّ في غزةٍ الهوى والعبير



يناديكم عصام

شعر زكي قنصل

— بونس ايرس

على الاخلاق والأدب النضير ... سفحنا دمعة القلب الكسير
هوى من افقه كالنسر هاضت ... جناحيه يـد القدر المغير
فتى مهر القضيّة اصفريه ... وعايشها الى النّفَس الاخير
رأى الشذاذ يغتصبون ارضاً ... مقدسة من الوطن الكبير
فهاجت نخوة العربي فيـه ... وثارت فيه ثائرة الضمير
احس الشهد في شفتيه صاباً ... وغصّ بحسوة الماء النمير
وحال النور في عينيه ليـلاً ... وأدمى كفه لمس الحرير
أتُنتهك العروبة في حماها ... ويرضى ان ينام على وثير؟
ايرجوه على البلوى شقيقٌ ... ويعرض عن رجاء المستجير؟
معاذ المجد .. واصطفقت بنودٌ ... تحيي طلعة البطل الخطير

* * *

عصام تركتنا والليل داج   فمن يرجى لمعركة المصير ؟
رسمت لها الحدود فكيف تمضي   وجيشك لايزال بلا امـــير
ولم نبرح ـوعين الخصم يقظى ـ   نلوك سفاسف الامر الحقير
يزاحم بعضنـــا بعضـــا ويمشي   كبير السائرين على الصغير
سألتك ياعصام وأنت ادرى   واخبر بالطبائع من خبـــير
ايجتمع الذين عـــلى ضلال   وتخسأ دعوة الحق الجهـــير ؟
اتلتف القلوب على دخيـــل   وينكفىء الاصيل بلا ظهير ؟
بني أمي يناديـــكم عصام   وينذركم فحيٌ على النذير :
حذارِ من التفرّق فهو داءٌ   يهـــدّدكم بشرٍّ مستطـــير
سبيل النصر بذلٌ واتحادٌ   وايمان يسير عـــلى السعير
اذا لم تزرعوا الا كلاما   فلن تجنوا سوى الفشل المرير!



الغابة

شعر عزيزة هارون



لماذا انت لم تأت الى الغابه
لتلقى قلبي الدامي واوصابه

* * *

لقد قدمت للنمو سني عمري
فعل النمو في صدري وماصدري
سوى دنيا من الالحان والشعر

* * *

وذئب الغابة الضاري ، ألم تسمع حكاياه
فمذ كنا صغيرين سمعنا عن مزاياه
اساطيراً من الرعب واهوالاً عرفناه

* * *

لقد خفت من الذئب تسلقت على نخله
كتمت من الأسى رعبي وكنت ندية طفله
فصوّح زهر ايامي جنون الخوف والعزله

* * *

وفي ليل طويل الصمت لم يغمض به جفني
وثعبان يلفّ رؤاه من غصن الى غصن
أرقصه على لحني فيسكو قلبه حزني

* * *

أداريه واغلبه ليرحم جرحي الدامي
واسقيه الندى المسفوح من قلبي والهامي
ويسقيني تباريحي ويرشف دمعيَ الهامي

* * *

ولولا طيف جنيّة يسامرني بليلاتي
لعفت العيش في بؤسي ولم تزهر هنيهاتي
ولم يصبح عبير اللحن انداء بآهاتي

* * *

عرفت الآن احزاني وماقاسيت في بؤسي
وكيف نثرت في الغابة بوحي في شذى نفسي
ومازال الهوى يخضلّ في قلبي وفي كأسي

* * *

تعال اليّ بعد اليأس بعد الجور والظلمه
فروحي لم تزل روحي واني لم ازل نجمه
اداعب شعري الحاني تداعب شعري النسمة

* * *

عسى ان جئت تلقاني اراك حبيبَ الحاني
وانسى بالهوى نفسي وادرك سر ايماني

واعرف انني انثى تعيش بقلب انسان

* * *

فمازلت اجوب الليل أبحث عن سنى عمري
أكفكف دمع اشواقي الى ظل الى زهر
أيخبو وهج إشراقي وينضب منبع السحر

* * *

فواهاً من كهوف الغاب من حيّاته السود
لقد عشنَ بأحلامي و عانقن اغاريدي
وسرن بيقظتي رعباً على بؤسي وتشريدي

* * *

وكم قاسيت في اسري و كنت غريبة الامر
افجّر قلبي الظمآن احــلاماً ولاادري

واقرأ سورة الاكوان بالايمان والكفر

صلاة للزهر البخيل

شعر خليل الخوري



عيناكِ حين ترنوان تعنوانْ
وألفُ عامٍ فيهما أرى، أرى هوادج الزمانْ
ثقيلةً تسير فيهما، وآنَ تحلمان تلبسانْ
غلالتيْ حنانْ
من مدن الأسى سداهما
وآنَ تضحكان تبكيانْ

* * *

عيناكِ زورقان يبحرانْ
يسائلان الغيب عن مكانْ
يعيش خلف هوّة الزّمانْ
ونجمتان في المدى العريض تسريانْ
ويلهث الزمان متعباً ليطفىء البريق فيهما

* * *

يا هودجين حُمّلا جمانْ
يا دوّتي عذابي الجميل
يا كوكبي سراي في الرحيلْ
قولا لهذا الزمنِ البخيل :
صلاتنا لم تنته
وفي الطريقِ موفأً ونشتهي
نروده لعلنا نعانق الصفاء
قولا لهذا الزمن البخيل
يا نجميّ حُبّي إذا أظلّني المساء .

* * *

وحين ترتمي الكؤوس ترتمي ستائر الحنان
وألمح الجواحَ فيهما
فتعدوان ، تعدوانِ ، تعدوان
وتعنان في الفرار تعنان
ويلهث الزمان في إثرهما
مقهقها : « ياعبثاً ما تعدوان تبحثانْ
في جزر الكؤوس عن أمانْ
عن ملجأ يحميكما من سطوة الزمان » .

* * *

وتلهثان ، تلهثان ، تلهثان
وتيأسان يجثم الذعر عليهما

ويرتمي الموت لديها
تضحكان ، تضحكان ، تضحكان
ويطفو الضياع فيها
وألفَ عامٍ فيها أرى ، أرى أظافر الزمان .

* * *

يا نجمتين ملّتا السرى
تفتشان عن وجودٍ أبلهِ
وتهربان من وجودٍ أبلهِ
قولا لهذا الصنمِ المؤلّه :
« ضياعنا لن ينتهي
فكفَّ عنا برهة أتعبنا الرحيلْ
أذابنا جرحنا ونشتهي
لو غفوة بلا زمن
في موقفٍ سرابنا صوّره تعلّةً لنا
ووهمنا زخرفه لنا وطنْ » .

* * *

قولا لهذا الزمن البخيل
يا نجمتين حين تحلمان تعنوانْ
وحين تضحكان تبكيان .

وحد الله

شعر رياض معلوف
— زحلة لبنان

وحّد الله فالمؤذن وحّــد ... وبذكر النبي في العيد أنشدْ

يارسول الأنام انتَ وعيسى ... خير من يصطفى ويرجى ويقصدْ

أينما سرتَ رُكّعٌ لصلاةٍ ... ودعاءٍ كأنما الشرق مسجدْ

عيدكَ اليوم غبطةٌ وابتهاجٌ ... لجميع الأعراب والله يشهدْ

إيه قرآنكَ الكريم فشعرٌ ... رائعٌ كله ودرٌّ منضدْ . .

عنبرٌ كلــه وقولٌ كريم ... كلما طــال عمرهُ يتجددْ

وكفى العرب فخرهم بنبيٍّ ... عبقريٍّ هو النبيّ محمّدْ . .

الجدران

شعر ممدوح عدوان



كلما أوغلت في عينيك بحثاً عن عزاء
تعتريني رعشة كالموت في قلبي
ويبكي في مآقيّ الشتاء
تنبع الأصوات حمرا من شراييني
وشيء مبهم يمتص من حلقي النداء
حولي عينيك ، ان الحزن يسري منهما
نحوي كتيار ، ومن دفقاته يهمي الشقاء
وعلى جفنيك يدعوني نداء أخرس النبرة
سحري الدعاء
وجهيَ المطليُّ بالأتعاب دامٍ
كلما حاولت أن اخطو إليكِ
صدني سور زجاج

* * *

تنبع الاصوات حرا من شراييني

وشيء مبهم يمتص من حلقي النداء

غير أني سأنادي

فلعلي أتخم الصمت دعاء

عل صوتاً يقحم الاسوار ، يسري في الزجاج

يسحب الدهشة من وجهي اليك

(دهشة دائمة قد غُرِزَتْ فيه فباتت كالقناع

وخيول الزمن المجنون هوجاء ،

غبار الدهشة البلهاء منذ البدء تذروه عليه

لم يجد وقتاً لتمسيح الغبار

ذابت الدهشة كالملح وشابت عرق الوجه فخلته ستار)

وجهي المطلي بالأتعاب يهفو لديك

عله يغفو لديك

متعب من صحبتي من ألف جيل

هائم كالريح من دنيا الى دنيا وراء المستحيل

قطرة النوم إذا جاءته يغفو

مثل لص هارب يسمع أصوات الكلاب

قبل ان يستيقظ يعدو

صار لايغفو ، ومثلي لايفيق

هائم مثلي في كل طريق ، هارب من كل دار

قافزاً دوماً ورائي من قطار لقطار

نبتت فيه ظلال السهر الصفراء لم تلق حصاداً بيديك
عندما يأتي لديك
هارباً مني .. اليك
أمسكيه ،
واصفعيه
علّه يصحو قليلاً .. فينام
قبل ان يدرك جدران الحصار .

* * *

من ترى ألقاك في دربي ؟
لماذا كلما حدقت في عمري يبكي في دمي طفل وماض ودوار ؟
ذلك الماضي رأى عينيك في حلمي ، فأجهشنا
ولكن لم يكن عندي دموعٌ
حينما يُفجَعُ يشتاق لدمع ،
نحن منذ البدء للدمع نجوعْ
غير ان اليوم كالومض يولي
ليته يكفي لبحث وهروب .. ولذكرى ودموعْ
آه لو يمتد هذا اليوم ساعات .. لأكفي ذلك الماضي بكاء
ذلك الماضي رأى عينيك في حلمي .. فثار
شدني بين يديه .. ثم طار
ورياح الحزن أدنته اليك
جاء كي يغفو ، كي ينحر جيلاً دامعاً بين يديك

غير ان الليل أقصاه مرار
ومراراً صده عنك جدار

* * *

مرة .. يوم التقينا ..
ومشينا
خلت اني احضن الكون ، وأجنيكِ طيوب
فأضيئت وسط أحلامي دروب
وركضنا .. مثل طفلين لنجتاز الصحارى
بغتة .. لم أدر ماأوقفنا في وسط الدرب حيارى
في ظلام الحيرة البلهاء تاهت كفي العمياء كي تسأل
كفيك طريقا لكلينا
صرخت في الليل — لاصوت لديها —
« أترى نحن بعيدان كذا .. منذ أتينا »
صدها عنك جدار أخرس .. وامتص ذاك الصوت منها
فتهاوت ... وبكينا



وجه فيروز

شعر نقولا قربان

– بيروت



من يذكر عن وجهي الضائعْ
خبزاً ... قدراً ... من يعرفهُ ؟
أمي عيناها تذرفهُ
فوق الشارعْ
تعطيه خبزاً للجائعْ
مطراً للأرض تسلّفهُ
أما الزارعْ
فيعود يعود يقطفهُ ...

* * *

وجهي والريح تعوّيه
وجعٌ ... فزعٌ تحت المطرِ
من يهجره فوق الحجرِ
من يذريه
من يرسمُ أطفالاً فيه
لُعَباً لبست ضوءَ القمرِ
وحماماً يهدل في السحرِ
ويصليه ...

* * *

يا أصحابي ، يا أحبابي
وجهي وطنٌ في ثورته
نهر الأرزات بجبهته ...
وبأهدابي
وحيٌ يتلى في المحرابِ
لإلهٍ كان بريشته
حرفاً ... مجداً ... ولمهرته
عرسُ الغابِ ...

النبتة المشنوقة

شعر مصطفى بدوي



ملاحني العتيقه
تـُصيبُ عين الشمس بالذهول
واملي المسحوق باحتقار
عاثت به الرياح
وانجدلت حدائقي حبال
مصبوغة بالذلِ ... بالنجيع
وانتحر الربيع
في مقلتي ، في لحظة اندحار ...

* * *

والخافق العجوز لايثور
يناشد التراب
هل يُنبت الرغاب ؟
أغوص في متاهتي واحصد الخراب
وامضغ العذاب
على شطوط الخوف والجفاف
الفجر ياملاحني تسمّرت خطاه
وارتطمت يداه
على صخور اليأس والحنين
لم أنت ياملاحني صخّابة الأنين
لم أنت في حنجرتي نار ولا رماد
سنابلي تعفنت في مواسم الحصاد ...

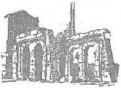
* * *

أكذب كل لحظة ... أزور الجمال
وأتلف ابتهال
لو كنت ياملاحني جسد
لخانك الجسد
وغازلتك رقدة الأبد
أمضغ هذي اللحظة الثمينه
الوكها ، ارسم من اوهامها الضنينه
عوالماً للحب للعطاء

للمرح المؤود في العيونْ
للنبعة المشنوقة الضفائرْ
على ذرى المنائر ...

* * *

ياعازفاً مكبّل اليدينْ
ياشَبَقي الكسيح
يامبدع الجرائم المحبّبهْ
في اللاوعي ، في المهج المعذبهْ ..؟



في قلقيلية

مهداة الى الطفل الذي سألته أنت من قلقيلية
فاجاب أنا من هناك ، يبقي وراء الحدود
وأشار اليه وبكى

شعر سعيد قندقجي

وسألت طفلا في الطريق أأنت من أهل المدينة
فأجاب مرتعشاً وفي عينيه آفـاق حزينـة
يا ألف مأساة تمثل في مشاعره الدفينـة
أنا من هناك ترى أتبصر أرضنا ؟ وروى حنينه
ضاعت مرابعنا ، وقال أبي : لقد أضحت سجينة
أترى تعود ؟ وألهبت خديه أدمعه السخينة
فوجمت ، أي فتى يحدثني ؟ ولم أدرك شجونه
هـو للنعـيم وليس للآلام تستهوي أنينـه

هو لابتسام العمر لا للحقد ينمو والضغينـة
لكن معترك الحيـاة طوى باعماقي سنينه
ولمحت عـار هزيمتي قصصاً مدنسة لعينـة
ماذنبه يسقي الحيـاة دماً ويطعمها عيونه ؟
عرف التشرد والضياع وذاق أكؤسه الحزونة
وافاق يسأل عن هداه وعن شواطئه الأمينة
ويقص والده عليه حكاية نثرت ظنونـه
كانت لنـا دار هناك وكرمة فيها مصونة
والبرتقـال يحوطها ويمـد مزهواً غصونه
وعريشة العنب الشهي تسلقت اطواً حصينة
والبركة الفضية الأمواه تستجلي فتونـه
حصاؤها غـارت من العنقود وابتدعت فنونه
وكلاهما كاللؤلؤ المكنون ما أشهى رنينـه

وأنا وأمك بانعيم نشيد أحلامـاً رزينـة
وسعاد أختك تملأ الآفـاق اشراقاً وزينـة
وتطل أنت فيانشيد أكنت منتظراً لحونـه
وتزغرد الدنيـا فقد وافيت جوهرة ثمينـة
حتى اذا انقضت الشهور تبدلت تلك السكينة
يوم استفاقت أرضنـا مزقاً مروعـة مهينـة
والبغي ويل البغي يبدي من نواجذه جنونه
الأرض تهدر والرصاص يذيق قريتنـا منونه

والجو يعصف يا لمجزرة الوضـــاعة والرعونـة
اني التفت وأيت اشــلاء مبعثرة مبينـــة
وحرائقاً شبت وآماداً معربـــدة دخينـــة
وسمعت أمك تستغيث ، فجئتها ، فهوت طعينـة
ناديتها فونت اليـــك ، فديتها أماً حنونة
وسعاد قربك جثـــة والموت مد لهـــا يمينه
وبقيت أنت لي العزاء عزاء قصتي المشينة
ومشيت في الركب المشرد والأسى يطوي متينه
في كل يوم تصلب الأبعـــاد من ركبي عيونه

* * *

نم يانعيم فتلك مأســـاة العروش المستكينـة
باعوا الديار لتسـلم التيجان عامرة مكينـة

* * *

نم يانعـــيم فأنت نذري للروابع والرهينـة
لا لن نكون الخزي يوم الثأر لا لا لن نكونه
سنعيد للشعب الأبي غداً مرابعـــه حصونه
إني نذرتـــك يابني لـكي تعيد له عرينـــه



الفنون

الكتّاب والموضوعات

تماثيل كوبنهاغن الثلاثة

• يقظة الضمير

• رفيقات الدراسة الطائرات

• انتظار العائدين



للدكتور جمال الفرا

يطيب لي كلما عدت الى بلد عرفته أن أحج الى تماثيله المشهورة كأنني ازور اصدقاء وثق الزمان عهدي بهم وان أقف حيال هذه التماثيل أتأمل وأكاد احدثها وتحدثني ...

والتماثيل في كل بلد معالم قائمة تذكر بصفحات من تاريخه وتخلد جماعة من أبنائه وتمجد مثله ومقدساته . وبعض هذه التماثيل – او الأقل النادر منها – آيات فنية رائعة ينطق فيها الصخر الأصم . وقد اودع فيها المثال طائفة من مزايا البلد وشمائل القوم يكاد يقرأها المتأمل في انعطاف الحجر المنحوت أو في انسياب البرونز المصبوب .

* * *

(*) الدكتور فرا يتنقل في اوروبة بين بلد وآخر ، ويسجل (للمعرفة) خواطره وانطباعاته الأدبية القيمة . وهو اليوم مع قراء المعرفة في كوبنهاغن الفن والتاريخ .

وإذا ذكرت التماثيل في الأزمنة الحديثة كان أول مايرد الى الفكر موطن ميكيل أنجلو : والواقع أن التماثيل في ايطاليا خلدت أمجاد امبراطورية روما ، وعظمة الفن في عصر النهضة ، وسلطان الكنيسة والبابوية ، وطيب الحياة في هذا البلد الجميل من حوض البحر المتوسط ، وهي العناصر الأربعة التي تكون شخصية ايطاليا في الماضي والحاضر .

وأضيف على سبيل المثال والمقارنة بلدين آخرين هما فرنسا والمانيا . ففي فرنسا تقوم في كل ساحة في المدن وفي كل قرية في الريف تماثيل لضحايا الحربين العالميتين الأخيرتين ولعدد لايحصى من الأدباء والفلاسفة والعلماء . ورجال السياسة ... أقلهم معروفون مشهورون واكثرهم لولا تماثلهم لما ذكرهم الناس ... وفي هذا صورة عن عاطفة الفرنسيين واشعاع الفكر لديهم وتشعب آرائهم وميولهم .

أما في المانيا فتقوم التماثيل الضخمة الثقيلة للملوك والأباطرة وللقادة الماريشالات على صهوات الجياد . وقد أتت الحرب على أكثر هـذه التماثيل أو شوهتها فأقيمت من حولها أو مكانها أحواض الزهر والاعشاب الخضراء .. وفي هذا رمز الى ألمانيا الأمس واليوم .

* * *

والدانمرك بلد صغير : ليس له امجاد روما ولا اشعاع مدينة النور ولا يعرف اسلوب الدم والحديد ، ولكنه بلد طيب وديع وعاصمته كوبنهاغن مثال الانس واللطف والأناقة والظرف . والتماثيل فيها ، على صورتها ، جميلة خفيفة الظل وقريبة الى القلب ، ومنها تماثيل ثلاثة رائعة وجدت فيها خير بيان لروح هذه المدينة في تاريخها وفي نشاطها وفي خيالها .

* * *

أما التمثال الأول – تمثال التاريخ – فبطلته أميرة كانت من اعظم صبايا الدانمرك جمالاً وأحدهن ذكاء وأوسعهن حيلة . وكان سلطان السويد

اذ ذاك يجثم فوق الدانمركيين لايطيقونه ولا يستطيعون منه خلاصاً .

وبعث القوم بالأميرة يوماً في رسالة الى ملك السويد لعلها تعمل على تخفيف مايلقون منه وهي الفتانة اللبقة البارعة .

ووصلت الأميرة الى بلاط استوكهولم فوقعت في هوى الملك الشاب ونسيت ماقدمت من أجله ، وتوالت الليالي الحمراء ..

وأفاقت الأميرة ذات صباح على تقريع الضمير ونداء الوطن ، وبدا لها سوء ماقدمت ، وقصدت من فورها الى الملك وتوسلت اليه ان يسمح لها بالعودة الى وطنها لتقضي فيه ولو ليلة واحدة وان يمنحها فيه قطعة من الأرض لاتخضع لسلطانه .

واستجاب الملك اليها وأذن لها بالسفر ومنحها من الأرض قدرماتستطيع حرثه في تلك الليلة .

وعادت الأميرة الى وطنها وقومها لايدرون من أمرها شيئاً ، وجهزت ثيراناً قوية جامحة ذات بأس شديد ، وقضت الليل كله تحرث الأرض وتلهب السوط في ظهور الثيران حتى اذا طلع الفجر كان محراثها قد أتى على الدانمرك من أقصاها الى ادناها . وتحررت البلاد بأسرها .

واقام الدانمركيون في مدخل الحديقة العامة الكبرى في كوبنهاغن تمثالاً للأميرة الفاتنة الثائرة تبدو فيه ممسكة بزمام الثيران وهي تجري في أسرع ماتستطيع جرياً . ويقع هذا التمثال وسط حوض كبير تندفع من جنباته نوافير المياة فتزيد في موكب الحرث الجامح حركة وحياة .

وكلما أطلت التأمل في هذا التمثال بدا لي ان مظاهر القوة والارادة والعزم تكاد تنفجر من صفحاته البرونزية يسيل من فوقها الماء .

* * *

أما التمثال الثاني ــ تمثال الحياة ــ فيرجع أصله الى حكاية فتى كان طالباً فقيراً معدماً قدم من الريف الدانمركي الى كوبنهاغن ليدرس الطب في

جامعتها . وكان يسكن غرفة صغيرة من تلك الغرف المعلقة فوق الطابق الأعلى من الأبنية ،والتي ينخفض سقفها ويميل حتى يلامس طرفه النافذة الضيقة المطلة على الشارع .

وكانت تقصد نافذته حمامات ، وكان الفتى يدع على طرف النافذة مايتيسر له من الحب ومن فتات الخبز ، وأخذت الحمامات تقبل كل يوم ، ولحظ ان في بعضها بثوراً جلدية ، وانها تقصد نور الشمس تتعرض له وان هذه البثور تشفى من بعد ذلك .

وأكمل الطالب دراسته وتخرج طبيباً ، وظلت ذكرى الحمامات ، رفيقات الدراسة الطائرات ، وبثورها في خاطره ، فعكف على التخصص في الأمراض الجلدية فنبغ فيها واكتشف علاجات قيمة لبعضها وفي مقدمة هذه العلاجات نور الشمس . وأقامت الدانمرك هذا التمثال تخليداً لذكراه .

والظريف انه ليس في التمثال مايدل على الطبيب الذي اقيم من أجله : وانما يمثل رجلين وامرأة شبه عراة في اوضاع تدل على مايقاسونه من الآلام لما ظهر على جلودهم من قروح وبثور وهم يتلمسون نور الشمس للشفاء .. وكفى.

وكلما اطلت اتأمل في هذا التمثال بدا لي ان معاني الانسانية المعذبة تكاد تنبعث من رخامه البارد .

* * *

وأما التمثال الثالث والأخير — تمثال العهد والوفاء — فهو آية في البساطة والروعة معاً : انه يمثل امرأة شابة ترمز الى عروس البحر وقد تدلى شعرها الطويل من فوق كتفيها ، وهي جالسة على ركبتيها فوق صخرة يحيط بها الماء في مدخل مرفأ كوبنهاغن ، وعيناها شاخصتان الى افق البحر البعيد .

وتحب الجماهير في الدانمرك هذا التمثال حب العبادة ، ويحج اليه السائحون ويتجمعون من حوله ثم يقتنون نماذج مصغرة منه او حاجات شتى تتضمن صورة عنه . وقد اصبح هذا التمثال علماً ورمزاً لمدينة كوبنهاغن ، بل للدانمرك بأسرها.

اما سر « شعبية » هذا التمثال فيرجع الى عاملين اثنين :

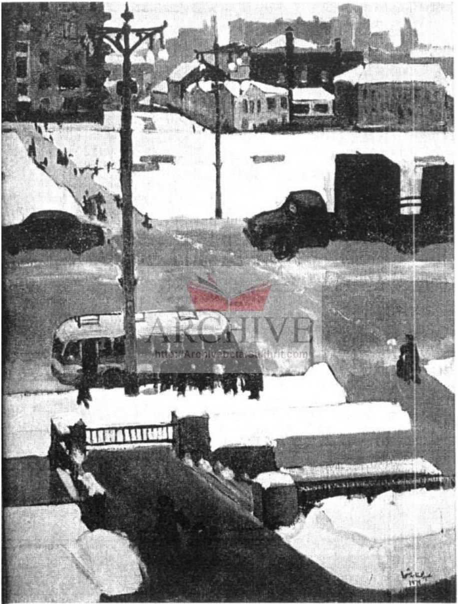
اولهما ان هذا التمثال يرمز الى قصة خيالية للكاتب الدانمركي «مندسن» وهي تدور حول البحارة الشباب السبعة الذين تزاحموا على الفوز بقلب عروس البحر الفتانة ، ولما أعياهم الأمر وشق عليها الخيار ، قرروا فيما بينهم ان يخرجوا في قواربهم الى عرض البحر ثم يعودوا سابحين في سباق الى البر فمن بلغــــه اولاً كان خليقاً بمن أحب وبأن تفتح له العروس ذراعيها وقلبها .

وخرج الشباب السبعة الى عرض البحر . . وجلست العروس واجفة تنتظر عودتهم ومن يكون اولهم .. ولما يعودوا .. ولمــــا تزل العروس تسمّر أبصارها على الافق البعيد تترقب عودتهم .

وفي الدانمرك ، موطن القصاص الرائع « اندرسن » ، يعشق القوم امثال هذه الحكايا ، وهي مثل صاحبهم خفيفة الظل وقريبة الى القلب .

أما العامل الثاني في « شعبية » هذا التمثال فهو ان المرأة التي اتخذها الفنــان المثّال نموذجاً لصنع هذا التمثال في اوائل القرن الحالي كانت من نجوم المسرح الساطعة اذ ذاك ، وهي لما تزل حية ومنعكفة في دارتهـــا في ضواحي كوبنهاغن وقد أفل نجمها بالطبع مع كر السنين ، ولكن الدانمركيين لما يزالوا يحبونها ويقدرونها . ويحدث ان تقصد هذه الفنانة في ضحى يوم صاح مشمس الى التمثال لتشهد فيه ما خلد الفن في المرمر من مفاتن جسمها وقسمات وجهها .. ثم ترجع متباطئة الى دارتها لتعيش في ذكرياتها .. وتلك الأيام نداولها بين الناس ..

ولا تتعب العروس الشابة ، عروس البحر ، من التطلع الى افق البحر .. ولا اتعب بدوري من التأمل في هذا التمثال . ثم تتجه عيناي ، مع نظرات صاحبته ، الى ذلك الأفق البعيد ..



الشتاء في موسكو — للفنان عبد المنان شما

الفنان

- عبد المنان شما
- درس في أكاديمية الفنون في موسكو.
- اختص بالفن الجداري والفسيفساء.

اللوحة

استفاد الفنان من مفهوم التسطيح والتبسيط في معالجة المواضيع وذلك من دراسة فن (البانو ديكوراتيف) في اللوحة الجدارية الكبيرة . اسلوبه واقعي متأثر بالمدرسة السوفييتية . يحدد أشكاله بدقة ويربطها بأرضية لونية ذات انسجام لوني من فصيلة واحدة

مسرح الصّغار

في برلين

للفنانة الألمانية السى رودنبرغ
ترجمة عن الفرنسية حنين حاصباني



مسرح الصغار في برلين

(*) السيدة إلس رودنبرغ هي مديرة مسرح الصغار في برلين .

بعد أن وضعت الحرب اوزارها بالقضاء على الفاشستية والنازية، تأسس في برلين عاصمة الجمهورية الديموقراطية الألمانية، مسرح خاص بالاطفال واليافعين والاحداث، يقدم لهم مايلائم اعمارهم ويدخل البهجة الى قلوبهم، ويغذي فيهم، في الوقت نفسه، روح البطولة والشهامة والخير والجمال.

والذي أسس هذا المسرح، ويرجع اليه فضل انشائه، وتطويره، ورعايته هو الاستاذ هانس رودنبرغ عضو مجلس الدولة في الجمهورية الديموقراطية، اذ انه اثناء اقامته مهاجراً ولاجئاً في الاتحاد السوفياتي، مدة خمسة عشر عاما، قام بدراسة عميقة لمختلف مجالات النشاط الذي تقوم بـه مسارح الصغار والاحداث في الاتحاد السوفياتي، وهي مسارح كثيرة العدد، رفيعة المستوى، ذات مقام وشهرة في تلك البلاد.

ومازال مسرحنا ينمو، ويتطور، وتكثر نشاطاته ويتعـدد فنانوه والعاملون فيه حتى بلغ عدد من يسهم في أعماله نحواً من مئتي شخص، منهم اربعون ممثلا محترفا، وعشرون موسيقيا منقطعون له، محترفون فيه. وفيه قسم خاص وكبير جدا لكتابة المسرحيات وتأليف الرواية، وقسم آخر ينصرف العاملون فيه الى دراسات علمية نفسية وتربوية.. واذا نحن استثنينا هذا القسم التربوي (البيداغوجي) كان مجموع العمل الفني والتنظيم الاداري مشابها تمام المشابهة لما يجري في المسارح العادية، او مسارح الكبار.

أما من حيث البرامج، فلدينا مجموعة كبيرة من المسرحيات لايقل عددها بصورة دائمة، عن خمس عشرة مسرحية، تتراوح بين قصص للاطفال وبـين

روائع المسرح والموسيقى المكتوبة خصيصا للأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثانية عشرة .

وقد اقتدى بنا كثيرون ، فقامت مسارح للاطفال والاحداث في أربع من كبريات مدن الجمهورية الالمانية الديموقراطية ، وهي دوسدن ، وليبزيغ ، وهاله ، وارنورث . ويمكننا القول الآن ان بلادنا قد استكملت سائر الشروط المادية والمعنوية اللازمة لتحقيق أعظم ما كان يصبو اليه الفنانون وعلماء التربية ، في انشاء المسرح الصالح الناجح ، الخاص بالاطفال والاحداث.

* * *

ولم تكن خطواتنا الاولى باليسيرة السهلة، ولا كان دربنا ممهداً مطروقا. اذ لم يكن لهذا الضرب من المسارح شبيه ولا سابقة ، في البلاد الالمانية . لذلك لم نرث عن غيرنا تقاليد معروفة مشهورة ، ولا استعنا بسنن درج عليها غيرنا ، فاضطررنا الى ان نلجأ الى الخبرة الوفيرة ، والتجربة الغنية اللتين توفرتا لمسارح الاطفال والاحداث في الاتحاد السوفياتي ، فقد كان لها في تلك البلاد العظيمة تقاليد معروفة ترسخت في العشرات من السنين .

* * *

وانما كان ذلك في أوائل عهدنا بالعمل . فاعتمدنا على خبرة غيرنا وأفدنا من طول ممارسته .. لكننا لم نكتف بذلك ، ولم نقف عنده قانعين بل أخذنا في البحث الدائم الصابر ، عن مؤلفين من بلادنا،عن كتاب ألمان يؤلفون مسرحيات تلائم هذا النوع من المسارح .

ومالبثنا أن وجدنا الضالة المنشودة ، فان (غوستاف فون وانتجهم) ، في الفترة الاولى من التعمير والانشاء اللذين أعقبا الهزيمة ، كتب مسرحية اسمها (انت هو الشخص الملائم لنا) .. فمثلناها على خشبة مسرحنا . وكان ذلك في مطالع نهوضنا بهذا العمل .

أما الآن ، فقد كثرت لدينا المسرحيات الممتازة . وأصبحنا نقدمهـــا لجمهورنا الخاص الذي يتوزع ، من حيث أعمار أفراده ، على ثلاث فئات .

وأصغر جمهورنا عمراً ، وهو جمهور الفئة الأولى ، يؤم مسرحنا الأول مرة وأفراده مايزالون في الخامسة من عمرهم ؛ والذي تؤثره هذه الفئة ، هو بالطبع ، قصص الاطفال ، فنرويها لهم على شكل مسرحيات لطيفة وبسيطة ومشوقة .

بيد أن أكثر عنايتنا انما نوليها لجماعة الفئة الثانية وهم اولاد تتراوح أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشرة ، وهم مولعون بمسرحيات المغامرات ولاسيما ما كان منها قريباً من حياتهم الخاصة ، ولعل أكثر المسرحيات استئثاراً بحبهم واقبالهم ما كان من نوع (مغامرات توم سوير) و (كتلة الثلج) و (الفارولا) . وهي في الحقيقة ذات قيمة انسانية وتربوية كبيرة جدا ، وتعتبر بالنسبة لهؤلاء الاولاد نوافذ تنفتح أمام أعينهم الفتية فيطلون منها على العالم الفسيح الغريب .

وقد استطعنا ان نلاحظ خلال ممارستنا الطويلة ، ان المسرحيات ذات القيمة الكبيرة من حيث الاخلاق والمثل العليا هي نفسها التي تحظى بالرواج الكثير والنجاح الرائع ، والتأثير العميق على المشاهدين الصغار .

واستنتجنا من ذلك أننا اذا استطعنا أن نصور لهم الكفاح العظيم من أجل عالم جديد أفضل ، ومن أجل كل ماهو جمال وخير ، واذا أحسنا الاداء والتعبير ، فجاء التمثيل حياً ، جميلا فيه فن صادق ، وابداع مقنع ، كان لكل ذلك أفضل التأثير على المشاهد اليافع الطري العود ، فاذا به يجعل ماصورنا له من نزعات فاضلة صالحة ، ومن قيم الخير والجمال ، أهدافاً لحياته وغاية لما تصبو اليه نفسه . لأن الأولاد بين الثامنة والرابعة عشرة ينظرون الى الدنيا الغريبة المحيطة بهم نظرة التساؤل والتطلع ، إذ أن كل مايجدون حولهم يثير في نفوسهم اهتماماً

كثيراً واشواقاً دائمة تهفو الى معرفة هذه العوالم المجهولة التي اوشكوا أن يدخلوها .. وتراهم لذلك يحبون ، قبل كل شيء ، ان يتشبهوا بالابطال الذين يشاهدونهم على خشبة المسرح ، وأن يحاكوهم في مجموع تصرفهم وسائر سيرتهم .



بيت الحيوانات الصغير .. تمثيلية اسطورية موسيقية

واذا كان الأمر كذلك ، أصبح من الأهمية بمكان كبير أن نعرض لهم أبطالاً يحسن بهم فعلاً أن يقتدوا بهم ويحذوا حذوهم ، أبطالاً يقفون دائماً في جانب الخير والجمال ، ويكافحون في سبيل جعل العلاقات بين البشر وئاماً وسلاماً .

ونحن كجماعة مسرحية ، يهمنا كثيراً أن نقدم لمشاهدينا الصغار واليافعين شتى أنواع الفن ومختلف ضروبه المسرحية والموسيقية ، وبعض روائع الباليه والاوبرا .

* * *

وهذا التنوع نفسه ، نحرص على مراعاته ، وعلى قياس أوسع ، في ما نقدّمه للمراهقين من الفئة الثالثة ، الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والثانية عشرة . فبالاضافة الى مايقدم عادة لهذه الفئة ، نمثل لهم روائع الفن الكلاسيكي بعد أن نعالجها بحيث تصبح ملائمة لسن المشاهدين ، قريبة الى أفهامهم ، حبيبة الى قلوبهم ، موحية الى نفوسهم بالخير والجمال .

ونسوق على سبيل المثال أننا قدمنا لهم اقتباساً خاصاً عن مسرحية شكسبير (ليلة الأصوات) فكانت اول مسرحية موسيقية من هـــذا النوع يشاهدها رواد مسرحنا ، كذلك مثلنا روايات مختلفة من عيون ما انتجه الأدب المعاصر الرزين القوي . كما ننوي ان نمثل في الموسم القادم مسرحية مستمدة من (ارفوست) لجوهان ولفانغ غوته .

* * *

وكلما ازداد التطور الاجتماعي والاقتصادي في الجمهورية الديمقراطية الألمانية ازدادت ، في نفس الوقت وبنفس النسبة المتطلبات الفنية التي يترتب على مسرحنا مواجهتها .. لأن المسرح المخصص للأطفال والأحداث ملزم تماماً بأن يكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ودائماً ومباشراً بالحيـــاة ذاتها . يتغير بتغيرها ،

ويعكس صورها ويترجم تطورها . وهو حري بأن يبحث في دأب وجهد عن أشكال جديدة ، ومحتويات جديدة أيضاً ، على أن يبقى محتفظاً بمستوى فني رفيع ، لذلك نقف وقفة التردد أمام كل مسرحية جديدة يقترح تمثيلها ونتساءل دائماً عن الفئة التي تلائمها مثل هذه المسرحية . ونستعين في ذلك بالخبراء التربويين التابعين لمؤسستنا ، فيقدمون المساعدة ويبدون الرأي والنصيحة والخبرة في هذه الشؤون.

وهناك أمر آخر تجدر مراعاته ويحسن الانتباه اليه أشد الانتباه . وذاك أن الفارق بين مسرح الكبار ومسرح الاحداث لايجب ان يكون فارقاً كبيراً ومباشراً . اي ان الحدث اذا ماصار كبيراً راشداً يجب ان يألف مسارح الكبار ويحبها ويرتاح اليها ، لا ان ينفر منها إذ يراها شيئاً منقطع الصلة عما الفه في حداثته من مسارح خاصة بالاحداث .

... هذا وان تربية مشاعر اولادنا وتوجيها وتثقيفها هي من الامور التي تطرح كثيراً من المشاكل الفنية والقضايا التربوية امام المخرجين والمؤلفين وعاملي الديكور ، والممثلين . فجميع هؤلاء لايستطيعون القيام بعمل حسن وتمثيل ناجح ان لم يعرفوا تمام المعرفة حقيقة جمهورهم اليافع ، وان لم يدرسوا مشاكله ويتحروا مشاغله وقضاياه ، بحيث يصبح كل فنان عالماً تربوياً بالاضافة الى فنه . ولا بد له من ان يكون محباً للاطفال والصغار حباً صحيحاً وعميقاً كي يأتي بعمل متقن مثمر .

* * *

ولقد قمنا مؤخراً بدراسة نتائج الموسم المنصرم . فدرسنا ما له وما عليه . ووازنّا بين هذا وذاك .. ووضعنا احصاءات وأرقاماً ذات دلالة ومعان . فتبين لنا ان عدد المشاهدين قد بلغ في هذا الموسم نحواً من ١٩٧٠٠٠٠ مشاهد ، وأن

عدد الحفلات ٣٨٤ حفلة ، وأن مقاعد مسرحنا ، وهي ٥٣٠ مقعداً ، لم يكن يبقى منها مقعد خال في جميع الحفلات ، التي قد يبلغ عددها اثنتين او ثلاثة كل يوم في بعض اشهر السنة . وهذا ، بالطبع ، يقتضي عملاً ضخماً وجهداً مضنياً من جميع من يساهم في مسرحنا .

* * *

واننا نحرص اشد الحرص على أن يَفِد الينا الاولاد برفقة آبائهم وامهاتهم ومعلميهم ومعلماتهم . ونحن ندير مناقشات خاصة ، قبيل رفع الستار او بعيد اسداله ايذاناً بنهاية المسرحية . ويشترك في هذه المناقشات روادنا من الأحداث والصغار ومرافقوهم ، كما يشترك فيها جماعة المسرح ومن يعملون معنا في ادارته وتوجيهه من علماء تربويين وفنانين وممثلين .. كما أننا نهيء لجمهورنا ان يزور الممثلين في حجراتهم او ان يقابلهم على المسرح او وراء الكواليس . وبالاضافة الى كل ذلك ، نعقد جلسات لطيفة في قاعة اجتماع الفنانين من ممثلين ومخرجين ومؤلفين ، فتدور فيها اطايب الحديث بينهم وبين الصغار والأحداث . . حتى أننا اسسنا نادياً خاصاً يرتاده اهل المسرح ، ومشاهدوهم .

وهكذا اصبح التماس بين المسرحيين والمشاهدين تماساً متوفراً ومباشراً . وهو على كل حال كثير الفائدة لنا في عملنا اذ يساعدنا على حسن توجيهه وتدارك مثالبه والسير به قدماً في الاتجاه والمستوى اللازمين .

* * *

وليس أحب الى قلوبنا ولا ادعى الى بهجتنا وفرحنا من ان نكتشف لعملنا وجهدنا آثاراً تربوية حسنة على مشاهدينا الصغار . ولقد اصبح عدد من فنانينا رعاة لصفوف كاملة في مدارس الصغار . فيزورون تلاميذها ، ويحادثونهم

في شؤون المسرح وفي شؤون اخرى كالرياضة والشطرنج ، وفي المشاكل التي يواجهها عالم الصغار. وفي الوقت نفسه ، يقومون بمساعدة المعلم - اذا هو طلب منهم ذلك - ويساعدونه على جعل دروس الآداب دروساً حية . اذ يقومون بالقاء بعض القطع الشعرية والنثرية وتمثيل مقاطع صغيرة مما يعرض في الدرس من مسرحية او قصة . وهذا التعاون بينهم وبين المعلمين كثير الجدوى عظيم النفع؛ ونحن نقوم به على وجه الكمال والاتقـــان ، ونتحاشى دائماً ان نلجأ فيه الى الاختصار والابتسار والعجلة .

وفي هذا العصر الذي تقدم فيه العلم حتى بلغ عنان السماء ، وحتى قام الناس يطيرون في آفاق الكون الشاسعات ، ويرتادون الفضاء العجيب الفسيح ، نرى ان الاتجاه العلمي قد سيطر على بعض الناس فاستحوذ على ألبابهم واستأثر بمشاعرهم ، فما عادوا يأبهون بسواه ، ولا يلتفتون الى غيره . ولعلهم يقولون : وما المسرح . وما شأنه وجدواه ، في أيام ينطلق فيهـــا الناس صُعُداً نحو النجوم .

ولكن امثـــال هؤلاء الناس ، من مستخفين بالفن تعصباً للعلم ، ينسون تماماً أمراً هاماً وهو أن للفن يـــداً جلى في إثارة القوى الخلاقة في الانسان .

* * *

وان مسرحنا يكتسب شهرة متزايدة على المستوى الدولي فلا يكاد ينقضي علينا يوم دون ان يزورنا فيه أناس قدموا من مختلف انحاء الدنيا ليتبادلوا معنا الآراء ، ويقلبوا وجهات النظر في شؤون مسرحنا .

وفي شهر شباط من هذه السنة بالذات جرى في عاصمة جمهوريتنـــا

الديموقراطية الالمانية اول مهرجان دولي لمسارح الصغار والأحداث . وقد اشترك فيه ثلاثمائة مندوب يمثلون خمساً وعشرين دولة مختلفة . وقد أسهموا في جميع المناقشات والمداولات التي تناولت جميع القضايا الفنية والتربوية الخاصة بمسارح الأطفال والأحداث .

وكذلك اشترك في المهرجان عدد من الفرق الفنية القادمة من موسكو وباريس وبراغ ونورمبرغ ودرسدن ، وقد قدم كل منها على خشبة مسرحنا خير ما في براجها .

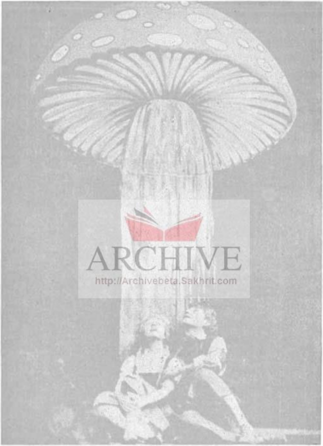
ولعل هذا المهرجان هو الأول من نوعه ، من حيث مداه ومستواه الرفيع .

* * *

وبالاضافة الى الشهرة التي فزنا بها في الحقل الدولي ، نذكر أننا قد نلنا مقاماً متزايداً ومرموقاً ضمن (الجمعية الدولية لمسارح الصغار والأحداث) التي يرأسها مستر تيار الانكليزي الجنسية . والتي أنتمي أنا شخصياً الى لجنتها التنفيذية وقد اشتركت مؤخراً بهذه الصفة في الجلسة العامة لهذه الجمعيات .

هذا . وان التعاون الدولي في شؤون هذه المسارح انما هو وسيلة عامة من وسائل التفاهم بين الشعوب والمحافظة على السلام ، وبالاضافة الى ذلك ، سيكون هذا التعاون في السنوات القليلة القادمة عوناً جليلا على انشاء هذه المسارح في البلدان التي لاتوجد فيها حتى الآن ، نظراً لحيلولة الظروف دون ذلك .

وقد سنحت لنا فرصة القيام بجولة فنية في المانيا الاتحادية ، حيث لايوجد مسارح محترفة للاطفال والاحداث ، لأن الحكومة لاتقدم مايجب لذلك من عون كاف ووسائل مجدية ، وقد أصبنا هنالك نجاحاً كبيراً واعتبر مسرحنا مثالاً يحتذى



مشهد من مسرحية لعبة الاغصان

وقدوة ينسج على منوالها ، في رأي الآباء والامهات والمعلمين والمربين ورجال الصحافة . وأخذت الأوساط التقدمية تسعى سعياً حثيثاً في سبيل انشاء مسارح كمسرحنا في بلادهم .



اعلان

عن تأليف (اوبريت) سورية

تعلن وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي عن اجراء مسابقة لتأليف اوبريت غنائية شعبية راقصة تقدم للجمهور في اعياد الثامن من آذار عام ١٩٦٧ وفق الشروط التالية :

١ – ان يكون موضوع الاوبريت : تصوير روح الريف العربي السوري وتقاليده ووصف مشكلاته والتعبير عن آماله ومطامحه فى الانتقال الى الحيـــاة الاشتراكية (كما يجوز ان تعالج الاوبريت بدلا من ذلك احد الموضوعات القومية البارزة) .

٢ – أن تكون الاوبريت زجلية أو شعرية باللغة الفصحى المبسطة صالحة للتمثيل والغناء والرقص وقابلة للتنفيذ ضمن امكانات فرق الوزارة الحالية .

٣ – أن يستغرق تقديمها حوالي ساعتين .

٤ – أن يقدم نص الاوبريت ضمن غلاف مسجل مصحوب بمغلف مغلق يذكر فيه اسم المؤلف وعنوانه وعنوان الاوبريت والرمز الموضوع على غلافها الى مديرية المسارح والموسيقا في الوزارة قبل نهاية دوام يوم الخميس الواقع في ١٥ كانون الاول ١٩٦٦ وذلك ليتاح للوزارة اختيار الاوبريت الفائزة والعمل على تصميم ملابسها ورقصاتها والحانها وتدريب ممثليها بحيث يمكن تقديمها للجمهور في الموعد المحدد .

٥ – تحتفظ الوزارة بحق تمثيل الاوبريت الفائزة لمدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ اعلان فوزها ويجوز لها طبعها في هذه المدة على أن يعطى صاحبها في هذه الحالة بالاضافة الى الجائزة تعويضات التأليف وفق القواعد النافذة .

٦ – تكون الجائزة الاولى للاوبريت الفائزة ١٠٠٠ ل . س والجائزة الثانية ٣٠٠ ل . س .

٧ – يسمي وزير الثقافة والسياحة والارشاد القومي لجنة لدراسة النصوص المقدمة ويكون قرار اللجنة مبرما بعد مصادقة الوزير عليه .

دمشق في ٢/١٠/١٩٦٦ | وزير الثقافة والسياحة والارشاد القومي

جميل شيا

كتاب المعرفة

فلسفة (أوروبندو) السياسية



للدكتور ف. ب. فارما

عرض وتلخيص: ندره اليازجي

من هو شري أوروبندو ؟

هو مفكر هندي ولد عام ١٨٧٢ وتوفي عام ١٩٥٠ . لعب دوراً هاماً في حركة التحرر الوطنية الهندية. كان سياسياً وحكيماً وشاعراً متافيزيقياً وفيلسوفاً اجتماعياً . ألف كتباً عديدة أهمها : الحياة القدسية ، الدورة الانسانية ، مثالية الحياة الانسانية ، عقيدة المقاومة السلبية ، المثل والتقدم ، الحرب وتقرير المصير ، التطور ، الانسان الأعلى ، خطابات ، العلم والثقافة ، الخ ..

اعتبره طاغور أعظم من عرض رسالة الهند الروحية الى العالم. واعتبره رادا كرشنان أعظم مفكري الهنود الحديثين .. بل أعظم مفكري عصرنا . ويقول عنه رومان رولان أعظم من حلل عبقرية اوربا وعبقرية آسيا .

أ ـ اوروبندو وفلسفة التاريخ

١ ـ التاريخ تحقيق لفكرة الله

« التاريخ جدول مضطرب من الحوادث والشخصيات أو هو تبدل سريع للمؤسسات». ان التبدل الدائم المميز للحقيقة التاريخية لا يفصح عن معناها الداخلي الحق. فالديالكتيك الروحي للتاريخ يجب ان يدرك . والتاريخ في معناه الحقيقي هو بيان الروح . « ان تاريخ دورات الانسان هو تقدم نحو تبيان أو كشف الاله في روح وحياة الانسانية؛ ولكل حدوث عال جو ظهور مقدس » .

ان واجب فلسفة تاريخ ما ، ليس ان يكتشف النموذج العام للسببية الاجتماعية والسياسية ، بل ان يكتشف ويدرك المعنى الابداعي والروح القائمة في التاريخ . يلمق التاريخ على مستويات متعددة الوجود. ففي المستويات العليا للوجود المثالي ، يتم التاريخ وينعدم التقدم التطوري . فالتاريخ — بمعنى سلسلة متصلة داخلياً للوقائع والحوادث والظواهر — يعود الى تحقيق بعض المقاصد المحددة ، وهو ميزة لظهورنا المادي فقط .

يتقبل أوروبندو حقيقة كائن أو وجود شامل كلي القدرة « يحقق ذاته في العالم وفي الفرد والجماعة ويعتبر الكل أصولاً متساوية لظهوره الذاتي » . الله إذن يظهر ذاته في التاريخ الذي هو تحقيق الروح القدسية . والجماعة يمكن ادراكها ، كتحقيق للروح على المستوى التاريخي . ويعتقد اوروبندو بتحقيق الله من خلال مجموعات الناس وفي تجمعاتهم . وفي هذا كله يقترب من هيغل ، لأن هذه الفكرة قد نبتت في الغرب وليس في الشرق . ويستنتج أوروبندو من هذا ان على الناس « ان يحققوا ذواتهم في حياتهم الفردية ، وفي العائلة وفي المجتمع وفي الأمة وفي الانسانية ».

٢ ـ نظرية « الألم » في التاريخ

العقبة الكبرى التي تقف ضد نظرية التاريخ الروحية هي وجود الخطيئة والألم والشر والحزن والعذاب في العالم . ان فلاسفة الهنود لا يعترفون بهذا الألم ولا يتكلمون عن

فلسفة للتاريخ ، أما القديس أوغوسطينوس وأمثاله من مفكري المسيحية فانهم يعيدون وجود العناصر الدنسة وغير الاخلاقية في التاريخ الى الخطيئة الاصلية والى سقوط الانسان ، ويتصورون حالة من النقمة الخالصة التي تنقذ الانسان .

لكن شري أوروبندو لايريد أن يخلص المقدس من عبء هذا الشر . هذا المقدس القاطن فينا الذي يحمل عبء السقوط ونتائجه المظلمة . فالخطيئة او الشر هو مجرد نقص او زيادة ، هو وضع خطأً في مكان ما ، هو فعل ورد فعل غير منسجمين . فالشر والحزن نفي ظاهري فعال للقدرة القدسية ، للنور والغبطة . ان الكائن القدسي ، في رأي اوروبندو ، يجذبه نداء المجهول ، فرحة الخطر وصعوبة المخاطرة . ان جمال التناقضات وانسجامها الصعب يجذبه . « غالباً ماتكون ارادة الله فينا هي التي تجعلنا نحمل من خلال العقل عبء الجهل والثنائيات والفرح والحزن واللذة والألم والفضيلة والخطيئة والتمتع والرفض » .

وفي المجال الاجتماعي والسياسي ، يكون الوعي الخاطىء الذي تحكمه متطلبات الذات المبالغ بها مصدر الشر . وهكذا يكون الشر من فعل الجهل ، وسيبطل هذا الشر عندما يبزغ فجر المعرفة الروحية ، ويرى أصل الشر في الانطلاق السطحي للوعي العقلي من اللاوعي . ان علة الألم هي نقص أي ضعف القوة الكونية للوعي ، والتي تبدو على المستويات العقلية والمادية والحيوية لكي تجمع او لكي تقيم انسجاماً بين تأثيرات الديناميكية الوجودية وبين القدرة (الطاقة) التي تلقى عليها .

٣ – نظرية القيادة

ان ميتافيزيقا الحتمية المقدسة ، في رأي اوروبندو ، تعني فكرة « القائد المرسل من الله » . ان حركات التاريخ كلها تتطلب قواداً وسطاء لتنفيذ الارادة الالهية . انهم يحملون القدرة القدسية . فالقائد يختار لأنه يملك الامكانيات التي تساعده على أن يكون قناة قادرة ومريدة للقدرة الالهية . ولنجاح اية حركة يحتاج الى نماذج عديدة من الأدوات ويبدو هذا صحيحاً في حالات مثل نابليون والاسكندر وجان دارك والخ « وعندما يحقق القائد موضوعه . يسقط كصدفة فارغة » . « لأن الروح التي اخذت هذه الخطوة الجديدة في التاريخ هي الروح الداخلية لكل الأفراد ويتبع . الأفراد قوادم الأرواح لأنهم يشعرون بالقدرة التي لاتقاوم لروحهم الداخلية التي تجسدت هكذا » . اما القواد السيئون فانهم دعوة للرفض الأخلاقي في السياسة .

اننا ولا شك نجد تأثر اوروبندو بفلسفة هيغل الذي يعتبر ايضاً ان الحضارة تتمثل

بالفرد القائد وذلك عندما قال عن نابليون « هذا هو روح العالم ممتطياً جواده » .

٤ ــ التفسير الروحي لثورة الفرنسية

الثورة الفرنسية ، في نظر اوروبندو ، هي ظهور للارادة الروحيـــة ، لأن هذه الارادة وجهتها . وطالما ان ميرابو كان يعمل من اجل الثورة فانه فعل خيراً ،لكن الارادة الروحية ازاحته عندما انقلب ضد الثورة . وعلى الرغم من غيابه « استمرت الثورة لأنها كانت ارادة الله » . كانت الثورة الفرنسية ضمن المخطط المقدس وذلك لأنهـــا قدمت منافع عديدة لأوروبا . انها خلقت شعور الوعي الذاتي القومي في الدول الاوروبية وقوته . انها طبعت الحركات السياسية بطابع العقل النقدي وجعلت الحرية المبدأ الرئيسي لكل حركة اجتماعية أوسياسية . ومع ان الثورة لم تكن اشتراكية ، بل في اساسها بورجوازية ، فان نسبـــة كبرى من المساواة والعدالة الاجتماعيـــة ، التي لاتستغني عنهـــا الحرية السياسية ، كانت تحت الطلب .

وفيما يتعلق بالأدوار التي لعبها الاشخاص الرئيسيون اثناء الثورة نجد أن ميرابو بدأ ودانتون ألهم وروبسبيير ذبح ونابليون أكمل . كان ميرابو الشخصية المسيطرة في فترة الانتقال . لم يكن ليبرالياً او تقدمياً لكنه كان انانياً . انه تعلق بالعدالة والحرية طالما انها تخدمان مقاصده . لقد ساعدميرابو على خلق الثورة ، ولهذا الحد عمل باتفاق مع مخطط الله . لكنه تداعى عندما عاد الى مساندة العهد القديم . ويشير سقوط ميرابو الى ان الرجـــل العظيم يكون عظيما بقدر مايعرف الروح – الزمن وبقدر ماينبغي ان يكون وسيطها واداتها ، ولا يكون عظيما ، بل ينحطم ، عندما تتملكه الأنانية والعاطفة الفردية .

كان دانتون ، لبضع سنوات ، قلب العمل في الثورة . كان اخلاق الثورة وقد تجسدت وتشخصت . كان قلب الثورة لوكان روبسبيريدها ، وما يميزه عن ميرابو هو ان الطموح الشخصي كان ينقصه ، وخروجه من الميدان أزال معالم الثورة المهدمة والتي تتطلب الاستقامة وشخص روبسبيير الايمان . وكان المثال الأسمى . ولكنه لم يقدر ان يتوقف عندما بدأ يذبح ، فانهار ايضاً ولم يستمع الى دانتون . مات دانتون لأنه قاوم يد الله ، لكن جسده الجبار اللامتجسد انتصر وفرض فكره الأخير على البلاد . توقف عهد الارهاب . وحلت الرأفة محله .

اما نابليون فقد كان وسيط الله ، لكن الله رفضه ايضاً لطموحه المبالـغ : حاول نابليون ان يشبع طموحه وعبثه ، لذلك لم يكن محباً . ان سوء استعمال القدرة القدسية يؤدي الى تهديم الشعب . ومع كل هذا خدم نابليون الله ، « لم يأت نابليون من أجل

فرنسا فقط بل من أجل الانسانية » . (١)

يعيد اوروبندو الجذور العميقة لأفكار الثورة الفرنسية الاساسية، الى مشاعر الأخوة التي نشرتها المسيحية والبوذية . اما ضعف الثورة الايديولوجي فهو في أنها جعلت الحرية أساسية والأخوة ثانوية . وعلى العكس ، فقد جعلت المسيحية والبوذية الاخوة اولاً والحرية ثانية .

٥ — دور الافكار في التاريخ

« لو ان الانسان يتقيد بالافكار (الحق) لبزغ فجر الخلاص على الارض » . يقبل اوروبندو الدور الذي تلعبه الافكار في التاريخ الانساني لأنه مثالي متسام ومؤمن بالفكرة — الحق . فالمثل هي فقط أفكار اخلاقية وطوباوية، والافكار كلها قوى بطبيعة مشكلة وتحقق ذاتها . وهذه الافكار هي قوى حتى عندما تهبط الى اللاشيء وتصطدم بالمادة اللاواعية .

المثل هي قواعد التقدم الكوني ، وتعبر كل التبديلات العظيمة عن تقدمها من خلال مثل عبر عنها فرد او مجموعة من الافراد ، ويعمل المجتمع على تحقيقها . وقد تتشوه هذه المثل العظيمة ، بعض الاحيان ، للصعوبة التي تمنع الدهماء .

يعيد اللاهوتيون الافكار الى الله . وتوضع القبلية ، كما يقول كنت ، دور بعض الحدوس الزمانية — المكانية . وتعيد الفلسفة التجريبية الافكار الى تجارب المدرك الفكري . ويعيد دركهايم وماكس شيلر وكارل منهايم ولادة الافكار الى أصل اجتماعي . وبالنسبة لماركس وانجلز تكون الافكار والمثل «صوراً للاشياء الواقعية» او «تحويل وتفسير العقل الانساني» للعالم المادي . ولكن اوروبندو فانه يعيد الافكار الى اصل متافيزيقي لأنها تنشأ في الفكرة — الحق وتنسجم معها ان معتقده بالافكار والمثل يشتق حدسياً من استنتاجه المتافيزيقي الاساسي عن القدرة المبدعة للعقل الفوقي .

« هي الفكرة التي تعبر عن ذاتها في المادة وتأخذ اجسامها . وهذا صحيح في حياة الانسانية ، وفي السياسة ، وفي تقدم حياة الامة . هي الفكرة التي تعطي شكلاً للمؤسسات المادية ، وهي التي تبني وتهدم الادارات والحكومات » .

٦ — الحرب والتاريخ[٢]

يحص شري اوروبندو ، لأنه فيلسوف تاريخ ، دور الحرب في تطور ونمو الانسان والمجتمع . انه يبدأ في خلق متافيزيقا تدافع

(١) « الموت لكل من يعارضون تطور الله » من كتاب انطباعات تاريخية .

(٢) ان تبرير الحرب كان ، في رأي اوروبندو ، نتيجة لسببين : ١ — الخير ضد الشر ٢ — انتصار الفكرة عبر التاريخ .

عن العنف والقوة لكنه ينتهي الى تحطيمها . « القوة خلقت العالم ، القوة هي العالم ، والقوة بعنفها توطد العالم ، والقوة ستنهي العالم ، وسوف تعيد خلقه أبداً » . انه يدافع تقريباً عن وجهة نظر هيراقليطس القائلة ان الحرب وسيلة ضرورية واساسية للعدالة . لن يوجد سلم حقيقي في العالم مالم يوجد توازن للقوى المعادية او حياد متبادل للاطراف المتطرفة . وحسب هيراقليطس ، السلم لا يخلق ولا يوطد اي شيء . وصلاة هوميروس ان تنتهي الحرب بين الآلهة والانسان سخافة ، لأن ذلك يعني نهاية العالم .

وهناك تفهم تاريخي لمسألة الحرب والدفاع عنها . كانت الحرب فترة ذات مغزى للتطور السياسي . وكان الجيش والحرب عاملين يؤديان الى تركيز سياسي وفي تركيز القوة وفي نمو الممالك القوية والارستقراطيات وفي حصر القوى كلها . « كانت الحرب العامل الرئيسي » . ويقدم اوروبندو مثلين : القضاء على النبلاء الرومان المحاربين وتأسيس الامبراطورية انقذا روما من انحطاط مبكر . والقضاء على الجيش البريطاني والاسياد والاقطاعيين في حرب الورود أدى الى تأسيس « المملكة الجديدة » لعائلة تيودور تحت هنري السابع وآخرين . ان اوروبندو في كتابته لهذا الدفاع عن الحرب كآلية سياسية يشبه بعض مفكري التاريخ في القرن التاسع عشر الذين برروا الحرب بامثلة تاريخية ، مثلا : الامبراطورية الفارسية تخلق الأمان ، قهر الاسكندر لفارس ومصر أدى الى انماء شعور دولي . الانتصارات الرومانية سهلت الرحلات من غرب اوربا الى شمالها ، اتحاد انكلترا بواسطة ماولك وسكس ، واتحاد اسبانيا بواسطة فردیناند وايزابيلا .. لقد تمت هذه الحوادث كلها عن طريق الحرب . ولقد اشار هيغل الى ان الحرب هي آلية تقدم الفكرة (١) ، كما برر زعماء وكتاب المان آخرون الحرب .

يظهر اوروبندو ضرورة الحرب في الحياة الانسانية . يمكن ان تهدم الحرب حياة الافراد الجسدية كلها لكنها صالحة لحياتهم الداخلية لأنها تؤدي الى نمو النبل والشجاعة والفروسية . فالحرب والصراع يلقنان البطولة وروح النكران الذاتي لأجل هدف عظيم ، « بدون البطولة لايقدر الانسان ان ينمو في الاله . فالشجاعة والقدرة والصراع هي من المبادىء الاولى للطبيعة القدسية وهي من فعلها » . لكن اوروبندو يلح اخيراً على السلام والمحبة عندما ينتهي دور الحرب كقاعدة طبيعية .

يشير اوروبندو الى سيطرة « البربرية الاقتصادية » والتجارة في الازمنة الحديثة ؛ ويعتقد إن الحروب الحديثة ليست نتاجاً شرعيا للطموح وحب الدنيا « لكنها ولادة غير شرعية لحب النزوة » يضاف اليها الطموح السياسي الذي هو والدها الزاني . وهكذا

---

(١) « السلم هدنة بين حربين » هيغل .

لانفجر الحرب العالمية الاولى باصطلاحات روحية وايديولوجية. « كانت صراعا لامتلاك العالم والتمتع به وبثرواته واسواقه وحقوله الواسعة ، وكانت توسعاً تجارياً مضخما ، وتوسعاً لحكم الامبريالية ولحجمها » .

ب ـ الحضارة والمدنية عند شري اوروبندو

١ ـ معنى المدنية

المدنية ، في رأي اوروبندو هي اشعاع وازدهار المشاعر الحيوية والنشاطات العقلية. هي عصر من المجتمع المدني ، ومعيشة اقتصادية وسياسية منظمة . وهي ازدهار المعرفة والعلم ، وتستعمل المدنية كل هذه لأجل زيادة الأفراح والسلع والمتع . ويرى اوروبندو ان الغرب يمثل الشكل الصلب للمدنية. وينتقد اوروبندو هذه المدنية على اساسين : اولا ان تضخماتها الحيوية غير كافية في ميتافيزيقاه الروحي . ثانيا زيادات او تطرفات هذه المدنية محكوم عليها من حيث انه مواطن هندي .

ينتقد اوروبندو حضارة الغرب غير الناضجة كما ينتقد معرفتها المبدئية التي لا تحتمل ، وجهلها المبدئي الذي لا يحتمل ، وتأليهها للأنانية والقوة وجبروتها الذي لا يحطم » وصفات المدنية الحاضرة في رأيه، هي التجارة وحيويتها الحسية ونسبة كبرى من الديموقراطية .

يقول اوروبندو ، ان التجارة ، هي الخطيئة الاساسية للمدنية الحاضرة ، كانت الفترة القديمة للمجتمع الانساني دينية في الدرجة الاولى وسياسية الى حد ما . اما التجارة بتشديدها على الارستقراطية الغنية لتحكم المجتمع ، فهي مظهر حديث . كان الدافع التجاري عاملا ثانيا في الديبلوماسية القديمة وفي فن الحرب . وكانت الثروة تعتبر عاملا اضافيا مساعداً للقوة السياسية . وبعد ان توقف الانسان القديم عن ان يكون متديناً في وعيه وفي دوافعه برز العامل السياسي واصبح له المركز الممتاز . وتشير الحروب البروسية الى الى نهاية الدافع السياسي في التاريخ الاوروبي . وكانت الحرب الاخيرة الهامة التي املتها الدوافع السياسية . ومنذ ذلك الحين كانت الدوافع السياسية مجرد قناع للدوافع التجارية.

الموضوع الاساسي في الفكر السياسي الهندي هو عداء لنموذج المدنية القائمة في الدول الغربية . كان طاغور ، في سنيه الاولى معجباً بالمدنية الغربية . وتأمل ان يشعل مع الاحتكاك مع الغرب قنديل المعرفة الهندية الخافت ثانية ، لكنه انتقد الغرب بعد ذلك . لقد رأى حوله بقايا خراب لمدنية متكبرة ملقاة ككومة جبارة من الضياع ، وتأمل ان يأتي النور الاعلى من الشرق(١) . وهذا ما رآه

---

(١) ادان طاغور مدنية الغرب التي اقتصرت على ذاتها فقط ، والتي أدت الى تحديد طبيعة الانسان الاخلاقية . ((طاغور ، الوطنية ، صفحة ٣٣ و٥٩) .

غانــدي وتولستوي وفيفاكنندا . لكن اوروبندو انتقد الافراط في الاعتماد على العقل ومع ذلك يعتقد ان عقلانية الغرب وآليته وماديتـــه كانت اداة ضرورية استعملتهـــا « الفكرة » لكي تظهر الامكانيات القصوى للمظاهر العقلية والمادية للحياة الانسانية .

٢ — فكرة التقــدم

يتنكر شري اوروبندو لمبدأ التقدم. ان فكرة التقدم احتلت مكاناً بارزاً في الفكر الاوروبي بعد ترغو وكوندورسه . واعتقد ان تهيئة قوى العلم سيؤدي الى ابداع مجتمع افضل ومستقبل زاهر . ان نظرية التقدم تتصل بفكرة المدنية وبما ان اوروبنـــدو يؤمن بنظرية التاريخ الدورية ، لذلك ينتقد التقدم الانساني . وبما انه اخلاقي ، لذلك يحاول ان يستعيض عن فكرة تحقيقات مادية صرفة بالنمو الخلاقي وتقدم اخلاقي وتقدم داخلي . وبما انه روحاني لذلك يعتقد ان التقدم الحقيقي هو ما يجعل التقدم الروحي للدورة الانسانية ممكنـــاً . فالتقدم ، بالنسبة له ، هو جهد تطوري نحو الحصول عـــلى السّلطة الروحية والغبطة والادراك الواعي . ان آلية التقدم الفردي والاجتماعي هي حركة مزدوجـــة « لاثارة الانسان الذاتية » و « للانسجام الذاتي مع العقل والارادة العاقلة واللذين هما وسيطان بين روحه واعماقها » .

يوجد نوعان للتقدم . تقدم « تكيفي » وذلك عندما توجد تبدلات على السطح فقط ويبقى المبدأ الاجتماعي المركزي سلبياً ويصبح « جذرياً » عندما تمحّص المبادىء الاساسية القائمة . لكن يوجد دائماً شيء ما « غير حقيقي وغير نهائي ومؤلم » يتعلق بالتقدم الانساني . وذلك لأنه قد وضع لبعض الافكار البعيدة والمجردة شكلاً قبل ان يتم لها الزمن الكافي لكي تحصل على القوة لتحول انفس الناس وروحهم . وقد ساندت هذا الجهاد لبعض اسس كيان الانسان العميقة والرفيعة ، مادية البيولوجيا الداروينية . ان الفكرة القديمة لكمال الانسان الاخلاقي والغبطة الأرضية يساعدها نظام ميكانيكي خارجي يقيس التقدم بوسائل الانتاج الفعالة وبالسيطرة المتزايدة على قوى الطبيعة الغربية . وعوضاً عن ان تتم السيطرة لرؤيا وفكر النبي والمثال والحكيم فاننا نخضع لحكم المختصين ولافكار الاقتصادي والخبير المهني . ولهذا فالتقدم « اخلاقي وانساني » تظهر أهميته في كتابات اوروبندو .

ان اعتراض اوروبندو الرئيسي على فكرة التقدم الحديثة هو أنها ميكانيكية جداً ولاتهتم باكتشاف العلل النهائيـــة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي .

٣ — الحضارة الاخلاقية والجمالية

يريد اوروبندو ان يطور الحضارة لأنه يشعر بنقائص المدنية وعدم فعاليـــة مبدأ تقدمها ، فالحضارة تعني حقلاً اسمى ، أسمى من مدنية النموذج الحيوي . هي تعني « متابعة حياة عقلية لذاتها » ، ان هدف حضارة كاملة

هو « ان ترفع وان توسع الانسان الداخلي والعقل والروح والنفس » فوق قاعدة الاسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمدنية حيوية . وبشكل عام ترتبط الحضارة بالنمو الكلي للعقل . ان نمو العصر الروحي يشير الى حالة تقع الى ماوراء الحضارة العقلية والفكرية . إن انسانية متحضرة ومصقولة فعلاً لاتقتنع ولا تكتفي بنشاطات العقل – الحس والعقل – الحيوي لكنها تريد تطوير وتنمية مواهب الانسان الفكرية والادارية والجمالية . ان التحكم بالحياة كلها يجب أن يمارس في حقل حضارة أصيلة ، بحقيقة وجمال وارادة اخلاقية تحدد ذاتها . ان الحضارة تقوم على تنظيم الحياة والمجتمع « بالافكار التي تقوم على حقائق الحياة . ويعتقد اوروبندو اننا في الوقت الحاضر قد تخلفنا عن حضارة أثينا وعصر النهضة التي ، ولو كانت ادنى من حضارتنا في العلوم ، لكنها كانت أكثر تقدماً في فن الحياة ، كما عرفت اكثر عن موضوعها ، وهدفت بقوة اكثر الى مثال واضح الكمال الانساني .

ان الظهورات الحضارية توضح المعالم المتنوعة لتطور الانسان الجمالي والاخلاقي والفكري . ويمثل تاريخ التقدم الاخلاقي في اوروبا صراعاً بين الفكرة اليونانية للجمال الفني وبين النظرية المسيحية . وبالنسبة لاوروبندو ، توجد اربعة افكار تشير الى تدرج الفكر اليوناني الاخلاقي . أولاً ، فكرة يوروس ، ونعني ماهو جذاب خارجياً . ثانياً ، ديكايون ، ويعني مايتفق مع العدالة . ثالثاً ، اغاثون ، ويعني الخير الذي يمثل اتحاداً للظاهر والعادل . رابعاً ، كالون ، ويعني الجميل المحض . أما الرابع فهو القانون الاسمى. ان اوروبندو الذي يعمل على تحليل الحضارات الاخلاقية والجمالية ، يميز بين عقل الهيليني الفلسفي والجمالي والسياسي وبين العقل الحديث العلمي والاقتصادي والنفعي .

٤ – سقوط وانحطاط المدنيات والحضارات

يرى اوروبندو ان هناك « دورة ولادة ونمو وشباب ونضج وانحطاط »لحياة المجتمع ، واذا استمرت مرحلة الانحطاط لوقت طويل دون ان توقف فان المجتمع سينهدم . لكنه يعتقد انه يمكن تجديد واستعادة حياة الكائن الجماعي . وبالنسبة له تتغاضى النظريات الاوربية التي تتحدث عن دورات الحضارة عن الينبوع الروحي « للاطاقة الذاتية من خلال تجدد ذاتي دائم هو مبدأ الخلود » . ولكن ، حتى بدون الينبوع الروحي ، يتجدد شباب الحضارة . فليس من الممكن العودة الى البربرية والى العصور المظلمة وذلك لأن تقدم العلم والتكنولوجيا قد جهز الحضارة بوسائل الاستمرار الذاتي . ان المدنية الحاضرة والحضارة تقدران ان تحطما هجمات القبائل والعنصريات البربرية البدائية وهكذا تستحيل عودة هجمات التيوتون والقوت والفانذال .

يوضح اوروبندو ، في تحليله الاسباب التي تؤدي الى انحلال المدنيات والحضارات ، عن فقدان وانهاك القوة الداخلية والحيوية ولا يعيدها الى الهجرات الخارجية وهجوم البرابرة والاجانب . وتعتبر الامبراطورية الرومانية مثالاً للانحلال الداخلي . وعلى الرغم من أن المسيحية والرواقية انقذتا روما لبعض الوقت ، لكن القاطنين في المقاطعات كانوا قد انهكوا وفقدوا حيويتهم . فضعفت روما من مجرد التقسيم بين الاجزاء الغربية والشرقية في الامبراطورية . « ان قلب حياتها كان يتضاءل » ولم يقع هجوم البرابرة او ضغطهم الا بعد هذا التضاءل ، لذلك لم يكن نتيجة لهذا الهجوم .

تشبه نظرية اوروبندو هذه نظرية اشبنغلر في مورفولوجيا التاريخ العالمي . يحدد اشبنغلر اصل الحضارة الى القدرة الروحية التي تعود للروح الاول . ويجد اوروبندو حتى في المراحل الاولى للانسانية ، عمليات قوى حدسية حيوية ادنى هي عمليات مستترة وثانوية للروح المعنية . لكن اشبنغلر في ادراكه للروح يظهر تأثير غوته ونيتشه وهكذا لا يدرك المطلق المتسامي كما يدركه اوروبندو . ان اشبنغلر واوروبندو يعترفان بأن فقدان وانهاك القوى الروحية يؤديان الى انحطاط الدورات الحضارية . لكن اوروبندو يعتقد ان الجهود الديناميكية لتثبيت القوة الروحية في الحياة السياسية والاجتماعية تقدر ان تنقذ المدنيات لفترة طويلة من الزمن .

ج ـ القومية ومثالية الوحدة الانسانية في فلسفة اوروبندو السياسية

أصول الأمة ـ الدولة

يعتبر الكتاب الماركسيون نمو القومية عملية لتحقيق المعالم الاقتصادية البورجوازية . فهي اذن مظهر الرأسمالية ، لأن بورجوازية دولة ما تريد ان تزيد ارباحها فتجذب المشاعر الوطنية وتحاول ان تتجنب منافسة بورجوازية الدول الاخرى . (١)

وبالنسبة لشبنغلر ، تعتمد القومية على الميل لادراك اللامنتهي في معناه الزمني والمكاني (٢) تبدأ في الغرب دول النموذج الفاوستي في الظهور بتأسيس الامبراطورية الرومانية المقدسة بواسطة اوتو الكبير ، وتنحل فيها بسرعة الشعوب البربرية التي تعود لفترة الكارولنجية الاولى . وحتى القرن السابع عشر ارتبطت الدولة ـ الأمة بفكرة السلالة لأن الملك او الحاكم كان يعتبر مثال الوحدة القوية والاتحاد . يقول اشبنغلر ان القرن التاسع عشر

(١) منتخبات كارل ماركس ، المجلد ٢١ صفحة ٣١٠ . «الماركسية والقضية القومية» لجوزف ستالين صفحة ١٥ .

(٢) اشجنلر « سقوط الغرب » مجلد ١٢ صفحة ١٧٨ .

يعني تحرير الوعي الوطني من فكرة السلالة ، وفي هذه العملية يكون للثورة الفرنسية مغزى رئيسي لأنها اظهرت الفكرة الشعبية عوضاً عن فكرة السلالة . ويعتبر بولار القرن الرابع عشر ، العصر الاول للقومية ، وذلك عندما عبر عنها في حروب المائة سنة . ان جهاد العامة ادى اخيراً الى ظهور مجلس العموم الذي يمثل نهوض الطبقة الوسطى .

اما اوروبندو ، فانه يجد آثار المحاولة الاولى لتشكيل القومية في المدينة اليونانية ، في الملكية المنغولية او السامية ، في القبيلة الكلتية وفي الكولا الآرية . « ادى اختلاط كل هذه الافكار الى تشكيل الامة الوسطى وتطوير الشعوب الحديثة » .

وفي العملية التاريخية الوحدة – الامة يوضح اوروبندو ثلاثة عناصر : ١ – دور ملكية قومية ٢ – دور طبقية اجتماعية ثابتة ٣ – دور التسلط الاجنبي. لقد لعبت الملكية دوراً هاماً في تنظيم الحياة الاجتماعية واعطاء شكلها . ولكن عندما قام الشعب لمزقت سلطة الفئة القليلة وقامت سلطة الاكثرية . وقد كان البنيان الاجتماعي القائم على الطبقية مسؤولاً عن تشكيل الوحدة – الامة . اما التسلط الاجنبي فقد لعب هو ايضاً دوراً في التشكيل . فقد اظهر تاريخ روسيا وانكلترا تسلط مجموعة قاهرة غريبة حولت ذاتها الى طبقة حاكمة .

توجد ، حسب آراء اوروبندو ، ثلاثة فروق هامة بين الدورة الحديثة لبناء الدولة وبين الدورة القديمة لبناء الامبراطورية . اولاً – تم العالم القديم وتطور ، كما هو في حالة مصر وآشور واليونان ، من الوحدة الاقليمية والمحلية الى التجمع الامبريالي بدون تطوير وحدة – الأمة. لكن الدورة الاوروبية الحديثة لبناء الأمة لم تفكر في توسع أكبر . ثانياً – تمثل الدورة الاوروبية لبناء الامة تطوراً سياسياً نامياً من خلال خطوات عدة متتابعة . ثالثاً – قيام الثورات والتمرد ضد السلطة المتطرفة في العصر الحديث .

يميز شري اوروبندو بين الشعوب والأمم ويعتقد ان الشعوب اصبحت امماً « فقط لأنه كانت لها حياة روحية مشتركة : ونظام اجتماعي مشترك ، ورأس سياسي مشترك » . وهكذا لم تنشأ الدول بمجرد عقود بل بمجرد حالات ، وهكذا كانت جماعات ولم تكن مجتمعات متعاقدة . ان الأمة آلة ميتة لاروح فيها كما يقول طاغور . واوروبا هي بلاد الدول والشرق هو بلاد الشعوب التي تسلك سلوك اناس لهم روح .

٢ – الأصول النفسية القومية

يشير اوروبندو هنا الى القاعدة الحيوية للقبيلة والعشيرة . فالاسس والعناصر الاساسية للقومية ، حسب رأيه ، هي الوحدة الجغرافية والماضي المشترك والمصلحة المشتركة القومية . لكن العامل الأقوى هو « حماسة مشتركة تمتزج مع مصلحة مشتركة » . يقول

فرانز اوبنهايمر : « وعي القومية يصنع الأمة ولكن الأمة لاتصنع وعي القومية . وأما العناصر الأخرى كالعرق والدين واللغة فليست هامة . ولا شك ان المؤرخين والانثروبولوجيين قد اختلفوا في هذه الأصول وفضل بعضهم عناصر على أخرى .

وأما اوروبندو فانه يشدد على المبدأ النفسي أساساً للقومية اكثر مما يشدد على العنصر المادي والبيولوجي . فالقومية بالنسبة له تشير أول ماتشير الى فكرة وحدة نفسية يمكن أن تقوى بالذكريات الاسطورية التاريخية المشتركة ، وبالآلام المشتركة والبطولات ، وبالفكرة الجغرافية وبالمصالح المشتركة والقيم . يقول « الأمة وحدة نفسية قائمة ومستمرة شغلت الطبيعة نفسها لتنميتها في كل العالم بأشكال متنوعة جداً وانتشلتها في وحدة سياسية ومادية .. وكل المحاولات الحديثة لتهديم الأمة بالقوة هي محاولات مؤذية وغير مجدية ، لأنها تتجاهل قانون التطور الطبيعي . الامبراطوريات هي وحدات سياسية تقبل التهديم ، لكن الأمة غير فانية » وعند أوروبندو نجد التشديد على الروح القومية : « ان إيقاظ الروح القومية وإبداع ارادة الحرية » هما أصل الاستقلال . ولانشك إن القومية في نظر التحليل النفسي الحديث ، تشير الى دافع في الانسان لكي ينمي وحدته وقوته وداخليته وعدم تعقله مقابل الخلود الظاهري واستمرار المجتمع الاكبر .

٣ – نظرية الأمة – الروح

يحل شري اوروبندو الأمة – الروح محل الأنانية القومية مع كل ماتتضمنه من كبرياء وغطرسة . إن معتقده النفسي في القومية يتضمن دوماً اشارة الى العامل الروحي . انه لايقبل بديلاً عن القدرة الروحية في فلسفته السياسية والاجتماعية . وهو يريد ان ترفع من سوية مقدرة الروح الجماعية اللاوعية التي عملت دوماً كعنصر داخلي تحت السطح الى السطح ، وان تجعلها قدرة فعالة . وهكذا تستطيع الأمم ان تحقق روحها .

يطور اوروبندو نظرية روح الأمة على مدى كبير . فلا يمكن ان يتم استيقاظ امة اذا تحدد بعقل واحد فقط . وتكون النشاطات المبدعة في اشكال مختلفة ممكنة فقط عندما تستيقظ روح الأمة .

٤ – عقيدة المقاومة السلبية

كقائد سياسي وككاتب ، دعا اوروبندو الى المقاومة السلبية ، اي الدفاع السلبي . وعوضاً عن تقديم عرائض الاسترحام والتوسلات والاحتجاجات ، نادى بسياسة اكثر جذرية هي المقاطعة . لقد حكم اوروبندو على سياسة التوسلات ، ولم يقتنع ابداً بتفوق الانكليز وتدني الهنود .

تستطيع الأمة ، حسب رأيه ، ان تحقق رغبتها للوجود السياسي المطلق في طرق ثلاث . اولاً ، الطريقة التقليدية للثورة

المسلحة أو التمرد . ثانياً ، المقاومة المنظمة التوسعية والمقاتلة ، مثلاً ، الاضرابات ، والفوضى والقتل . ثالثاً ، المقاومة السلبية كما نادى بها بارنل الذي قال بعدم دفع الريع في ايرلندا وهنري ثورد الذي نادى بعدم دفع الضريبة لحكومة تعترف بالتمييز العنصري . ويفرق اوروبندو بين المقاومة المهاجة التوسعية وبين المقاومة السلبية ، المقاومة المهاجة تعني مقاومة قانون غير عادل بتهديم الآلية التي تسند وتصنع ذلك القانون . والمقاومة السلبية تهدف الى جعل المؤسسة التي صنعت القانون وعملية تطبيقه غير فعالة ، وترتكز على العصيان المنظم على قانون قاس وتصر على سحبه . وفي مواقف وظروف معينة يصبح عصيان قانون ظالم واجباً اخلاقياً ويبرر شرعاً .

٥ – الامبريالية

انتقد اوروبندو الأنانية الاوربية لأنها قوت الدوافع الامبريالية للقوى الطامعة والتوسعية . والامبريالية مظهر قديم في التاريخ الانساني وتعود الى فتوحات المصريين والآشوريين والميديين الخ . قال اشبنغلر : «ان الامبريالية هي مرحلة حتمية للتاريخ الانساني عندما تتحول الحضارة الى مدنية مادية مجنونة» . ويقول الماركسيون ان الامبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية وذلك عندما تدخل الرأسمالية حقل التمويل والاستثمار الرأسمالي . وكما يقول لينين ، الامبريالية هي «مرحلة» الرأسمالية ، وحسب كاوتسكي الامبريالية هي « سياسة » الرأسمالية . واستنتج شامبيتر ان الامبريالية تمثل الدافع التوسعي غير الهادف للقوى الدولية . ولا تعتبر الامبريالية مظهراً حديثاً وحيداً ، ان نظرية الامبريالية التي لاتأخذ بالمطامع السياسية وبخطط الفتوح في الأزمنة الوسطى والقديمة لاتكون شرحاً كافياً للمظهر .

ينظر شري أوروبندو الى الامبريالية من وجهة نظر سياسية – نفسية . وكما يقول : «ان الامبراطوريات وحدات سياسية وليست وحدات حقة» . ويعتقد ان الامبريالية تمثل التوسع الطامع للذات القومية . ويقدم لنا مثال الحرب العالمية الاولى : كانت توجد قوتان سياسيتان منغمستان في فعل ديناميكي قبل الحرب . أولاً أمبريالية المانيا الصلبة ، وامبريالية انكلترا المرنة او الليبرالية . وارادت المانيا التسلط الواسع على العالم بواسطة الشعوب الشمالية المتفوقة . وكانت طريقة الألمان ، جزئياً هي احياء للفكرة الروحانية القديمة للتجمع ، لا بد كان يوجد ميل لأن يعودوا الى قياصرة الماضي . ثانياً ، قوة القومية ، كانتا جانبي مظهر واحد ، المظاهر التوسعية والدفاعية للأنانية القومية » .

٦ – مثالية الوحدة الانسانية

تشكل الامبريالية الوطنية والانانية القومية خطراً على الوحدة الانسانية وعلى السلام . وهذا يدعو اوروبندو

الى العالمية والاتحاد العالمي ، وفي رأيه ، توجد مرحلتان في حياة الأمة . في المرحلة الأولى- التي هي عملية التوحيد القومي والثبات - تقدر المصالح القائمة للوحدة الوطنية ان تلقي بثقلها على فروض وواجبات جزئية وعملية . وفي المرحلة الثانية عندما تكون الأمة قد أصبحت منظمة وقادرة ، يجب ان تقلل من مطالبها الاقليمية التوسعية ، كما يجب أن تحفظ نفسها في منظمة عالمية دون ان تهدم وجودها كوحدة ، تمـاماً كما يحفظ الفرد فرديته في العائلة ، والعائلة في الطبقة والطبقة في الأمـة . ومن المهم ان تثبت الروابط النفسية والاخلاقية للدولة ،وهذه هي حاجتنا في الوقت الحاضر . ولا يعتبر اوروبندو القومية شوفينيـة ضيقة متعصبة لكنه يتصور « وحدة الانسانيـة المطلقة

وتؤسس هذه الوحدة على قاعدة المساواة وليس على قاعدة تسلط قوى على اخرى .

« اننا نطلب تحقيق وجودنا التضامني كعنصر مميز وكأمة لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تكتمل بها الاخوة المطلقة للانسانية » .

« إن مثاليتنا عن القومية تنبع من قاعدة المحبة والأخوة وتتطلع هذه المثاليـة الى ماوراء وحدة الأمة وتتصور الوحدة المطلقة للانسانية » .

ويشير اوروبندو الى المحاولات الأولى في توحيد الانسانية ، مثلا انتصارات الاسكندر وفتوحات القلة القرطاجنيـة وفتوحات الامبراطورية والجمهورية الرومانية السياسية. لم تنجح هذه المحاولات لأن الوحدة - الأمة التي كانت وسطاً بين الامبراطورية والدولة- المدينة لم تكن قد تمت في تلك الأيام .وحسب منطق التطور السياسي ، من المهم ان يوجد انتقال تدريجي من الدولة - المدينـة الى الامبراطورية الكبرى من خلال الأمة .

يعتقد أوروبندو ان الوحدة الانسانية ستحدث ، ويقيمها هو على أسس ميتافيزيقية « الوحدة فكرة حقيقة ، وذلك لأنها الأساس الصحيح للوجود . ان الوحدة التي تختبىء في اساس كل الأشياء ، هي الروح المتطورة في الطبيعة تنتقل لكي تتحقق بشكل واع في القمـة ، ينتقل التطور من خلال التنوع ، من الوحدة البسيطة الى الوحدة المعقدة.

د ــ فلسفة شري أوروبندو الاجتماعية

ليس الفرد ، في رأي اوروبندو ، مجرد تجمع مادي وتعقيد للقوى اللاواعية المادية بل هو نفس روحانية ، هو كائن وتعبير ذاتي للحقيقة الروحية المتعالية والكونية . ان الهدف الاساسي للتقدم التطوري الكوني هو التحول القدسي الكلي للانسان خلال تحرر الكائن الكلي للفرد من سيطرة اللاوعي ومن حدود الجهل الأناني والجزيء. الفرد روح قدسية ، وهدفه هو الوصول الى الحرية الروحية والى الخلود ،

ومصيره هو تحقيق الوحدة الضرورية للروح السامية مع روحانية الحياة الارضية. وليس مصيره انغماساً حسياً غريزياً في أعماق الملذات المادية ، حقــاً إن الانسان هو فرد مستمر وذات روحية وهدفه النهائي هو تحقيق وعي عارف يتضمن حكمة وتحديد حياته بوعي – ذاتي ووعي – كلي ، وهذا يعني ان من واجبه ان يفطن في وعي وجودي بل في وعي فوق الوجودي .

يعارض اوروبندو الشروح المادية والاجتماعية للذات الفردية . يعتبر الماديون الفرد مظهراً تاماً للمادة او للطاقة على الرغم من انه يختلف كيفياً عن الينبوع المادي لأصله. ويعتقد بعض « العضويين » وعلماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين ان الانسان « خلية » في المجتمع، لكن اوروبندو يعتقد ان هؤلاء قد امسكوا « بالجانب المظلم » . ان نمو فردية واضحة وشخصية مميزة في الانسان هو شيء ظاهر لخطة معينة للطبيعة تصمم فيــه تطور كائن واع اكثر فأكثر . « لا شك أن مايبدو في الفرد وما يدرك الكتلة بعد ذلك يجب ان يكون قد سبق وكان هناك في العقل الكلي ، والفرد هو فقـــط أداة لظهوره واكتشافه ونموه ، لكنه إداة لايستغنى عنها ، اداة ليس فقط للطبيعة غير الواعية او لدافع غريزي يدرك الطـاقة ، بل اداة مباشرة للروح – التي تعتبر الطبيعة ذاتها اداة لها – واشكال ابداعها » .

١ – فلسفة الدولة – طبيعتها وتطورها

لفلسفة اوروبندو في الدولة علاقة بنظريته عن دور العقل في تطور الانسان الاجتماعي – السياسي. والمرحلة الاولى للتطور الانساني هو تحت – العقلي ويعرف بسيطرة الغرائز والدوافع. والعقلانية قائمة ، في هذه المرحلة كقوة اجتماعية لكن لايعبر عنها، ويمكن ان تسمى عصر المجتمع الطبيعي . و « المبــدأ الواعي للحياة فيها » هو الدافع والقوة البانية للمجتمع . والمرحلة الثانية هي مرحلة العصر العقلاني أي عندما يصبح العقل اكثر وعياً لذاته، والمرحلة الثالثة تخص المستقبل وستعرف بتشديد كبير على الوعي الفكري ما فوق العقلي. في هذه المرحلة الثالثة ستستعمل قوى الحدس والوعي ما فوق العقلي لتحويل الانسان كلياً ولكمال المجتمع المقدس .

تمثل الدولة الاداة الكبرى للانتقال من المرحلة الاولى أي مرحلة ما تحت العقلي الى المرحلة الثانيــة اي المجتمع العقلاني . وتنتظم الآلية – الحتمية الدولة وتستقر من خلال الحصول على احتكار السلطة الشرعية للعنف وتصبح الاداة لضمان النظام العام والفعالية . « الدولة هي السيدة لكنها العلم المستبد وعقل الانسان الذي يحل على اختبارات الطبيعة التطورية ، ويحل فيها النظام الفكري محل التنظيم الطبيعي » ، ان تاريخ الدولة يمثل تطوراً تقدمياً لوحدة سياسية واصلاية واستقرار من خلال تطور

اشعاع مركز للقدرة المنظمة . ان حالة الانسان قبل ظهور الدولة يحدد بسيطرة مشاعر القرابة العنصرية . لكن الدولة تقوم على مركزية ارضية تقود الى مركزية ادارية وتشريعية ، اي ان الدولة تتفق في الزمن مع تركيز السلطة التشريعية .

ويعتقد اوروبندو ان محاولة الدولة ان تنمو لكي تصبح كائنا اخلاقيا هو مظهر مفيد للعالم الحديث . ان انواع الدمار التي سببتها الحروب المخيفة كانت تجربة مرة للدولة جعلتها تفكر بأن تحول علاقاتها الخارجية الى مفاهيم اخلاقية وفكرية .

٢ – دحض نظرية العضو

يرفض اوروبندو فكرة الدولة العضوية مع انه يستعمل التشبيه العضوي . و ليست الدولة عضواً ؛ انها آلية تعمل كآلة . انها تحاول أن تصنع وأن عمل الانسانية هو أن يعمل وأن يخلق » . ان مثال الطبيعة الميكانيكية للدولة موجود في الدول التي تطبق الثقافة التي تديرها الدولة . وهدف هـذه الثقافة هو خلق شخصية نامية لتنمية مواهب الانسان الداخلية وقدراته . لكن الثقافة التي تسيطر عليها الدولة تؤدي الى انتشار الدعاية ووجهة نظر الفئة التي تحكم .

٣ – وظائف الدولة : من الفردية الى الاشتراكية

من وجهة نظر اوروبندو ، الدولة توافق ميكانيكي ، نصل الى رأيه في تحديد وظائف الدولة . وعمل الدولة في نظره هو « ان تزيل العقبات وكل ماهو تافه ومؤذ ... وأن تزيل الظلم الذي يمكن تجنبه لكي تضمن لكل فرد فرصة عادلة ومتكافئة لتنمية قواه تنمية تتناسب مع طبيعته ومقدراته ... وكل تدخل غير ضروري في حرية نمو الانسان يكون مؤذياً » .

٤ – الديموقراطية – اسس الديموقراطية

ينتقـد اوروبندو المؤسسات الحديثة كالديموقراطية والاشتراكية اللتين لاتحلان ، في رأيه ، مسائل المجتمع والسياسة ، وذلك لأنه يعتقـد بتحقيق مجتمع روحاني كحل سياسي وحيد للمسائل الانسانية . لكنه يعترف أن الديموقراطية والاشتراكية نتاج التطور الواعي . . . الثاني للمجتمع لأنها تقومان جزئياً على طرق العقل وعلى محاولة التخطيط العقلي للموارد الطبيعية والسياسية والاجتماعية . في عملية تطوره من المرحلة الطبيعية تحت العقلية والغريزية ، يحاول المجتمع ان « يكتمل عن وعي بواسطة التنظيم الكلي لحياته السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية » . ان أكمل العملية يعتمد على اكمل النمو الذي بواسطته تصبح الدولة والمجتمع ذات مدلول واحد . هذا هو دور الديموقراطية المهم . وهذا هو دور الاشتراكية . هما الرمز الى أن المجتمع يتهيأ لأن يكون واعياً لذاته كلياً .

ينتقـد اوروبنـدو الديموقراطيـة والاشتراكية والشيوعية والرأسمالية على الرغم

من أنه يعتقد انها مراحل تطور واع. ويعتقد انها لاتزال تحمل طابع الفردية كما انها لاتزال امتداداً للفكرة القومية .

٥ ـ فكرة الحرية

تعتبر الحرية هامة في الفلسفة السياسية والميتافيزيقية . البوذية تطلب ضرورة التحرر من سيطرة قوى اللاوعي، وتعلم قيمة الانعتاق من النسبية المادية . وادركت المثالية الالمانية الحرية على انها جوهر الروح . وفي التاريخ ـ العالم وُجهت بعض الحركات السياسية العظيمة لتحقيق الحرية . لقد رفعت الثورة الفرنسية لواء الحرية بالاضافة الى الأخوة والمساواة .

الحرية هي رمز الفردية . وهي تعني قدرة الكائن الانساني المفكر على ابداع لايُبطىء . انها القوة المحركة الضرورية لنمو الوعي الخلاق وطالما أن الانسان يزداد في اشباع متطلباته الطبيعية فانه لايهتم للحرية الروحية . ولكن، لدى استيقاظه لتحقيق مصيره الابداعي فانه يتعرف الى الحرية والخلود . فالحرية تعطي الانسان شعوراً بنشاط ارادي وسط اندفاع مخيف للقوى الاجتماعية والكونية ، وهكذا تعني نمو قدرة التصميم الذاتي المستقل وسط دوافع نفسية ديناميكية وتعني ايضاً القدرة التي تثبت الكرامة الفردية الطبيعية ضد القوة الاجتماعية والسياسية .

ويرى اوروبندو ان مسألة الانسان الروحية هي البحث عن الكمال القدسي والخلود ، ويعني تأسيس حرية لاتنتهي عوضاً عن الضرورة الميكانيكية . انه لايقبل النظرية القائلة ان الظواهرية الكونية تنبثق من جبرية ميكانيكية لضرورة طبيعية غير عاقلة ، بل يؤمن بالتطور الداخلي والخارجي الموجه في عالم المطلق الروحي والشامل ـ المتعالي . ان مظهر الضرورة العمياء المجردة التي نجدها في الطبيعة هو جزء من آلية المطلق .

وينادي اوروبندو بالحرية السياسية اي الحرية الخارجية. انه ينادي بالمساواة وبالحقوق .. هذه المفاهيم التي تظهر صلة الانسان بالانسان في المجتمع.

٦ ـ عصبة الأمم والامم المتحدة

يقتنع اوروبندو ان المؤسسات لن تحملنا بعيداً لأن وراءها يقبع رجال يديرونها .. والابداعات السياسية لأناس غير كاملين تكون غير كاملة . وهذا مايقوله بصدد عصبة الامم التي فشلت « لاتساعده الآليات الخاطئة التي لها مظهر الحرية لا حقيقتها، ان البنيان الجديد الذي يفرض ذاته سيصبح سجناً آخر وسيجلب معه صراعاً جديداً للتحرر . ان الأمان الوحيد للانسان يقع في تعليمه كيف يحيا من الداخل الى الخارج ، لا أن يعتمد على المؤسسات التي يبدو انها تعمل لكمالنا » .

٧ – الانسانية

الانسانية والعالمية-حلان غير كافيين بالنسبة لأوروبندو ،ويعتبرهما جهوداً باطلة لمثاليين عاطفيين ذوي نزعات انتقائية . كان اول مؤسس للانسانية الاوروبية بروتا غوراس الذي قال« الانسان هو مقياس كل الاشياء» . ولا يكتفي اوروبندو بتمجيد الانسان التجريبي حتى ولو كان في أعلى ذروة من تطوره العلمي والسياسي . انه يريد التبدل فوق العقلي للكائن الانساني ولطبيعته .هكذا تحل مشاكل الانسان والمجتمع . « عندما تجتاز الانسانية فانئــا سنكون الانسان ... الاله ... ؛ وعندئذ سنعيد صنع أنفسنا في الصورة القدسية» .

ه ـــ خلاصة

في ايجازنا لفلسفة اوروبندو الاجتماعية والسياسية نلاحظ مايلي :

١ – النزعة المثالية والروحية

ونلمسها في كتاباته كلها . وتعود هـــذه النزعة الى تأثره بالفلسفات الهندية التي تقيم الانسان على اسس روحية .

٣ – التأثر بالفردية

ويعود الى تأثر أوروبندو بالفكر الفلسفي الهندي بشكل عام ، هذا الفكر الذي يشدد على خلاص الانسان من خلال ذاته .

٣ – التأثر بالفلسفة الغربية

ونجد هذا التأثر واضحـــاً في آرائه عن الحرب وفكرة الامم وأثر الافكار في التاريخ ونظرية القيادة التي هي افكار غربية . ان الفلسفة الهندية لاتبرر الحرب ، بل تنادي بالسكينة والهدوء ورفض الانفعال والكراهية والغضب . وتشدد على مثالية الانسان ومحبته للآخرين . وما نجده عندأوروبندو من تبرير للحروب ، يعـــود الى تأثره بهيغل ، كما ان مانجده عنده من تحليل للمدنيات والحضارات وعملية سقوطها ، يعود الى اشبنغلر .

٤ – صعوبة التوفيق بين الشرق والغرب :

لا يستطيع اوروبندو ، كما نعتقد ، ان يوفق بين افكاره التي تعبر عن الفكر الهندي من جهة وبين افكار هيغل واشبنغلر من جهة ثانية . ويبدو عدم التوفيق هذا في فشله في ادخال فكرة الحرب من اجل انتصار الفكرة عبر التاريخ . ولا ننكر ان فلسفتي اوروبندو وهيغل في التاريخ هامتان جــداً ، ولكن « الطريقة » التي اعتمدتها كل واحدة منها والتي تعتمد على تبرير العنف من خلال القيادة ، فاشلة الى حد ما .

٥ – صعوبة التوفيق بين آرائه في الفردية وفي الاشتراكية :

لاينتكر اوروبنـــدو للاشتراكيـــة والديموقراطية والنظم الاجتماعية الاخرى ،

لكنه يعترف انها لم تحقق الفكرة او الحتمية التاريخية او المجتمع الذي يرسو على قواعد وأسس روحية اي الأمـة ـ الروح . ويقر ايضاً انها لم تعمل على تطوير الانسان واجراء تبديل داخلي فيه . ولا تزال هذه النظم ، في اعتقاده ، متخلفة في تحقيق مثالية الحيـاة الاجتماعية .

٦ — اوروبندو والحكم واوروبندو السياسي

نعتبر اوروبندو حكيماً لأنه نزل الى اعماق الروح الانسانيـة ، وانتقد التطور الداروني ، ونادى بالمثالية ، وآمن بتحقيق الفكرة من خلال التاريخ ، وبدور «حتمية» الارادة الالهية ، ولانشك ابداً ان اوروبندو حكيم وقديس وصاحب رؤيا . ونعتبره في ذات الوقت ، سياسياً لأنه لعب دوراً هاماً في تحرير بلاده ، وساهم في تنمية الفكر الهندي والعـالمي على السواء ، ودرس الادوار التاريخية والانسانية ، ونادى بفلسفة ايجابية للتاريخ وبالمقاومة السلبية . ولكنه ظل مثالياً أي حكيماً في كل ماكتبه لأنه انزل السياسة من الاعلى الى الادنى ، وحاول التوفيق بين الفردية والاشتراكية على اسس فكرية ، واقام مفاهيمه وقيمه الاجتماعية على الانسان ... الانسان : تطوره في عالمـه وذاته هو سر الوجود . ومن هذا الانسان المتطور نحو حقيقته تنبع المثاليـة والانسانية .

ان آراء شري اوروبندو تجمع الشرق والغرب في حقل مترامي الأطراف تلعب فيه الآراء ، ويعجب الرأي بهذا التنوع الجميل الذي يمرح في حقل واحد.. هو حقل الانسانية . كما نعتقد ان الأوضاع العالمية القائمة والنظم الاجتماعيـة السائدة لاتحقق الكثير من آراء شري اوروبندو لأنه ابتعد بها وصعد بها الى حقل انساني (أسمى) . والتجاوز او التصعيد او التسامي ، في رأينا ، هو (ميتافيزيقا) اجتماعية وانسانية تهدف الى الأخذ بيد الانسان الى (حقيقته) .. وفي هذا تجاوز للقيم الاجتماعية التي تظل في قيدها ، تحدوها العوامل التي تشكلها .

قضيّة أدبيّة قوميّة

الأدب المهجري

معجزة العروبة في العصر الحديث

عرض وتحقيق : فريد جحا

وفيما يلي نقدم اجوبة الادباء والشعراء المهجريين حول السؤالين الذين اثبتناهما في القسم الاول من هذا المقال.[1] نورد هذه الاجوبة بنصوصها الحرفية مرتبة حسب التاريخ الذي كتب كل منها فيه.

جواب الشاعر رياض معلوف :

عن زحلة (لبنان) ٢٠ حزيران ١٩٦٦

سؤالان طرحهما علي الصديق الغالي الاستاذ فريد جحا.

سؤال ١ - ماهي الدوافع النفسية والادبية والقومية التي حدت بكم الى انتاج ادبكم باللغة العربية ؟

الجواب : الدوافع التي دفعتني الى الانتاج بالعربية هي انني ممن يفاخرون بلغتهم وأصلهم شخصيا وقوميا وادبياً. ومرد ذلك الى البيئة التي أعيش فيها وانتمي اليها، وطرافة اللغة العربية وثروتها بالمفردات وتعددها، وما تتزين به

(١) انظر العدد الماضي من المعرفة — ٥٦ — تشرين الاول ١٩٦٦

المعاني . ان من الافضل للمرء ان يكون لديه مائة ثوب من ان لا يكون له سوى ثوب واحد . فماذا يضرنا لو كان للسيف عشرات الاسماء وكذلك الاسد ، انني أرى في ذلك ثراء يساعـــدنا على النظم والكتابة بسهولة ، والتفنن بها كما تجيء الكلمة في الموضع المعد لها ومنتقاة بدقة كدقة اللون في لوحة المصور البارع .

اقول هذا وانا اتقن اللغة الفرنسية ، ولي فيها عدة دووابن صدرت بباريس عاصمة النور ، وعني بها كبار النقاد والادباء الباريسيين وبينهم أعضاء من المجمع العلمي الفرنسي بالذات. وهذا لم يثنني عن الكتابة والنظم بلغتي الأم التي أحبها مهما صعبت قواعدها ، ارأيت الى الغادة الحسناء التي تغري العاشق بتقلبات قلبها وطبعهـــا ومزاجهـــا ، وذلك مما يزيده بها شغفا وولهاً ؟!!

وهذان بيتان شاهدان على ما اقول مأخوذان من قصيدة لي في (المولد النبوي الشريف) :

جمعتنا ام اللغات جميعا
كلنا نحن حولها نتوحد
لغـة تخلب السماع بلفظ
عربي النجار كاللحن ينشد

وقد التقيت ـــ زمن هجرتي بالبرازيل ـــ بصديق من اساتذة معهد الصوربون الباريسي ، فاهديته مؤلفاتي الفرنسية الشعرية (تلاوين ـــ غيوم ـــ مسامير العاج) . فكتب مقالا مستفيضا حلل فيه شعري وبيئتي الشرقية ووضع بلادي وتأثري بلغتها وروعتها وتعدد بيئاتها وجمالها ، مما دل على سعة اطلاعه وبعد نظره . وتناقشنا يومذاك معا حول موضوعية الشعر وخطة نظمه بالعربية والفرنسية ، فأعجب بما اخبرته عن شعرنا والتزام القافية الواحدة في القصيدة كلها ، فرغب الي في ادخال هذه الطريقة على الشعر الفرنسي ، الذي ينظم بقواف تتشابه وتتعاكس مابين البيت والبيت وتتفاوت مابين المقطع والمقطع . وهذا دليل صارخ من فم اعجمي احب لغتنا

وشعرنا ، فكيف تريدنا الا نعجب نحن بلغتنا التي اعجبت الكون ؟!

سؤال ٢ – ماهو في رأيكم تفسير ظاهرة كون المهاجرين العرب الى اميركة هم وحدهم – من بين سائر المهاجرين – الذين انتجوا ادبا بلغتهم القومية الام ؟

جواب – ان المهاجرين العرب انتجوا بلغتهم الام حفاظاً على شخصيتهم وقوميتهم ولغتهم ولتباعد اللغة العربية عن اللغات الاجنبية في المهاجر التي نزحوا اليها . اما المهاجرون غير العرب فانهم انتجوا بلغة البلاد التي استوطنوها في المهجر ، لتشابه لغة تلك البلاد مع لغتهم ولاصولها اللاتينية الواحدة، والتباين بينها ضئيل جدا .

ولغتنا العربية – كما لايخفى – هي نسيج وحدها ، لذلك انتج مهاجرونا بلغتهم الام انتاجهم الادبي ، ولايجاد صلة بين الاندلس القديمة التي اسسها اجدادهم ، والاندلس الجديدة التي اسسوها هم ، واعتبروها وطنهم الثاني . وقد اطلقوا فعلا على صحفهم المهجرية أسماء تدل على ذلك بوضوح منها : (مجلة الاندلس الجديدة ، ومجلة العصبة الاندلسية) .

ولهــذا اتسمت نهضتهم الفكرية المهجرية بطابع اندلسي محض بنظمهم التقليدي للموشحات الاندلسية على النمط والوزن نفسها مع التفنن عنه بالالفاظ ورشاقتها والقوافي وجزالتها وموسيقاها اللفظة المستحبة، فنهجوا نهج الاندلسيين، ونسجوا على منوالهم، مع تأثرهم الى حد ما بالبيئة المهجرية ، ووصف ماحولهم ، والعناء الذي يلاقونه باصطدامهم بالمدنية الغربية ، وردة الفعل التي أحدثها هذا الاصطدام في نفوسهم وخواطرهم ، فتركوا نهضة ادبية واجتماعية وعمرانية لايمحي اثرها، ولا تنسى ابد الدهر، وان اخذت تتلاشى الآن تدريجياً مع الاسف.

ومن يعلم ؟ فلربما جاء بعد هؤلاء رعيل آخر واقتــدى بهم من بعدهم كما

اقتدوا هم بالاندلسيين القدماء، والتاريخ يعيد نفسه . ومما لا شك فيه ان الانسان كلما ابعد عن وطنه اشتاق وحن اليـــه وكبر بعينه وتباهى بـــه وبلغته امام الاعاجم، وفي ذلك مدعاة فخر له ولآبائه وأجداده .

جواب الشاعر القروي :

عن البربارة (لبنان)

٣ ربيع الاول ١٣٨٦ ٢١ حزيران ١٩٦٦

اخي الاستاذ فريد جحا

تحية طيبة

وبعـــد ، لا اكتمك ياعزيزي اني استغربت سؤالك . فلكان معقولاً ، لو اننا كتبنا في مهاجرنا بلغة من لغات الاعاجم، ان تسأل لماذا لم نكتب بلغتنا العربية ، ونحن عرب اقحاح ، ونخاطب عرباً اقحاحاً . اما لماذا انتجنا ادبنا باللغة العربية فسؤال يقتضي سؤالاً .

اما تساؤلك في كوننا ، دون سائر المهاجرين من الامم ، انتجنا ادباً بلغتنا القوميـة الأم ، فأمر لا أجزم بصحته ، لأنني لم اعاشر ادباء من غير قومنا ولا طالعت كتبهم . ولهذا يؤسفني ياأخي اني لم اوفق الى موافاتك بما يشفي غليلك الى تعليل ماسألت فيه .

ارجو تلطفك بالمعذرة ، والخالص مودتي واحترامي .

جواب الشاعر الياس قنصل :

عن بوينس ايرس (الارجنتين) في ٢٥ تموز ١٩٦٦

عزيزي الصديق الكريم ،

تحية عربية .

تلقيت نشرتك ، وفيها سؤالك عن الدوافع النفسية والادبية والقومية التي حدت بنا الى انتاج ادبنا باللغة العربية .

واجيبك على السؤال الثاني ففيه الجواب كذلك عن السؤال الاول :

في رأيي ان السبب يعود الى ان الادباء المغتربين كانوا تواقين الى الحرية التي حرموا منها في اوطانهم الاصلية ، فما كادوا يتنشقون نسيمها في مهاجرهم حتى

راحوا يعبرون عن فرحتهم بها، ويحضون ابناء امتهم على الجهاد في سبيل احرازها، وهل يستطيعون ذلك الا بلغتهم العربية؟ وهل خاطبوا الا اخوانهم المقيمين الذين ينطقون بهذه اللغة في سائر انحاء الوطن العربي الذي يعتبرونه « وحدة » فلاتمييز بين قطر وآخر ؟

واسلم معافى لأخيك .

جواب اديبنا الكبير ميخائيل نعيمة عن بسكنتا (لبنان)

في ٥ تموز ١٩٦٦

عزيزي

، تسألني عن « الدوافع النفسية والقومية » التي حدت بي الى انتاج ادبي باللغة العربية . والجواب بسيط . وهو انني من بعد ان اطلعت على الآداب العالمية ابان دراستي في روسيا ثم في الولايات المتحدة ، هالني ما كنا فيه – نحن العرب – من تخلف في شتى ميادين النشاطات البشرية والادبية بالاخص .

ولان العربية هي لغة آبائي واجدادي وقد رضعت حبها مع لبن امي ، ولأنني كنت اتألم لما يعانيه بنو قومي من انحطاط ادبي وسياسي وعمراني ، فقد كان من الطبيعي ان اخاطبهم بلغتهم لعلني افتح عيونهم على الضحاضح الفكرية والروحية التي كانوا يعيشون فيها ، وأضرم اشواقهم الى الآفاق الفكرية والاغوار السحيقة .

اما لماذا قامت « الرابطة القلمية » في نيويورك ، ثم « العصبة الاندلسية » في سان باولو ، ولم يقم ما يماثلهما في باقي المهاجر فأمر يصعب تحليله وتعليله . فمن وراء كل ثورة فكرية او سياسية او اجتماعية او دينية اسباب متشابكة يستحيل علينا تقصيها الى منابعها الاصلية ، والجزم بأيها كان الاهم .

وهنا لامناص لنا من التسليم بأن لما ندعوه « القدر » يدا في كل ما نفعله عن وعي منا ، او عن غير وعي . وقولنا ان « الامور مرهونة بأوقاتها » هو قول لاغبار على صدقه .

هذا وعليك اطيب السلام واليــك اخلص التمنيات .

جواب الشاعر شفيق معلوف

عن غواروجا (البرازيل)

في ١٩٦٦/٧/٢٠

اخي الاستاذ فريد

تحية الولاء الخالص . دونك سؤاليك مع جوابيها حسب طلبك :

س ١ – ماهي الدوافع النفسية التي حدت بكم الى انتاج ادبكم باللغة العربية؟

ج ١ – هي نفس الدوافع التي حدت بالمقيمين الى الانتاج بلغتهم الأم .

فأنا قبل ان أهاجر ربيت في محيط أدبي محض ، ونعمت بثقافة عربية صرف وعملت صحافيا ، حتى انني انتجت على صغر سني اذ ذاك كتابا شعريا طبعته في لبنان قبل ان انتحي بلاد الغربة .

س ٢ – ماهو في رأيكم تفسير ظاهرة كون المهاجرين العرب الى اميركا هم وحدهم – دون المهاجرين – الذين انتجوا ادبا بلغتهم الام ؟

ج ٢ – ان معظم المهاجرين عندنا من غير العرب – هم من ابناء شعوب تعد في الطليعة رقيا وحضارة كالالمان والطليان واليابانيين وسواهم . فلم يكن يغترب منهم سوى طلاب المغامرات . اما ذوو المواهب فلم يعدموا في مواطنهــم الاصلية وسيلة لاستغــلال مواهبهم ، بخلاف الكثيرين من نوابغنا ابناء العروبة فقد كانت تضيق بهم مواطنهم المستعبدة فينزحون عنها ويتكتلون في المهاجر على نحو ماجرى في الامريكيتين الشمالية والجنوبية .

جواب الشاعر جورج صيدح

عن باريس بتاريخ ٥ / ٨ / ١٩٦٦

« . . . اما سؤالك عن سر تعلق ادباء المهجر بلغتهم العربية وسر تفردهم بالانتاج العربي فلم يصلني ، ولا لزوم له في شرعي ، لأن الموضوع مفصــل في كتابي وبالاخص في فصل (سر التفوق في أدب المهجر) ، الذي احاور بــه الدكتور مندور .

— واني الفت نظرك الى تحليل المرحوم العقاد لهذه البادرة الفريدة والجزم بأن حب اللغة العربية كان اقوى من كل حب عند اولئك الادباء لا يستثني حب الوطن وحب الأهل وحتى حب الذات..»

فاذا عدنا الى الفصل المذكور وجدناه يأخذ ثماني عشرة صفحة من الطبعة الثالثة للكتاب . وقد لخصت صفحاته الاخيرة رأيه بدقة .

يقول في الصفحة ١١٣ : « ان ادب المهاجرين ليس ثمرة انتقال ادباء المهجر الى المحيط الامريكي لأنهم لم يجدوا فيه الا القليل من الميسرات والكثير من المعسرات ، ولا هو وليد ادب الغرب لأن اكثرهم لم يقرأه . بل اؤمن بأنهم لو تخلفوا في الوطن ، وعاشوا بين زملاء ينافسونهم في الانشاء والنظم والخطابة ، والضاد تجري على السنتهم وترن في مسامعهم ليل نهار ، لأنتجوا ادبا لا يحمل الطابع المهجري ، ولكنه قد يفوق ما انتجوه في المهجر الامريكي روعة وجزالة ، وحسبنا دليل على مانقوله ، ما انتجه الريحاني ونعيمة بعد خروجها من ديار الهجرة » .

ويضيف بعد قليل: « ان ادباء المهجر استطاعوا مالم يستطع غيرهم بفضل موهبتهم الفطرية لا اكثر ولا اقل » . وهذا عين ماقاله لي الاستاذ نعيمة في حديث جرى بيننا : « ان ادباء المهجر — بما فيهم اعضاء الرابطة القلمية — لم يكونوا من ذوي الثقافات العميقة . لم تهيئهم المدارس في وطنهم المركز الممتاز الذي يشغلونه في عالم الادب ، ولا البيئة الاجنبية اثرت فيهم ذلك التأثير الذي يتوهمه المتوهمون . ان الفضل في تبريزهم هو الموهبة الطبيعية ، والموهوب هو الذي يخلق بيئة ولا تخلقه البيئة » . .

يقول هذا القول الاديب العربي الذي يحسن عدة لغات اجنبية ويحمل شهادات جامعية . فان كان يعترف بأن ثقافته غير عميقة فما بالك بثقافة الآخرين ؟

وكتب الي الشاعر شفيق معلوف : (ان ثقافتنا الادبية هي ثقافة مواطننا الاصلية . والعبقريات في المهجر كانت

كامنة فينا لا في البيئات التي عشنا فيها) .

فالموهبة الفطرية ـ لا الثقافة ـ هي مفتاح السر في تفوق ادب المهجر . يضاف اليها الجد والاجتهاد والتأمل العميق . وهذا لا يعني اننا نبخس الثقافة قيمتها في تكوين الادب ، بل نعتبرها من اهم مقوماته ، ونتمنى لو ان ادباء المهجر كلهم وجهوا عنايتهم الى اقتباس ثقافة الغرب وتمكنوا من لغته واطلعوا على آدابه كما فعل الريحاني وجبران ونعيمة ومعلوف ، اذن لكان ادبهم أعمق وأدسم وأبقى ..

جواب الاديب الاستاذ نظير زيتون

عن حمص بتاريخ ١٩٦٦/٩/١٥

عزيزي الاستاذ فريد جحا

وبعد فقد تسلمت رسالتك الكريمة بعد عودتي الى حمص وهذا يفسر لك سبب ابطائي في الرد عليها واليك جوابي عن السؤالين اللذين تكرمت فوجهتهما الي .

السؤال الاول : ماهي الدوافع النفسية والادبية والقومية التي حدت بكم الى انتاج ادبكم باللغة العربية ؟

الجواب : من فضل الغربة على المهاجرين السوريين واللبنانيين الى بلدان العالم الجديد ، انها فتحت عيونهم واذهانهم على لون طريف تريف من الوان الحضارة الفتية التي لم يعرفوها ولا ألفوها . فقد ذاقوا طعم الحرية والكرامة في ظلال الدساتير والشرائع والانظمة الدمقراطية المتسامحة التي ساوت الطارقين الغرباء ، أبناء البلاد الاصلاء بأضف الى هذا ماالمسوه من فتوحات عمرانية حضارية رائعة .

كما ذاقوا طعم الحرية والكرامة ، وقد دنوا في وطنهم الرازح تحت وطأة حكم الاجنبي مضطهدين مقهورين ، فقد سمعوا هذه الشعوب الفتية ، تتغنى ببطولاتها القومية وتعتز بالاستقلال والحرية والدمقراطية وتثور على الاستبداد والطغيان والاثرة السياسية ، وسائر مايفسد على الامة انظمتها الدستورية ومكاسبها التقدمية .

وكذلك رتعوا ايضا في ربوع مجتمع دمقراطي راق كريم مضياف ، مثالي الاهداف ، انساني الاوصاف ، في رحابة صدر وثغر رفاف ، حررته تجاربه وثقافته وتاريخه من العقد العنصرية والطائفية والاجتماعية ، وجمعت بينه وبين العربي مزايا مشتركة كالنجدة والفروسية والشهامة والاريحية ، والنباهة والالمعية والطموح والعصامية .

هذه الحياة الجديدة في هذا المجتمع الجديد ، فتحت عيونهم واذهانهم على امور خطيرة تدعو الى التحفز والتبصر ، فكيف يتدبرون امورهم في هذا العالم الجديد ، وهم شبه زورق

في عرض الاقيانوس المحيط ؟ وكان امامهم واحد من امرين فاما ان يعيشوا على هامش هذه الشعوب خاملين مستضعفين ضائعين مستسلمين ويلعب بهم القدر المجهول .. واما ان يتأهبوا ويخوضوا معارك الحياة على قسوتها ابطالا كراما عظماء . ويحققوا مايراودهم من احلام الثراء والرخاء والعزة والسناء .

وكان طبيعياً أن يختاروا المعركة ويتهيأوا لها ، فخلعوا ثوب الاتكالية ، ثوب الجمود الموروث ، واخذوا يشحذون العزائم ، وينفضون ماتراكم من الرماد على مواهبهم ويفجرون طاقاتهم مشمرين عن سواعد الجد ويغالبون المصاعب ويجاهدون النفس ويؤججون نيران الحماسة في الصدور ، فالتبعات التي يحملونها ثقيلة خطيرة، والأماني عزيزة كبيرة ، والطريق شاقة عسيرة . ولكن هذه المشقات لاتلبث ان تصبح كالظل العابر ، حينما تبتسم الايام عن النصر المدوي الباهر .

فقد شعروا في غربتهم — وهم العصاميون المثاليون ، واكاد اقول ايضاً وهم الاميون ، والحديث عنهم يعود الى سبعين سنة غابرة — بأنه ينقصهم لاستكمال وحدتهم العصبية الكيان السياسي وها هو لقب (توركو) يطاردهم في مهاجرهم القصية ، فكانت لهم صفوفهم المتراصة المتعاونة ، وكانت لهم صرختهم الأدبية الوفية في سبيل الاستقلال والحرية ، وكان لهم من امجاد التاريخ العربي كنوز من العزة القومية ، وآفاق متألقة بالثروات الفكرية ، وينابيع ثرارة من الاعلاق التاريخية .

وشعروا قبل كل شيء بانه ينقصهم الكيان المادي ، وهم الغرباء الفقراء ، ولا مكانة لمن صفرت يداه ، وتاهت في الغربة خطاه ، وغامت في ظلمة الكسل والخمول عيناه ، فاستنفروا هممهم العالية وعزائمهم الماضية ومطامحهم الضافية ، وشمائلهم الصافية وتجاربهم الهادية ، وكانت لهم بعد هذا فتوحاتهم التجارية والصناعية والمالية والزراعية التي ملأت عين الدهر وانطلقت مثلا سائر متلألىء الذكر عبيري النشر ، تناقله الرواة من قطر الى قطر في اطار من الاعجاب والفخر .

كما شعروا ايضاً بانه ينقصهم الكيان الاجتماعي بأرفع مظاهره وارحب ميادينه تعزيزا لسمعة الوطن الاصيل وانسجاما مع التطورات الحضارية والمادية والثقافية وتأكيدا لابناء البلاد انه عنصر مثالي فريد في مزاياه الرفيعة واخلاقه المنيعة . وكانت لهم قصورهم الشامخة ، وحياتهم الباذخة ،ومآثرهم الصارخة ومكارمهم الراسخة ، كما كانت لهم افخم الاندية وأرحب المستشفيات واكبر دور الايتام ومآوي العجزة والمستوصفات التي تفتح ابوابها لكل طارق ، وتنتشله من المآزق ، وتسكب على جراحه من حنانها الدافق . الى جانب عشرات من المدارس

والجمعيات الوطنية والثقافية والخيرية والاجتماعية والرياضية والفنية الخ ...

لأبناء الكرسي الانطاكي الارثوذكسي في الامريكيتين ما يقرب من مئتي كنيسة ، ولكني لا اعزو كثرتها الى ظاهرة من ظواهر العبادة والطقوس والتعصب الطائفي ، بقدر ما اعزو هذه الكثرة الى الحفاظ على تقليد متسامح من التقاليد العربية ، فالاذن التي الفت سماع التسابيح والصلوات بلغـــة القرآن في الوطن كانت تحرص اشد الحرص على استبقاء لغة القرآن في كنائس المهجر يتوارثها الابناء عن الآباء ، والحفداء وابناء الحفداء عن الجدود القدماء ، فلا تنقرض العربية في بلدان العالم الجديد بوفاة الجدود والآباء الرواد ، ولكي لايكون مصير العربية في المهــاجر ، كاللغة السريانية التي انقرضت في سورية ولبنان بعد الفتح العربي ، ولكنها لم تنقرض في كنائس السريان والموارنة ؛ فالنزعة العربية القومية بارزة اذن كل البروز في تشييد هذه الكنائس التي هي في الوقت نفسه تراث جليل اصيل حمله ابناء سورية ولبنان ليعيش في اذهان وقلوب المتحدرين من الأصلاب العربية ، اضف الى هذا ان رعاة الطوائف المسيحية في المهاجر وقفوا دائماً الى جانب العروبة وكان لنا من بعضهم ادباء مرموقون .

وامام هذا الكيان المثلث السياسي والمادي والاجتماعي ، كان لابد للفكر العربي ان يتحرك وان يوجه وان يقود هذه المعارك الجبارة معارك الموت او الحياة ، وكان جنود الفكر العربي اولئك الذين شاء لهم القدر ان يحملوا في صدورهم شعلة الادب العربي فغمسوا اقلامهم في قلوبهم ونزحوا من دمائهم مداداً على طروسهم ، وصبوا على الحرف العربي المغترب نوراً من ضياء عيونهم ونفخوا فيه بمثل انفاس الحواريين المستشهدين ، كما شاء لهم هذا القدر ايضاً ان يقنعوا من غنائم المعركة بهتاف النصر ، هداراً كالبحر ، متأرجا كالزهر ، متلألئاً كالبدر ، ولا يضيرهم ما كابدوه من قسوة الدهر ، فعاشوا بين كر وفر ، حتى اذا استأثرت رحمة الله باحدهم بعد عراك طويل مر ، غادر دنياه صفر الكف لايملك نفقة الدفن وثمن الكفن والقبر . فقد كان عزاؤهم الاكبر انهم ركزوا لواء العروبة خفاقاً عيداً تياها في تلك البلدان القصية ، وخلفوا للفصحى تراثاً ادبياً جليلاً صافي العقيدة وارف النزعة الانسانية ، في مثالية وصوفية وومضات من الحقيقة الازلية ، وهـــذا التراث هو العطاء الوحيد الذي استبقاه القدر قرباناً زكياً للأمة العربية ، وعفا الله عن الثروات الطائلة المادية ، فقد كان مصبهـــا في بحر الثروة الوطنية الامريكية ولا نملك بعد هذا ان نعتب ونشكو ونأسف .. انه قدر المغتربين .

فقد انشأوا اكثر من مئة وخمسين جريدة ومجلة ونشروا عشرات وعشرات الكتب والدواوين الى جانب ما انطوى من الآثار

الادبية الاخرى . ولولا القلم العربي الذي رافق المغتربين ، وكان لهم في كل مراحلهم هذا الحارس والموجه الامين ، لكان صعبا عليهم ان يفتحوا فتحهم المبين ، فهو لكل مشروع وطني واجتماعي وثقافي وخيري ركنه الركين ، ولكل صرخة عربية صداها الحنون ، ولكل وثبة او نهضة قائدها الرشيد الرزين ، ولكل كلمة حرة حصنها الحصين ؛ ولكل انطلاقة جناحها المكين . كان الزاد للجائعين، والسلسبيل للظامئين، والظل الظليل للكادحين ، والنور للمسترشدين ، والطريق للسالكين ، والحنان والدفء للبائسين ، واليد الندية للمحرومين . اما المرتزقة المتطفلون والسماسرة الصخابون فلا شأن لهم في حديثنا .

فالدوافع النفسية والادبية والقومية التي حملتنا على انتاج ادبنا باللغة العربيـة هي **العروبة** التي حرصت على انماء « الشخصية العربية » وابراز الـ « أنا » العربي باقوى خصائصه وادق زواياه ، واذا كانت « الشخصية العربية » قد انسجمت مع المجتمع الامريكي بحكم التطور الفكري والحضاري ، فهي لم تنجرف بتياره ، ولا عاشت على هامش اطاره .

هذه واحدة ، وثانيـة ، هي **الروح العربية التي كانت مكبوتة** فانطلقت ومن اسارها في عالمها الجديد بحيوية وقوة وابداع .

وثالثـة ، **الصراع بين القوميات المختلفة** في بلاد تشبه الفسيفساء البشرية . وصراعنا في سبيل قوميتنا كان مرتبطا اشد ارتباط لابوطننا الاصيل فقط ، بـل بكياننـا نفسه نحن الغرباء في البلدان الامريكية ، وكان هذا الصراع ضرباً من ضروب الدفاع عن النفس في عصبية واعية متسامية تأبى التفكك والانحلال .

ولو أن الادباء المهجريين انصرفوا عن الكتابة بالعربيـة ، ووقفوا أمام معارك المغتربين على الهامش غير مبالين ، لقلنا انهم تنصلوا من قوميتهم وفرطوا في واجبهم وكرامتهم ، ولاتهمناهم بالجحود والكنود ، ولرميناهم بالجبانة والخيانة ، ولكن الله ملأ قلوبهم بالايمان وعصمهم من التردي في هذه الهـاوية ، وكانت لهم العقبى المشرقة الزاهيـة .

ثم هل هناك أجمل وأبلغ وأفصح وأوقع في النفوس والآذان ،والصدور والأذهان ، من اللغة العربية ، لغة القرآن، نعبربها عن لواعج اشواقنا واحلامنا، وهواجس خواطرنا وقلوبنا ، وارتعاشات ارواحنا في ومضات رؤاها النورانيـة ، وانتفاضات جوانحنا في معانقة الكلمة المتأججة نارا مقدسة، وانطلاقات مواكب الحب والخير والجمال ، في معارك الانسانية الصافية المنزهة

من الشوائب السياسية والحزبية والتناسير المنتوية المزيفة .

هل هناك أعذب واشهى وأقدس من اللغة العربية تنطلق كلماتها النورانية المجنحة تسابيح وقرابين ونذورا وشموعا تنتصب متهللة امام العرش بين يدي الله .

في الحديث : « أن من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر لم يدخل الجنة »

فاذا كانت ابواب الجنان توصد في وجوه من حلوا الكبر في قلوبهم ، فهذه الابواب تنفتح على مصاريعها لكل من حلوا كبرياء امتهم وتاريخهم في ادبهم ومسلكهم ، وشرعوا لواء العربية في البلد الاجنبي القصي .

س ٢ – ماهو في رأيكم تفسير ظاهرة كون المهاجرين العرب الى امريكةهم وحدهم من بين سائر المهاجرين – الذين انتجوا أدبا بلغة الوطن الذي فارقوه ؟

ج ٢ – لاشك انك تقصد اولئك الذين هاجروا الى بلدان افريقية الغربية وسواها من اراضي القارة السوداء غير العربية ، ذلك بأن الانتقال من بلد عربي الى بلد عربي آخر لايعني الهجرة بمعناها الاجتماعي والسياسي والثقافي ، والاقتصادي ايضا .

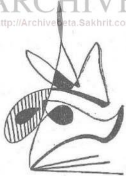
فهؤلاء اللبنانيون وهم الكثرة ، والسوريون وهم القلة ، الذين نزحوا مرتزقين الى افريقية غير العربية ، معذورون اذا صرفوا افكارهم ومواهبهم الذهنية عن الانتاج الادبي ، وعذرهم في نظرنا ان الشعوب التي عايشوها وعاشروها واحكموا صلاتهم بها ، هي بدائية متخلفة في كل الميادين الحضارية ، فهي بالتالي لاتستطيع ان تعطي سواها شيئا من الناحية الحضارية والفكرية ، ولاجدال من ناحية اخرى ان المهاجرين العرب في المستوى الارفع بالنسبة الى هذه الشعوب الافريقية التي عانت شر ضروب الاستعمار والاستعباد ، والمقارنة بينها وبين المهاجرين العرب هي لغو وباطل ، وبالتالي لايجوز البحث فيها اطلاقا .

ان طبيعة المعارك الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقومية التي خاض غمارها المهاجرون السوريون واللبنانيون في بلدان العالم الجديد هي التي حتمت نبوغ عدد كبير من الادباء وحملة الاقلام في الامريكيتين . معظم هؤلاء الادباء نبغوا في المهجر بحكم الحاجة الماسة من نحو ، وبحكم التشجيع المعنوي من نحو ثان ، اما اخوانهم الذين هاجروا الى افريقية فلم تكن لهم سوى معاركهم الاقتصادية فقط وهذه لا تفتقر الى القلم العربي ، وانما تفتقر الى الملكة التجارية وقوة البنية والعضلات واحتمال المشقات ، فالأدب اذن لا سوق له او هو بضاعة مزجاة في تلك الارجاء فكيف تروج بعد هذا بضاعة تتعامى عنها العيون ، وتصام عنه الاذان ؟

ثم اذا اخذنا بنظرية ابن خلدون القائلة بتأثير البيئة الجغرافية اي الجوية في القوى الذهنية والتفاعلات الحضارية التقدمية ، عذرنا هؤلاء المغتربين المتأفرقين مرة اخرى. فشمس افريقية اللاذعة ورياحها اللافحة وجوها الملتهب وارضها المفترسة وسائر اوضاعها الجغرافية الطبيعية هي عوامل سلبية تسد على العقول ميادين النشاط الفكري ومنافذ الاشعاع، وهذا لايعني اننا حكمنا على هؤلاء الافريقيين حكماً مطلقاً بالخمول الذهني. كلا، ولكننا وصفنا بيئتهم الجغرافية وتأثيرها . الى جانب العامل السياسي اي الاستعمار الاجنبي . ولا شك ان هذه الشعوب وقد تحررت وانطلقت ، ستتحرر ايضاً من كل مايقعد بها عن مواكبة الشعوب المثقفة الراقية.

واغلب الظن بل كل الظن ان مغتربينا المتأفرقين تأثروا ايضا بهذه البيئة الجغرافية والسياسية فكان انصرافهم عن معالجة الادب خارجاً عن ارادتهم .

وهناك اسباب اخرى حملت مغتربينا المتأفرقين عن العزوف عن بناء كعبة للادب كما صنع اخوانهم المتأمركون، فاجتزأنا بالأهم.



مظاهر الواقعيّة الثوريّة والاشتراكيّة في الأدب البلغاريّ

من بوتيف الى كاراسلافوف

لمراسل المعرفة المتجول
الدكتور جون فياني

يمكن القول بأن مولد الأدب البلغاري كان في اوائل القرن التاسع عشر أي حين ظهرت مؤلفات (Khristo Botev)، و (Petko Slaveykou) والادباء العديدين الآخرين ، في اثناء الاحتلال التركي لتلك البلاد . فقد كان الأدب آنذاك ثورياً بالرغم من انه كان يتكيف وفقاً لحاجات الحياة الاجتماعية في بلغاريا ويخضع لها . فبوتيف، الذي يمكن اعتباره من أعاظم شعراء بلغاريا مثلاً ، كرس كافة نشاطاته وأوقفها على الكتابة عن فكرة الحرية والوطن . لقد كانت قصائده من اعظم واقوى القصائد الثورية التي شقت طريقها الى الشعب واصبحت على شفة كل بلغاري يرددها ويتلوها وساعدت في بعث الروح والحماس الثوري بين الجماهير .

(*) ترجم المقابلة عن الانكليزية الأستاذ متري حارنة .

ومن بين جميع الشعراء الثوريين كان مثلاً لشعبه وامته. فقام بأنبل واجرأ عمل بطولي، وذلك حين عبر نهر الدانوب على رأس فرقة مسلحة، فلقي مصرعه على ايدي القوات التركية التي كانت تفوق جيشه عدداً وعدة.

وفي اعقاب تحرر بلغاريا سنة ١٨٧٨، نشأت في البلاد، نتيجة لهذه الحرية، ظروف جديدة في المجالين السياسي والاجتماعي، كان من نتاجها ان تهيأت القرص الملائمة لازدهار الادب البلغاري وذلك بسبب المعين الذي لا ينضب من المواد والتي استمد الكتاب موضوعاتها من كفاح الشعب البلغاري والثورات المتتابعة. وكان ايفان فازوف Ivan Vazov من ابرز الكتاب والادباء الذين ظهروا في تلك الحقبة. كانت «شجرة الصنوبر» التي كتبها قبل تحرير بلاده بقليل، و«أربع ليلكتي» التي كتبها سنة (١٩٢٠) اي قبيل وفاته بعام واحد، سجلاً حافلاً ضمنه مآسي بلاده وافراح شعبه في انغام سرمدية مختلفة خالدة.

ربما كانت قصته «تحت النير» اعظم مؤلفاته التي انتشرت خارج بلغاريا. فقد رسم فيها فازوف - الذي لم يكن يعيش لذاته - صورة حية واضحة وجلية لكفاح الشعب البلغاري ضد الاتراك. كان دائماً يشعر بأن شخصيته ليست ملكه، فقد ذابت في احزان امته ومآسي بني قومه وحياة شعبه. لم تكن قصته وضعاً اميناً لكفاح شعبه فحسب، بل كانت صورة حية للاوضاع السياسية والاجتماعية في بلغاريا في تلك الفترة الخطيرة والحاسمة من تاريخها.

ومن الكتاب والادباء الثوريين، هناك بنتشو سلافيكوف Pencho Slaveykov ابن الكاتب العظيم بتكو سلافيكوف، وبوتوف Botov وكارافيلوف Karavelov وراكوفسكي Rakovski. لقد كان لجميع هؤلاء اثر في بعث الحياة الوطنية والقومية في بلغاريا.

كان بنتشو سلافيكوف شاعراً بلغارياً مبرزاً قام بتوسيع آفاق

التقاليد الرومانطيقية للشعر البلغاري فادخل فيه المزيد من المفاهيم والمضامين الفلسفية والموضوعات العالمية التي أحدثت ثورة في الشعر البلغاري. لقد نظم العديد من القصائد . ولكن اعظم قصائده التي لاتدانيها قصيدة في الشعر البلغاري ، قصيدته القصصية « اغنية الدم » التي تحكي اعظم اللحظات دراماتيكية في تاريخ بلغاريا ونعني بها اخماد ثورة (١٨٧٦) بوحشية متناهية .



الشاعر البلغاري بنتشو سلافيكوف

(لابد ان طلاب التاريخ مايزالون يذكرون قيام ثورة شعبية في بلغاريا في اعقاب انتفاضات البوسنة والهرسك . ولكن هذه الثورة ، لسوء الحظ ، انفجرت قبل اوانها فاخمدت بوحشية مخيفة ويقدر عدد الضحايا من رجال ونساء وأطفال بخمسة عشر الف شخص ، وكان عدد القرى التي دمرت ٥٨ قرية) .

ومر الادب ، منذ ذلك الحين ، في مراحل مختلفة متعددة ، من رمزية وانحطاط وواقعية فنية وحديثة . ولم يبرز في خلال هذه الفترة اي اديب ذو قيمة ووزن حتى تنتشر مؤلفاته خارج بلغاريا . ولكن في اعقاب حرب (١٩٤٥) اي عندما اعتنقت بلغاريا الشيوعية ، ظهر لون جديد من الادب اخذ يعرف باسم الواقعية الاشتراكية وفقا لمفهوم النظرية الشيوعية في الفن .

فالواقعية الاشتراكية في رأي

ستويان كارولیف Stoyan Karolev عبارة عن تيار مرتبط عضويا بالنظرة الثورية وبالاعداد للثورة الاشتراكية وسيرها ونجاحها . فهي وثيقة الصلة بالواقعية الكلاسيكية النقدية ، تستمد منها بعد النظر والتقريرية السيكولوجية والاجتماعية فتظهر المنطق الاخلاقي كوحدة حية وعضوية لكل ماهو شخصي واجتماعي فردي ومثالي .

وتتميز الواقعية الاشتراكية بالطابع الماركسي ، فهي ايديولوجية جديدة .

وفي رأي كارالیف ، يتميز الواقعي الاشتراكي بتفهم اوفى واوسع للتحليل المنطقي للحياة فهو يكافح ليصور الظواهر الروحية والاجتماعية في وحدتها المتناقضة وفي تطورها .

ولكن يمكن تعريف الواقعية الاشتراكية بانها اسلوب في اعتقاد بعض النظريين اوفلسفة لاطريقة فنية . اماأذا اردنا التدقيق والتحديد فهي ليست فلسفة ولا اسلوباً بل طريقة للمعالجة توفر المدى الواسع للتعبير عن الاساليب الفردية المختلفة .

يعتبر مكسيم غوركي Maxim Gorky وآخرون غيره من مثل بوخت Brecht وناظم حكمت في عداد الواقعيين الاشتراكيين . اما في بلغاريا ، فيعتبر كل من جورجي كاراسلافيف Georgi Karaslavev وديمتر ديموف Dimiter Dimov و ديمتر تاليف Dimiter Talev واميليان ستانيف Emilian Stanev في قائمة اشهر الواقعيين الاشتراكيين، ذلك لان مؤلفاتهم تغوص في اعمق الاتجاهات والتيارات الخفية لتطور الاجتماعي وتتغلغل فيها « محرزة الايمان الوطيد والثقة التي لاتتزعزع بالتقدم البشري » .

ويعتبر ازدهار القصة الواقعية الاشتراكية نتيجة للجو الجديد الذي خلقته الثورة الاشتراكية في عام (١٩٤٤) فقد حالت السيطرة الاجنبية والنازية دون تطور الادب القومي .

والواقع انه لم يظهر الا القليل مما كان له قيمة او تأثير يذكر منذ ايام فازوف Vazov ابو الرواية البلغارية ، في بعث روح الكفاح من اجل التحرر من الاضطهاد التركي ومن اجل خلق المثالية النقية السامية في شعب بعث من جديد .



أبو الرواية البلغارية إيفان فازوف

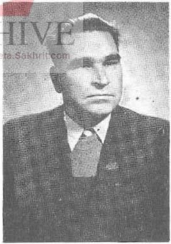
فباستطاعة الكتاب البلغاريين الآن وبكل سهولة ، حل اعقد مشاكل الماضي عن طريق الثقة بالنفس التي يتحلى بها الشعب الذي اعطته الاحداث السياسية الاخيرة مفتاح حل هذه المشاكل . اضف الى ذلك ان الظواهر الاجتماعية والنفسية المعقدة في الزمن الحاضر قد هيأت لهم الفرص العديدة للقيام بأعمال ادبية جبارة يمكن تطويرها ضمن الواقعية الاشتراكية .

يعتبر ديمتر ديموف وهو استاذ علم الحيوان (الزوولوجيا) أحد اثنين من اعظم كتاب بلغاريا اليوم . ويعتبر كتابه المشهور (التبغ) الذي نشره في سنة (١٩٥١) من احسن وافضل ماساهمت به بلغاريا في الادب العالمي الحديث وان كان الكتاب ، في بداية الامر ، تلقوه بحذر .

يشكل التبغ احد المنتجات الرئيسية والهامة في بلغاريا ، ويسيطر على الحياة في مناطق عديدة من البلاد . ففي موضوع صناعة التبغ ، يقوم ديموف Dimov باستعراض اوضاع المجتمع عشية الحرب العالمية الثانية ، فيظهر العمال والمصدرين

من التجار في المخازن والمستودعات المزدحمة الخانقة ويظهر معهم ممثلو رأس المـــال الالماني الذي نهب ثروة بلغاريا وجعل منها مكاناً لصيده وجشعه .

ومن اعظم الكتاب المعاصرين أيضاً جيورجي كاراسلافوف Karaslavov فهو من ابرز الكتاب الكلاسيكيين . لقد قوبل بالثناء العاطر والمديح على شعره القصصي الخاص بالريف البلغاري . في كتابه «بسطاء الناس» الذي يعتبر اعظم مؤلفاته .



الكاتب البلغاري كارسلافوف

بدأ كاراسلافوف في كتابه بمجموعة « بسطاء النـاس » قبل اثنتي عشرة سنة ولم يتمها حتى الآن . لقد حاول في هذه المجموعة الشعرية ان يرسم صورة عظمى للكفاح الطبقي والوطني في الحقب الاخيرة التي سبقت اطلالة الاشتراكية في بلغاريا .

ان كاراسلافوف ابن القرية فهو ذو كفاءة فنية ومقدرة ممتازة في الكتابة عن مشاكل الحياة القروية واجوائها ووصف شخصياتها . انه على معرفة تامة بنفسية (سيكولوجية) الفلاح البلغاري . ولهذا فهو كاتب مرموق وموهوب ويعتبر من ابرز الكتاب في تصوير الحياة الريفية .

نال شهرة في بادىء الامر ، عندما نشر كتابيه « تفـاح الشوك » و « الكنة » . فمؤلفاته تعبر تعبيراً واضحاً عن الآراء الشيوعية . ففي كتابيه المذكورين يرسم شخصياته على ارضية التاريخ الاجتماعي البلغاري . لقد حبك المشاكل الاجتماعية ومصائر الافراد في قصة واحدة ، بحيث اصبحت حيـاتهم

حقيقة لا يمكن نسيانها كصور ادبية واجتماعية وسيكولوجية . فالقرية معين الهامه الادبي الذي لا ينضب . وقد منحته الثورة الاشتراكية في عام (١٩٤٤) الفرصة لأن يرسم ماحالت الرقابة دون رسمه في الماضي ، فرسم صورة كبيرة مفصلة تعتبر سجلاً تاريخياً حقيقياً للحياة في الريف .

فالموضوعات التي طرقها كاراسلافوف في كتابه « بسطاء الناس » اعظم مؤلفاته تدور حول قصة حب دراماتيكية ، يصورها بمنتهى الجمال ورقة المشاعر ويرويها بعد ان استخلص وقائعها من خلال الاحداث التي تلت يقظة الحرب العالمية الاولى .

فالنزاع الرئيسي والاصطدام بين الشعب وحكامه الذين عزلوا عنه واخذوا يدفعون البلاد الى احضان الفاشية ، يظهران بأجلى وضوح في العلاقات الشخصية القائمة بين بطلي القصة وهما فتاة تمثل عامة الشعب ورجل يتحول من بطل مثالي الى شوفيني معجب بالنازيين ، وعدو شرير للشعب .

ويصف في كتابه هذا النظم الطبقية في القرية وانهيار المثل البورجوازية القديمة وولادة مثل جديدة ، وتحطم اقتصادها وانحلالها الاخلاقي في فترة مابعد الحرب وافتقار الجماهير والتقائها التدريجي نحو الافكار الثورية .

لقد صعدت خشبة المسرح شخصيات جديدة ، الفقراء والفلاحون وعمال المزارع وبروليتارية المدينة والريف ، الناس البسطاء الذين قدر لهم بأن يحققوا المهمة التاريخية الفذة : اقامة نظام اسمى واكثر انسانية من النظام الحالي .

ولكن ليس من الضروري ان تضمن الفكرة السامية النجاح الادبي . اما كاراسلافوف الذي يعتبر قاصاً ممتازاً ، فقد نجح في بعث الحياة في شخصياته وجعلها تتكلم بلغتها الخاصة ، وخلق جواً مماثلا للريف البلغاري في الزمن الذي صوره فيه . ورسم ايضاً المناظر الطبيعية العامة

في مقاطعة « تراقية » بأسلوب الفنان العظيم المتمكن من فنه ، ومحبة ومودة الانسان الذي ولد وترعرع هناك .

ظهرت قصة الثلاث تحت اسم « بسطاء الناس » ، وسوف يتلوها مؤلفات اخرى عديدة ، يعكف كراسلافوف الآن على كتابتها . فهي سجل شامل لاحداث ثلاثين عاماً ، زاخر بالاحداث ، من الحرب العالميـــة الأولى حتى الثورة الاشتراكية في سنة (١٩٤٤) .

لذا يمكن القول بأن القصة في بلغاريا لاتعاني ازمة . والواقع ان اندثار النظام القديم وقيام نظام جديد مكانه ، فتح الطريق للكتاب الموهوبين وهيأ لهم الفرص العظيمة الكثيرة .

لقد اوجد النظام الجديد – في الدول الاشتراكية – تغييرات اجتماعية واخلاقية وسيكولوجية . ولذا فالمجتمعات الجديدة غنية بالاشخاص زاخرة بشتى الافكار والمشاكل والموضوعات . وقد ازف الوقت لكي يقوم الكتاب والادباء في بلغاريا بتحويل الموضوعات والمشاهد التي تـــدور حول الصراع ضد الاتراك والفاشست الى الموضوعات العصرية . فكتاب الغرب مثلا ، الذين لايزالون منهمكين بحروب هتلر وموسوليـــني ، لايبدو عليهم انهم تعبوا من التنقيب في الماضي بحثا عن مادة لقصصهم . اننا نفهم هذا ولكن لابد من وضع حد لذلك . فالقراء بدون شك سوف يرحبون بالمؤلفات التي تعالج مشاكل الزمن الحاضر والتي لم يظهر منها الا النذر القليل حتى الآن .

لقد غمر بلغاريا فيض زاخر من هذه القصص . غير ان مادة هذه القصص بمعظمها تتعلق بالكفاح المرير الطويل الذي خاض الشعب غماره .

غير ان بعضهم في الواقع يجدون في البحث عن موضوعات جديدة لمؤلفاتهم .

وتقوم الدولة بتشجيعهم على انتاج ادب اشتراكي واقعي ؛ ادب ينبض بالتفاؤل وان كان يختلف عن القديم . ان التجربة الواقعية الاشتراكية آخذة في النجاح . ويبدو ان البلغاريين في الوقت الراهن يبذلون الجهود في تأليف كتب جديدة ليعوضوا الوقت الذي ضاع .

الأدب العربي في المغترب

ماتزال العاصمة الأرجنتينية ، تشتعل بالنشاط الأدبي ، وما تزال المنابر تحمل الى جمهورها الكلمات المجنحة ، والأفكار الطيبة ، وما تزال الجالية العربية ، متشبثة بالعروبة وآدابها ، تحفظ العهد ، وترعى دوحة المجد التي قامت للعرب في ديار المهاجر منذ أوائل هذا القرن ، برغم قصور (الوطن الأب) عن رعاية اللغة والأدب في ديار أبنائه المغتربين ، وبرغم صيحات هؤلاء الأبناء منذرة بعقم الأجيال وانقطاع الصلة بين ماض مجيد ومستقبل مجهول .

١ — هذا هو عهدنا — الياس قنصل

هذه الرسالة من بونس أيرس ، تعطينا فكرة صغيرة عن محافل الأدب لدى مغتربينا رعن المواضيع التي تحظى باهتمام أدبائهم وشعرائهم .

فقد دعا السفير السوري في الأرجنتين الدكتور أسعد محفل منذ شهور ، أعضاء « الندوة الأدبية » الى جلسة في دار السفارة ، كانت من أهم الجلسات التي عقدتها هذه المؤسسة الفكرية الحديثة ، وألقى الشاعر الياس قنصل في افتتاحها الكلمة التالية باسم الأدباء :

دعوة كريمة لليبيا .

ونلبي فيها غيرة صحيحة على اهداف عربية سامية ، في مستهلها رس الجهود لرفع شأن الأدب الذي هو برهان مافوقه برهان ، على رقي الأمة .

دعوة كريمة لليبيا .

ونلبي فيها شخصية فرضت احترامها بقوة مستمدة من خلق نبيـــل يدرك مكانته من النفوس ، وتنجلي نزاهته درساً على من يدأب في المضمار العام .

دعوة كريمة لليبيا .

ونلبي فيها الأدب الرفيع الذي كان — في عاصمة تتزاحم فيها الآداب العالمية — الفارس الذي يسلم اليـــه قصب السبق ، وتنحني الرؤوس اعجاباً بنبوغ تتمثل فيه بلادهم .

ان اعتراف باريس بتفوقه — وقد طلع عليها طلعته الأدبية — هو وسام لم يعلق على جدار في اطار مزخرف . هو شهادة منحتها امته الى شهادات كثيرة تالتها ، موزعة في انحاء الأرض ، تتحدى الأجيال ، وتتشامخ على الخلود .

دعوة كريمة لليبيا .

ونشكر مرسلها ، لا لأننا نتوسم فيها احتفاء بنا ، بل لأننا نجد فيها مشاركة في الغاية التي نسعى اليها ، ومساهمة في تأييد المقصد الذي بدأت تنبثق اولى ثمراته ، ومناصـــرة للتبعة المعنوية التي صممنا على ان نتحملها الى نهاية المطاف .

ان الجلسات القليلة التي صرفناها ، ونحن نحادث السفير قد محت من اذهاننا رسم الموظف العالي الذي تقلب في اسمى المناصب ، وكان فيها — دون استثناء — مثال الجد والاخلاص ، قد محت من اذهاننا رسم الموظف الكبير ، واستبدلتها برسم الاديب اللامع الذي بلغت نفثاته الغاية من الجمال والروعة والدقة .

لقد اتيح لي ، حين كنت في الوطن ، منذ سنوات ان استعرض برفقة صديق اديب مراحل الادباء العرب الذين كتبوا باللغات الاجنبية ، فكان الدكتور اسعد محفل للركب المستعرض ، طليعة ، وكان اسمه ، في ذلك السجل ، طغراء .

الأدب عنده فكرة وصورة ونغمة .

فكرة تنساب انسياب الجدول الرقراق ، على بلوره مويجات تزيد في رونقه ، متحولة الى « زركشة » تؤكد ان فيه شيئاً يسمى « حياة » .

وصورة صافية كالخيرة منورة كالشفق ، لاتنقضي صفحة منها حتى تجيء ثانية تبارعها صفاء ونورا ، كأن جبروت الوجود مختصر في خطوطها والوانها .

ونغمة تتدفق هادئة مطمئنة تتلألأ في السمع فتخال الكلمات نابعة من أوتار « دوزنتها » يد صناع تغتسل ، كل هنيهة ، في بحيرة من الجمال .

ومتى اجتمعت هذه العناصر الثلاثـــة في قصيدة او مقالة اصبح الحرف تحفة يسوغ له ان تزدان به سدرة المنتهى .

ان ادب سفيرنا في فرعيه بيراعته وذهنيته هو الذي يجعلنا نزداد يقينا بمستقبل «الندوة» التي تتباهى بانه منها ، ومادام الذي يمثل، في هذه البلاد المضيافة ، قلب العربية النابض ، يود ان تسير هذه المؤسسة قدما في طريق الفلاح ، فكيف يسعنا نحن — ونحن سدنة القلم — ان نتقاعس او نتهاون او نضطرب للريح ولو عصفت عصفا ؟

اننا نعرف اتم ماتكون المعرفة ان مهمتنا ليست من الضآلة بحيث تقتصر على جلسة او حفلة او كتاب .

اننا نعرف ان من واجباتنا ان نعيد الى النفوس ثقة بالأدب كادت تقضي عليها حرجة البيع والشراء . علينا ان نفهمها ان لامعنى للحياة اذا ظلت على وتيرة التجارة من صباحها الى مسائها .

اننا نعرف ذلك ، وماهو بالقليل ، على اننا نعرف كذلك ان النصر ، النصر النهائي لنا .

لقد حملنا راية الأدب في هذه البلاد ، يوم كانت بلادنا منصرفة برمتها الى مكافحة الاستعمار لايترك لها الجهاد — وقد تحركت وراثة المجد فيها — بريـــة ، مها قصرت ، لتلتفت الى مغتربيها الادباء ، فكيف نتركها الآن ، كيف نترك هذه الراية ونحن نشاهد العطف الذي يبديه الوطن علينا في كل مناسبة ؟

لقد كنا في صميم الميدان وقد مسحت كلمة « التردد » من نضالنـا — يوم كانت السهام تصوب الينا غير شفيقة من كل صوب وتزكينا الثلاثون من الاعوام التي انقضت — وكانت صدورنا مكشوفة حتى للغادرين — شيمـــة عربية قديمة تترفع عن أن يقابل المكر بالمكر — فكيف نكون الآن عن الكفاح بمعزل، ولنا من هذه السفارة ومن غيرها من السفارات العربية معقل نتحصن فيه اذا عـــاد الذين يعبثون في ادمغتهم رغبـــة لن تتحقق وهي ان تتغفلنا اغراضهم ، فينتقلوا من رواية نفاقهم الى فصلها الثاني ؟

اننا لم نتخذ الأدب — وما كان اسهل علينا ان نتخذه — اداة للاعتصار وكنانة يطرح فيها الدرهم والدينار .

اننا بعثناه شعلة في جوانحنا ، التذعت به ايامنا ، ولكنها اضاءت الحنايا والمنعطفات لابناء امتنا فامنوا العثرات التي رصفت سكتهم بها فئات تقيس الرذائل والفضائل في ميزان واحد .

اننا نشرناه حنينا من قلوبنا ، ذابت في وساوسه ساعات ثمينة من الزمن ، رصدها غيرنا — ولا نأسف ولا نحسد — لتركيز المعامـــل واكتناز الاموال .

واذا كان هذا الادب الذي حملناه راية ، وبعثناه شعلة ، ونشرناه حنيناً ، وسحنا بسببه في متاعب الدنيا جميعا ، اقترنت سيرورته باسمائنا ، فلان النتاج الادبي لابد له من ان

٢ ــ اللغة العربية ، ولماذا هي لغة حيــة

زكريا الصارمي

وفي بونس ايرس ايضاً، القى الاستاذ زكريا الصارمي ، في مقر الندوة الأدبية منذ اسابيع ، مطالعة في اللغة ، ضمنها خواطره وآراءه . قال فيها :

لست الآن في موقف اللغوي المدقق الذي يتوغل في اعماق البحث واستقصاء اسباب المشكلات التي تعانيها اللغــة العربية اليوم .

ولست عازماً على عرض دراسة علمية من شأنها أن تعدد اسبـــاب المشكلات المذكورة ، وأن تشير الى مايجب عمله لازالة ما في اللغة العربية من زوائد ، وملء مافيها من فراغ ونقصان . فليس هذا مجال يتسع لبحث طويل كالذي ذكرته ، بحث يتطلب ، اول مايتطلب ، وقتاً ←

→

يدل على صاحبه ، شاء صاحبه ام ابى ، ولان الناس ان هزها ماقيل ، سالت فورآعمن قال .

ان هذا الادب تهب عليه أعاصير عاتية، بيد اننا لها صامدون ، ولن تتكرر المأساة التي اشارت الكتب انها حدثت في الاقليم الذي افتتحه طارق :

اننا لن نبكي – اذا هيأت لنا الاقدار غير ماقدرنا – ملكا بنيناه مدكاكا مدكاكا بعرق جباهنا . اننا سنرغم التاريخ على ان يهتف : ان الادباء العرب المغتربين الذين تسامى بهم الحماس من ميعة الفتوة الى رعشة الهرم لبثوا يدافعون عن الادب الى النفس الاخير ، ولم يسلموا مقاديره الا بعد ان دمغوا محيا الدهر بآثارهم الخالدة .

هذا هو العهد الذي نطلقه في هذه الدار وهي قطعة من الوطن العربي الذي نحنّ الى وحدته الكبرى .

هذا هو العهد الذي نثبته امام الدكتور « محفــل » وهو رائدنا الذي جمع المجد من اطرافه فكان الديبلوماسي الذي تفاخر العروبة بادبه وكان الاديب الذي تعتز السياسة به لانه لايقدم لها الا اسباب عبقريته الفكرية .

طويلا ، وجهداً عسيرا ، وباحثاً قديراً مطلعاً اطلاعاً واسعاً على دقائق هـذه الأمور وغوامضها .

بل اني سأتطرق الى هـذا الموضوع الخطير تطرقاً عابراً ، لأقول فقط ، انني ممن يثقون ثقة تامة بأن اللغة العربية لغة ينبض قلبها بالحياة ، وان دقات قلبها لم تتوقف قط . فلماذا يذرف عليها البعض منا دموعاً مدرارة في مأتمها الذي لم يقم؟

أشارك الكثير من الكتاب العرب رأيهم حين يقولون ان المشاكل التي تعانيها اللغة العربية ليست بالهينة ولا القليلة . ولكني لا أشارك في شكوك اولئك الذين يتساءلون ويسألون : هل اللغة العربية لغة حية ام لغة ميتة ؟

اعتقد أن اللغة العربيـة تمر بمرحلة صعبة من مراحل التطور الذي لا بد منه لكل لغة من لغـات العالم في جميع الأزمات . وهي قد تخلفت عن هـذه المرحلة زمناً طويلا لأسباب سياسية سدّت الطريق بوجه الشعب العربي فحالت بينه وبين الركب الذي تابع سيره فتخلف عنـه . ثم كانت نشأة العوامل الكثيرة التي ادت الى خلق المشاكل التي اصابت اللغة العربية فيما بعد . ومن اشد هـذه المشاكل خطراً على اللغة العربية "تعدد" ـ ولا ريب ـ نشأة اللهجات العـامية المتعددة وانتشارها .

من المعلوم أن اللغة العربية منقسمة الى قسمين : قسم يسيل على الألسن ، وقسم يسيل على الاقلام . ومعنى ذلك ، أن العربي يملك لغتين : لغة فصحى ولغة عامية . الفصحى هي اللغة الاصيلة ، وأما الثانية فانها المأوى الذي يلجأ اليه الناس للتخلص من قيـود الفصحى وشروط قواعدها .

فمما لا شك فيه ، هو أن التكلم بلهجة من اللهجات العـامية يحرر المتكلم من مسؤولية التقيد بشروط اللفظ السليم ، ولا يتطلب منه مراعاة القواعد اللغوية التي تمنعه من ارتكاب الخطأ والوقوع باللحن .

ان اسباب نشأة اللهجات العربية متعددة . وهي ، جميعها ، تسوّغ تقلص الفصحى وانتشار العامية على الألسن . ولكني سأقف عند احد هذه الاسباب فقط ، نظراً لضيق المجال ، واعتقاداً بأنه من اهمها جميعاً ان لم يكن اهمها اطلاقاً . وأعني بذلك، عدم تعميم التعليم بين أبناء الشعب العربي في القرون الأخيرة .

فاللغة العربية ليست لغة سهلة المنال ، بل هي من اللغات التي لاتطاوع الا من درس — أقل مادرس — مبادىء قواعدها .

مقابل ذلك ، نرى في اللغة الاسبانية مثلا ، أن لفظ مفرداتها بشكل سليم ، لايستعصي حتى على الأمين من الناس. وسبب ذلك قد يعود الى وجود الأحرف المصوّتة في الخط الاسباني والذي عدم منه الخط العربي . فالمفردات الاسبانية غير معرضة لمتغيرات العديدة التي تستطيع أن تطرأ على طريقة نطق كل حرف من أحرفها كما هو الحال في المفردات العربية . ولهذا ، فان العامة من متكلمي الاسبانية يستعملون في كلامهم ، دونما ارهاق للنفس ، الألفاظ نفسها التي يستعملها الكتاب في كتاباتهم. أما العرب فانهم لمرتكبون لامحالة اخطاء كثيرة وهم يركبون الحركات على الحروف ان لم يكونوا من المتعلمين .

اذن ، فانتشار التعليم في البلدان العربية سيكون نقطة انطلاق الفصحى من الوسط الضيق الى الوسط الواسع الشامل . ذلك ، لأن الأجيال المتعلمة القادمة لن تفضل استعمال الألفاظ التي تتكون منها اللهجات العامية ، واكثرها الفاظ ثقيلة شوهاء . وستستبدل بها الألفاظ الفصحى وهي أسهل جرياً على اللسان وأحسن وقعاً في الأسماع .

أجيالنا القادمة ، ستنال مالم تنله أجيالنا السالفة من التعليم والرقي، وسيسهل عليها جداً تعويد اللسان على الكلمات التي يجري بها القلم .

ولا اغالي بالتفاؤل اذا قلت ان

التحدث بالفصحى ، في البيت والشارع وفي كل مكان ، سيكون بعد عقود قليلة شيئاً طبيعياً كما هو طبيعي في وقتنا الحاضر ، ان يكون لدينا لغة خاصة بالكتاب واخرى خاصة باللسان . وسيصل الزمن الذي يتكلم فيه العربي الأمي بالألفاظ الفصيحة نفسها التي يتكلم بها اخوه المتعلم ، فاللغة هي ذلك الكائن الحي الذي ينتقل من اللسان الى سمع الطفل الوليد قبل ان ينتقل من الكتاب الى عين الصبي .

فالمحيط .. هو هذا الآمر الناهي الذي يلفظ كل من لا يرضخ له ويستسلم اليه .

اذكر أنني كنت ما أزال دون العاشرة ، عندما قرأ والدي على مسمعي مقالاً ظهر منشوراً آنذاك في احدى المجلات المصرية . ولقد نسيت الآن هل كان ذلك المقال يدور موضوعه حول امير الشعراء احمد شوقي ، ام ان ذكر شوقي لم يمر به الا مروراً عابراً . ولكن الشيء الذي لا انساه ولن انساه ابداً هو ما اثبته الكاتب بقوله ان شوقي لم يكن يتكلم الفصحى ابداً ، لامع الناس ولا مع اهل بيته ، وان اللغة التي كان يستعملها في كلامه اليومي ، من الصباح حتى المساء ، لا تختلف في شيء عن لغة البقال نفسها .

اذكر ان هذه العبارة آلمتني جداً وملأت صدري مرارة وغماً . ولن انسى ماحييت ذلك الأثر الأليم . فلقد كنت انظر الى شوقي بعين ملؤها الاعجاب والاكبار والاجلال ، لا لأني كنت معجباً بشعره ، فأنا لم اكن قد فهمت من شعره شيئاً بعد ، بل لأني لقنت هذا الاجلال فتلقنته .

لقد عظم علي كثيرا أن يذكر البقال اذا ماذكر شوقي ، وكبر علي ان يتكلم

---

* الوالد هو الاستاذ يوسف الصارمي ، مؤسس مجلة (المواهب) في الارجنتين ، وهو اديب وشاعر وعربي صافي العروبة والايمان بها . عاد الى بلاده شوقاً اليها ، وهو اليوم في دمشق وبعض ابنائه في بونس ايرس .

الأمير العظيم بلغة البقال بدلا من الفصحى.. والفصحى هي – هكذا كنت أراها – ملك اسرة من الناس كنت أعد شوقي من سادتها الكبار وكنت احصر نفسي بين أعضائها معتزاً. فلقد كان والدي – وهذا من حسن حظي – ينظر الى العامية بما يشبه الكره والبغض، فكان لا يتكلم في بيتنا الا بالعربية السليمة، ويقف سداً منيعاً بوجه العامية فلا يسمح لها بالوصول الينا.

ثم كان ان شببت عن الطوق، فعلمتني الحياة شيئا جديدا، وهو ان العلاقات بين الناس تتم عن طريق لغة موحدة يتخاطبون بها. فاقتبست اللغة السائدة في المحيط لئلا يلفظني المحيط.

فلا تعتب يا أمير الشعراء، على من كان يحب ويكره، على طريقة فريدة عجيبة، لا يعرف سرها الا الصغار.

سلسلة
كتب قومية

تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سلسلة كتب قومية ، تهدف الى اغناء ثقافة المواطن العربي بالبحوث التي تمس اهم شؤونه ومرافقه ، ومشاغله الفكرية والقومية ، وتوزع باسعار زهيدة رغبة في تعميم الفائدة منها ، وتحقيقاً لهدف اساسي من اهداف الوزارة .

وفيما يلي بعض البحوث التي صدرت في هذه السلسلة الجديدة :

التسيير الذاتي والتجربة اليوغسلافية — **للدكتور صلاح وزان**
« صدر في الحلقة الاولى »

التخطيط الاشتراكي — **للدكتور عبد الله عبد الدايم**
« صدر في الحلقة الثانية »

المغتربون العرب في اميركا الشمالية — **للدكتور جورج طعمة**
« صدر في الحلقة الثالثة »

القومية العربية في القرن التاسع عشر — **للدكتور توفيق برو**
« صدر في الحلقة الرابعة »

الفن والقومية — **للدكتور عفيف بهنسي**
« صدر في الحلقة الخامسة »

الموقع الاستراتيجي العربي — **لهيثم الكيلاني**
« صدر في الحلقة السادسة »

الاشتراكية في البلدان المتخلفة — **لمحمد الجندي**
« صدر في الحلقة السابعة »

التحويل الاشتراكي الزراعي في سورية
لأحمد محمد الزعبي
« صدر في الحلقة الثامنة »

كيف نكتب تاريخنا القومي — **تحقيق مجلة المعرفة**
« صدر في الحلقة التاسعة »

في المكتبة العربية

شهريار

للدكتور عمر النص

عرض وتعليق الدكتور رفيق الصبان

هذه المسرحية تأتينا من بعيد ونحن في غمرة النقاش حول ادب مسرحي سوري وحول اتجاه متزن للحركة المسرحية ، لتثبت لنا ان تياراً غامضا وغير متوقع يمكنه ان يرفد المسرح لدينا بامواج حارة تبعث فيه الدفء والحياة .

الدكتور عمر النص شاعر مبدع .. تشهد له قصائده الكثيرة ودواوينه ، إنسان غزير المعرفة والاطلاع .. وهاتان الميزتان هما اللتان قادتاه بشكل محتوم الى التعبير المسرحي .. يجد فيه ميدانا للتعبير عن ازمة فكر بشاعرية قاسية احيانا .. مليئة بالصور والرسوم احيانا اخرى .

وليس غريبا ان يختار الدكتور النص موضوعا لمسرحيته الاولى اسطورة شرقية معروفة لم ينضب معينها بعد ولا زالت تستهوي الكثيرين من رجال الفكر الشرقيين منهم والاوروبيين

ليضمنوها مفاهيمهم عن الحب والحياة والمسؤولية وفقدان الذات والبحث عن القيم .

ولكن الجديد لدى الدكتور النص هو انه تناول الوجه الآخر من الاسطورة فرمى بشهرزاد ذات ألف قناع .. شهرزاد المرأة التي تملك مائة ذراع ومائة وجه والتي تحيط بهاميـــاه أشجار الدنيا كلها .. رماها ظلا كبيرا حنونا واختار عوضاً عنها الرجل الذي كان حتى الآن وسيلة لايضاح شخصيتها والقاء النور عليها واعني به شهريار الملك .

تبتديء المسرحية وقد مضت الف ليلة وليلة .. واصبحت ذكرى خافتة .. في نفس ملك يـدور في ارجـــاء قصره حائراً لايدري مايفعل . انه يقف مع شهرزاده التي استطاعت بغريزتها الانثوية وحنانها الدافق ان تشعر بالخطر الذي يهدد رجلها .. انه لم يمل قصصها فحسب ويدرك ان هذه القصص كانت وجها اخر للحقيقة التي كان يحاول الفرار منها، بل يذهب الى ابعد من ذلك ويتهم هذه القصص التي الهته عن الحياة الف ليلة وليلة انها تزيف الحياة وتنعتها بما ليس فيها . انه انسان جديد ، انسان من نوع خاص لم نألفه في ذلك الملك المجنون الذي كان يرى في وجوه نساء الارض كلها وجه المرأة التي خانته .. انما هو رجل يحاسب نفسه بقسوة .. يحاسب نفسه على آثامه كلها وعلى نسيانه انسانيته . انه يريد ان يتحمل تبعة الارواح التي قتلها عن انانية منه ولا مبالاة .

لذلك فهو يقرر عند بدء المسرحية ان يتخلى عن العرش وان يهجر القصر وان يـدع اخاه ساسان يحكم عوضاً عنه .. ساسان هذا الرجل الطيب (الذي تمنى ان يكون ينبوعاً ، يرتوي منـــه العطاش وتفيض به الاودية والحقول فتكون للناس قوتاً وللسائمة مرعى ..) ان ساسان يملك الأمل الذي فقده شهريار نهائياً فهو جدير اكثر منه بالحكم ، جـدير بتسيير امور هذه الدولة التي بدأت تئن حائرة .. وهذا

الشعب الذي بدأت تخيفه ظاهرة غريبة يتحدث عنها حائراً منهولا .. ان المقابر التي دفنت فيها ضحايا شهريار تفتح ليلا وتخرج منها اشباح مذعورة تهيم في طرقات المدينة وكأنها تريــد ان تلقى الرجل المجنون الذي سفك كل هذا الدماء وتجعله يدفع الحساب .

ويحاول ساسان ان يرفض.. ولكن شهريار يصر على موقفه يساعده في ذلك الحكيم نور الدين والد شهريار الذي يعرف من اسرار ملكه ما لا يعرفه احد .. يعرف ان شهريار يخرج كل ليلة لينتهي الى هذه المقابر المشؤومة يحاول ان يلقى الاشباح التي تخرج منها [ان يقف امامها بيديه المدنستين وقلبه اليائس ويسألها ان تدينه وان يدينها]

وتحاول شهرزاد مرة اخيرة ان تقف في وجه الرجل الذي احبت او ان تتركه على الاقل يقبل برفقتها معه الى حيث يريد.. الى ابعد نقطة في ابعد صحراء في العالم .. انها ترى فيه رجلا بريئاً رغم الدم ورغم الفاجعة ولكن شهريار قد وصل الى هذه النقطة الحرجة التي يصل اليها كل رجل جاوز الاربعين ، وصل الى فترة المحاكمة الذاتية القاسية .

انه رجل يريد ان يتجاوز نفسه كي يمكنه ان يدينها او يعفو عنها.. رجل مل من الحياة . من الحب ومن الحكم.. [ان الحكم امر ممل ياشهرزاد .. أمر فاجع يؤدي بك الى احــد طريقين : الجنون او الطغيان] انه اصبح يحسد الناس العاديين على عدم احساسهم بفراغ حياتهم المرهق فكان يعي وجوده [وعياً ثقيلا قاتلا .. واعلم ان حياتي حياة مجدبة فارغة عمياء.. لا غاية لها ولكني لم اكن اطيق ان اقنع بها او ان اقبلها .. كنت اريد ان اصرخ في وجه السماء لعلها تدلني الى اين اسير ..]

وينتهي الفصل الاول من المسرحية امام يأس اصدقاء شهريار كلهم من ابعاده عن عزمه .. ولكن حادثاً مفاجئاً يأتي ليغير كل شيء .. اذ يدخل احد الحرس

ليخبر الملك ان امراً فظيعاً قد حدث وان رجلاً غريباً القى النار في المقابر المشؤومة كلها وانها اشتعلت حارقة لاهبة تلقي ظلها على المدينة كلها .. ويشعر شهريار ان هذه النار رسالة له .. رسالة لم يفهمها بعد ولكن عليه ان يواجهها .. وان موعده قد اذن وان (ضيفاً) من وراء القبر يمد اليه يديه .. ويخرج حازماً عازماً على لقاء قدره .

واذا ما كان الفصل الثاني فنحن لازلنا في القصر نسمع اعيان الدولة يتحدثون عن الحدث الكبير ونرى من خلال احاديثهم مدى كراهيتهم لشهريار واستهتارهم بعذابه .. لقد أصبح ملكاً لايفرض الاحترام بل باتت تصرفاته كلها مدعاة للمناقشة والتعليق الساخر الحاد .

ويخرج الاعيان لتقف شهرزاد مع ابيها الذي يخبرها بان حريق المقابر ليس إلا خطوة اولى في احداث غامضة ستوالى .. وان الرجل الذي قام بهذا العمل الجنوني يختبىء في القصر وان حياة الملك في خطر . ومن الحديث بين رجل الدولة المحنك وشهرزاد العاشقة تشعر ان نور الدين ايضاً في اعماقه قد تخلى عن شهريار وانه يعتبره انساناً هالكاً، انساناً مريضاً [حبس نفسه في قوقعة مظلمة] ولا أمل له على الاطلاق .. وتصرخ شهرزاد مشفقة في وجه ابيها .. [ترى لم تظلم شهريار؟!ألسنا كلنا شهريار ؟!] .

ويذهب الجميع وتلقى شهريار وحده يحاسب نفسه في (مونولوج) داخلي طويل يضع فيه كل يأسه وكل امله بالخلاص. لقد كانت قبور زوجاته انصاباً [.. اعداء يضمر لها الضغينة والمقت .. ويفرغ عليها نقمته . وكان اذا ما احس بالضعف يتسرب في ارادته وبالرأفة والطيبة تختلجان في قلبه .. يعيد تلك القبور الى ذاكرته فيرى امامه وحشاً يريد ان يلتهمه ، يفتك به ، فيحس بنقمته تتأجج وبغضبه يثور من جديد . واليوم تمتد يد قاتلة الى تلك المقابر فتضرم النار فيها وتنزع منه

تلك الانصاب التي كانت تحتوي بغضه ، وتحتوي محاولته لنسيان هذا البغض أيضاً. فماذا يفعل الآن .. ماذا يفعل ؟؟]

ويدخل شاب من باب جانبي يحمل في يده خنجراً .. انه (منقذ) الفتى الذي اشعل النار في المقابر والذي أتى ليجعل شهر يار يدفع حساب جرائمه .. ولكن هل يقتل منقذ رجلا ميتا !? إن شهر يار الذي قتل له حبيبته (جمانة) فيما مضى قد مات .. وحل محله انسان آخر .. انسان يائس يتمنى لو يموت .. ويتوسل شهر يار الى الفتى لو يقتله .. يستحلفه بكل الجرائم الماضية التي ارتكبها ان ينقذه من ظلماته .. ولكن عوضاً عن ذلك يبدأ منقذ حديثاً طويلا معه يتحدث فيه عن (جمانة) فتاته التي أحبها والتي قتلها شهريار بعد ليلة هوى واحدة .

كانت تتحدث عن الغد كأنها كانت تأمل ان تعيش أبداً .. كانت حياتها حلماً دائماً .. وكانت تريد ان تظفر بأثمن ما في هذه الحياة .. ومنقذ كان يريد أن يثأر لها .. ولكنه لا يرى امامه الا شبح رجل .. [كنت اظن انني سأجد أمامي مارداً جباراً .. عندئذ أستطيع ان افرغ عليه ضغينتي ولكني وجدت مكانه انسانا ضعيفاً مهدوداً] انسانا صار فريســة رخوة لضمير لا يرحم ، استيقظ وراح يلذع بالسياط .. فلم يقتله ?. لقد رأى العار يدرك انه عار ولا جدوى من اراقة دم جديد .. ليقتله الملك ان شاء .. فلن يتخلص منه .. لقد اصبح ظــلا يرافق الظلال الألف التي شكلتها ارواح العذارى المقتولات .

ويــترك الملك يخرج .. ويذهب للقيا شهرزاد .. انها امله الاخير . . وسيأخذها معه الى الصحراء وسيعيش معها .. ستكون المرأة التي يرى فيهـا وجهه .. ماء المطر التي ستروي الأرض الظامئة الجرداء وسيمر الناس بها فيقولان [عاشقان جاءا من أرض نائية لينعما بحبهما بعيداً عن الاعبــاء وأثقال العرف والسلطان]

ويسدل ستار الفصل الثاني ونحن امام شهريار ، مظلم يضيئه قبس من امل وقبس ضئيل .. ولكنه قبس يساعد على الحياة .. ترى هل سيجد الملك المعذب وسيلة للنجاة ؟!

واذا ما كان الفصل الثالث فنحن في قلعة في رأس جبل وجنديان يصليان ناراً .. جو ضبابي يشابه الى حد ما الجو الضبابي الذي رسمه شكسبير في بداية (هملت) و كوكتو في الفصل الأول من من (الآلة الجهنمية) . لا شيء الا الوحدة والصمت وصوت الريح وهذان الجنديان الذين يتحدثان للمرة الأولى في المسرحية حديث العامة البسيط .. يتحدثان عن البرد القارس والدجاجات المسروقة والاشاعات التي يسمعانها عن الحكام والشراب والدراهم التي لا تكفي حتى آخر الشهر .. ثم النساء ..

واثناء هذا الحديث الساذج الممتع ، يقرع باب القلعة ويـأتي رجل منهوك القوى يطلب الحماية .. رجل تائه يموت من البرد ومن داء آخر لا يفهم . انه شهريار الذي هرب وحده من القصر دون ان يأخذ شهرزاده .. لقد جبن في آخر لحظة واحس انه لن يستطيع ان يجمع بين معدن شهرزاد النقي الخالص وبين الاوضار التي يضيق بها ضميره المعذب [والذكريات الدنسة التي تسد امام عينيه رؤية الوجود] حاول ان يهرب من الاشباح .. ولكن هذه الاشباح تطارده .. انها من صنع مخيلته .. انها ضميره .. انها جزء منه انها شهريار الآخر ، شهريار الذي اصبحه .

وتأتي هذا الاشباح كما اتى شبح الأب لهاملت .. وكما يرود شبح المقتول في مسرحية كوكتو عن اوديب الملك . ولكننا هذه المرة لسنا امام شبح معين . بل اشباح العذارى المقتولات كلهن .. اتخذن وجهين متعارضين ، وجه جمانة (الضحية) حبيبة منقذ ووجه جهان الآلة الاولى .

اما جمانة فقد نسيت .. عندما اتت الى فراش شهريار كانت عازمة على قتله بخنجر ولكنها هي ايضا تراجعت كما

تراجع حبيبها عندما رأت وجه الملك ، لم تخدعها طلاقته عما وراءها من يأس قاتل ولم تغرها كبرياؤه عما وراء تلك الكبرياء من استكانة عمياء .. لقد رأت ببصيرتها النافذة ان لهو شهريار كان زيفا وان عنفه كان زيفاً وان حقيقته كانت تختفي تحت استار حقيقة تنتظر ان تخرج الى الهواء . وهي الآن تعود شبحاً لتأخذ بيد الشبح الذي اصبحه شهريار .. الى هناك الى عالم اخر ربما اكتشفا فيه شيئا .

اما جهان الزوجة التي أثمت والتي كانت السبب الاول في ضياع شهريار . فتأتي لتذكر له انها كانت بريئة وانه راح ضحية مؤامرة خادعة .. وان كل مافعله من قتل وإثم كان عبثا في عبث .. وانها غفرت لان الموت غفران . والروح تستطيع دوما ان تغفر عندما تخلص من الحمأ العالق بها .

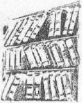
لقد مادت الارض تحت اقدام شهريار .. حتى جرائمه التي كان يستمد منها قوة تساعده على الحياة اصبحت عبثا وصار كل ماحوله هباء .. فلم يبق له اذن الا الموت .

وتأتي شهرزاد برفقة ابيها وسايان لتجد شهريار في رمقه الاخير .. يموت باحثاً عن القصاص ، عن مسؤولية عمله العابث .. وتحاول شهرزاد محاولتها الاخيرة معه .. تحاول ان تجعله يسيطر على اله وان يقف على قدميه متحديا .. ولكن كلمات شهريار الاخيرة تتردد .. [نيسان يزقزق في الحقل .. والدرب امامي مفتوح ساقوم .. سانهض ، الدرب يشير الي .. خذي بيدي ياشهرزاد . خذي بيدي ..] ثم يسقط ميتاً .

وتقف شهرزاد شاحبة جليلة رائعة امام جسد شهريار البارد تحاول ان ترثيه وان تلخص مأساته فتقول [أي باب خلته سدّ فحاولت له فتحاً فألفيت وراء الباب سدا ؟! لهف نفسي لك . للروح الذي ناء بثقل الندم .. بخطايا التي لم يأتها .. بقضاء لم يكن يدري لما

اختار ان يجعل منه هدفا.. لقد كان فينا.. كان في اضلاعنا ضلعاً مريضاً .. كان طفلا ، كان فكراً قلقاً ، كان خيالاً ضائعاً .. كان بريئاً] .

لقد استطاع الدكتور عمر النص في مسرحيته الاولى هذه ان يعطي ابعاداً جديدة لاسطورة قديمة حية وان يغير من وجهة النور فيجعلنا نرى في شهريار البطل الحقيقي لقصة شهرزاد واستطاع ان يحمله عبء مسؤولية ابطال القرن العشرين ، فاستمدت مسرحيته من هذا التفسير ثقلا ادبياً وفكريا هاما وجعلتنا نشعر بحق اننا امام كاتب مسرحي جديد يستطيع ان يقدم لمسرحنا السوري الطفل ثماراً ذهبية ذات طعم عجيب .



موسم الراعي الحزين

مجموعة من الشعر عدد صفحاتها (١٧٢) صفحة للشاعر **محمود ختام** من مطبوعات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر في بيروت

عرض وتحليل أحمد الجندي

منذ قديم الزمن عرف الناس نوعين من الشعر ، النوع المحافظ على الماضي والنوع الذي يحاول تغيير هذا الماضي وتلوينه وتبديل بعض معالمه او معالمه كلها: في صدر الاسلام وفي صدر الدولة العباسية وفي اعقاب حملة محمد علي في مصر ؛ وكذلك بعد الحرب العالمية الثانية . وهي الفترة التي نعيشها الآن .

ونعتقد أن هذه الفترة الجديدة هي اجرأ الفترات على التجديد واكثرها اقداماً على اجتياز الاشكال القديمة والتساهل فيها ومحاولة ازالتها تماماً ؛ فالمجدد الآن يحاول التخلص من الوزن حيناً ومن القافية حيناً آخر ، كما يحاول تطوير النحو واللغة كلها واخضاعها لمتطلبات العصر الحديث على حد قول بعض المجددين .

ولقد اهدانا الشاعر محمود ختام مجموعته الشعرية « موسم الراعي الحزين » فوجدنا فيه نغمة من هذا التجديد ، وبارقة من هذا التطور الحديث الذي

يشير الى الجرأة والى البسالة في تطوير القواعد واستعمال المصطلحات التي تروق للشاعر وقد لا تروق للمعجم او لأصحاب المعجم .

ولو اخذت بقراءة القصيدة الاولى من المجموعة « رقصوا حولي » لرأيت اول بادرة من بوادر الحرية الشعرية التي تتلخص في عدم التزام الوزن الواحد، في القصيدة الواحدة ، وفي تجنب وحدة القافية ، وانت حين تقرأ هذا الشعر تحس انك في بيئة جديدة لم تجدها عند الشعراء الذين درجوا قبل هذا الزمن ، وربما وجدت شيئاً من هذا الشعر في بعض المجلات الشعرية اللبنانية الحديثة او في المهجر : ولنقرأ القصيدة الاولى :

عبر جدار الصمت المحشو دخاناً
ورماداً اسود
عبر الليل النعسان
وعبر الاشياء وعبر الدرب المجهد
اسرعت ألبي عينيك
فبعينيك لحزني موعد

الذي نراه ان الوزن مضطرب في هذه الابيات وان كنت تلمح اثر القافية كل بيتين او ثلاثة : ولكنك تلمح – رغم ذلك – شعراً او احساساً شعرياً ، اذا شئت ، في قول صاحب المجموعة « والدرب المجهد » او في قوله الجميل « اسرعت ألبي عينيك ، فبعينيك لحزني موعد » فان هذا « الموعد الحزين » جميل وموفق .

ولكن الشاعر يبالغ في تجديده ويكثر من ترديد عبارات واحدة والفاظ واحدة بحيث يضيع القارىء ويضيع معه ادراكه لهذا الشعر ، كترديد كلمة « رقصوا » في الصفحة (١٢) . كأنه يلجأ الى اصطلاحات لا تقرها رقة الشعر وترفعه عن الالفاظ التي تستعمل في اغراض لا صلة للشعر بها مثل قوله : « وبصقت دموعي ودمائي » .

ولكن الشاعر في القصيدة الثانية « قالوا » ينتقل الى جو آخر ، فهو في هذه القصيدة يلتزم قافية واحدة ، وبحراً واحداً ، ولكن التعابير الشعرية الأخاذة

قليلة في هذه الابيات فباعدا قوله «وندفن ايامنا الماضيات» وقوله «وانت لروحي ناي الرعاة» ففيهما لمحة شعرية حساسة .

واكثر الشعر الموزون في هذه المجموعة من البحر المتقارب وقد احبه الشاعر لأن نغمته قريبة من النثر كما اعتقد، كما في قصائد: نداء، انطلاق حكايتي معها . كما تعثر فيها على بحر الرمل والخبب، وغير هذا من البحور القصيرة، أما البحور القديمة ذات الرنة الظاهرة من مثل الطويل والبسيط فلا تجد لها أثراً عند الشاعر، ولسنا نعترض على هذا فان الناظم حرٌ في أن يختار بحوره اذا هو اقر بضرورة المحافظة على الوزن محافظته على الموسيقى التي تجود الشعر وتحسنه وتجعل له وقعاً خاصاً في الاذن .

على ان الشاعر يلجأ احياناً الى تعابير غريبة عن الذوق الشعري كقوله :

وعادت تؤاكلني عبرات
وتهرش في قسوة شفتيّا

و «تؤاكلني» معناها «تأكل معي» وهذا مالم يقصده الشاعر كما نظن، وكذلك هذا الهراش فهو غير مستحسن في الشفاه التي لاتحتمله .

كما انه يخالف الوزن في هذا البيت فيكسره بقوله :

وأنتهُ دائماً يرتاح من لألاء اسناني

فالحطف في «أنتهُ» غير جائز وهو كسر . وقوله «يرتاح من» خطأ ايضاً والصحيح «يرتاح للشيء» فهو فعل متعد باللام .

على أن هذه الهنات الطفيفة الخفيفة لاتمنع ان تكون هذه المجموعة الشعرية دليلا على شاعرية صحيحة متأهبة لخوض معركة ناجحة في ميدان الشعر، وان يكون صاحبها ذا قلب شاعر حساس نتنبأ له بمستقبل فني مزهر .

- معرض نذير نبعة
- معرض الفنون التشكيلية الأمريكية الحديثة
- معرض الرسم والحفر الصيني

عرض وتحليل
غازي
الخالدي



لوحة
من اعمال
نذير نبعة

معرض نذير نبعة

صالة الصوان – دمشق

لايمكن النظر الى اعمال نذير نبعة من خلال المعرض الاخير الذي قدم فيه تجربته الجديدة دون ان نربط هذه التجربة بالتجارب التي سبقتها ، فمن خلال مجموعة اعمال له في عدة مراحل يمكن معرفة المقومات الاساسية لفنه.

ويمكن اعتبار لوحته « عمال السد » المرحلة الاولى التي لخص فيها تعاليم كلية الفنون عبر خمس سنوات .

شيء هام وضعه نذير في تلك المرحلة هو انه اعطى المتفرج احساساً خاصاً بجمال الطبيعة وجمال الانسان ، وجمال الآلة ، انه اضفى من احساسه الخاص احساساً مطابقاً تجاه هذه المعطيات فكان اكثر التصاقاً بها واكثر ايمانا بدورها في اعطاء القيم الجمالية للحياة كمضمون وكشكل .

اما اللون فقد كان من فصيلة واحدة ذات درجتين متفاوتتين بالتضاد ، وهذا ما جعل اللوحة تعيش في جو درامي مأساوي عنيف ، فبينما كان العمال غارقين باللون الداكن كان الجو حولهم فاقعاً ومكفهراً من خلال لون الصحراء . . والرمال والشمس .

أما مرحلته الثانية ، فانها تختلف عن الاولى بالنقاط التالية :

أولاً : وحدة اللون في كل اجزاء الصورة ، وهو اللون الازرق (معرض نذير الاول) .

ثانياً : التغير في مفهوم الشكل عند نذير ، حتى لنكاد نتصور ان الشكل وضع اولا ثم حدد الاطار الذي يشغل هذا الحيز من من المساحة ثانياً .

ثالثاً : حاول من خلال بعض المنطلقات النظرية في تاريخ الميثولوجيا ان يقول رأيه ببعض القصص الاسطورية القديمة المعروفة ، بصفته الانسان الذي يعيش في القرن العشرين . الا انه لم يكن يعاني حقيقة الاسطورة بقدر ما كان يعاني مشكلة التعبير عن الانسان من خلال مواقف متعددة .

رابعاً : انعكس هذا التناقض الفكري على عمله وادى الى اختلاف في التكنيك بين جزء وآخر من نفس اللوحة او بين لوحة واخرى من نفس الفكرة .

أما نقطة اللقاء الهامة في مرحلتيه – الاولى (عمال السد) والثانية (الفكرية) – فهي الطريقة التي ينظر فيها نذير الى الشكل ، والاسلوب الذي يبرز فيه الكتلة وعلاقتها بالطبيعة ، فالمنطلق لكلتا المرحلتين كان واحداً ، وهذا اهم عناصر التصوير الزيتي .

أما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة لم يطلع عليها جمهور دمشق بعد ، وهي مرحلة وسط بين الاحساسين وبين المرحلتين الاولى والثانية ، هذه المرحلة اسمها « اشجار الغرب » التي قام بعدة تجارب ومحاولات لها في دير الزور .

أما اللون فقد عاد الى طريقته الاولى في استخدام امكانية التضـــاد اللوني بين الفاتح والغامق. اما الحلول التشكيلية التي طرحها من خلال رؤى خاصة لجذوع الاشجار فهي ذات مدلول فكري معقد، يعتمد على تحوير الخطوط والتجاويف التي تبدو على سطح جذع الشجرة الى اشكال مختلفـــة مستوحاة من المصنع، والمعمل، والحديد، والآلة، ونفايات المعادن.

واخيراً مرحلته الجديدة..

ماعاد نذير يثيره التفكير الاسطوري، ولا عادت الكتل المعاربية محوراً لاعماله، وهو لايزال يهتم بعنصر الشكل من خـــلال الانسان بطريقتيه: التكتيل او التبسيط مع الشفافية.

بحثه التشكيلي عاد غير مرتبط بأبعاد المساحة التي امامه كلها. انما اقتصر على العنصر التفصيلي في الانسان الذي يرسمه في اللوحة كاستعماله خطوطاً متقاطعة، أو شفافية لونية او كتلاً مجزأة تتماشى مع التشريح العـــام للجسم، متجاوزاً النسب الطبيعية في كثير من الاحيان.

اما الحلول الجزئية فهي مي لم تتغير منذ مرحلته الثانية حتى الآن، في الوجه، في العين، في الايدي، في تقاطيع الجسم، في تحليل الملابس، في اللون العام المبسط، في جميع لوحاته الجديدة، لون موحد يكاد يكون واحداً في الجميع.

نذير يجرب، والتجربة جادة عنده، ويبدو أنه يتلمس طريقه شيئاً فشيئاً.

معرض الفنون التشكيلية الامريكية الحديثة

المتحف الوطني — دمشق

«الفن الحديث ملون، مباشر ومثير، لكي نستمتع به لاحاجة لنا بدراسة الفلسفة اومعرفة التاريخ، اوقدرةالتجريدوالحجز، تذوق بنفسك الخطوط والاشكال والالوان والحركات والنسب التي يقدمها لك الفنان، وتطلع اليها كدعوة لك لتحاول التعمق في ادراك العالم الذي تعيش فيه.»

من هذا المنطلق المبسطالفن الحديث، على رأي الدكتور جيمس كينغ، يمكن رؤية معرض الفن الامريكي المعاصر، والطريقة التي اختيرت فيها اللوحات تؤكد حقيقةهامة جداً، وهي ان الفن يناقش على هذا الاساس:

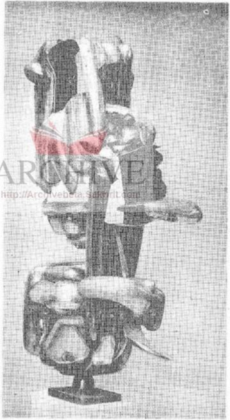
هل يعطي العمل الفني للانسان شيئاً.. ماذا يعطي له من احساس؟

ان اي عمـــل فني جاد يقدم كتجربة صادقة صادرة عن احساس عميق وفكر منظم وموهبة اصيلة يمكن ان يثير فينا احساساً لانتساء مدى العمر، قد يقترب

في بعض الاحيان من نفس الاحساس الذي كان يمارسه صاحبه اثناء تشكيله ، بصرف النظر عن الشكل او المضمون الذي يعبر عنه أو يدل عليه .

لاول وهلة يقف الانسان مشدوهاً متسائلاً امام تمثال (المعلم الكبير للفنان جاسون سيلي) .

– ماهذا ؟ ماذا يمكن ان يثير في الانسان من احساس ؟



تمثال معدني
(المعلم الكبير)
للفنان الأمريكي
جاسون سيلي

مجموعة قطع حديدية تستعمل في السيارات واقية للصدمات في مقدمة السيارة وفي مؤخرتها ، جمعها الفنان وجزأها ، شكل منها موضوعاً يكاد يكون اطرف واروع ما في المعرض ، فقد استطاع هذا الفنان ان يعطي لهذه الاشكال الحديدية الصماء احساساً مثيراً وغامضاً من خلال استغلاله لتفاصيلها ، ومن خلال وضعه بعضها فوق بعض باسلوب غريب يعتمد على الاثارة ، وعلى تنظيم ذكي جداً للفراغ الذي تشكله بمجموعها .

ليس المهم ماذا تشبه او ماذا تعني ؟ ولكن المهم كيف خلق من لا شيء شيئاً مثيراً ، شيئاً جميلاً ، شيئاً له قيمة !

ان مهمة الفنان هنا ان يعطي لـ (اللاشيء) قيمة لشيء !

اما في فن الحفر فيمكن اخذ اي عمل من الاعمال المعروضة كنموذج له مقوماته الخاصة ورؤيته الشخصية في طريقة فهم الاشكال وتعاملها مع بعضها ، وفي البحث عن العلاقات التي لا يمكن ان تنتهي بين الاشكال والفراغات التي تتركها بارتباطها مع بعضها ، وبالالوان التي تخلق الاشكال التي تحدد الالوان .

فلوحة (متأخر : لجوزيف البرز) تمثل ثلاثة مربعات ضمن بعضها ، توحد بينها علاقة الدرجة اللونية ، والمساحة المربعة ، وهي تعتمد على احساس حسابي دقيق بين المربع والمربع الذي يليه .

وفي التصوير يمكن اعتبار الشكل هو المقياس الاول والاخير للحس الانساني ، ويتحدد هذا الحس من خلال التعامل المباشر الذي يفرضه على المتفرج ، والشكل هنا ليس مقصوراً على صورة الانسان او الحيوان او الجماد ، انما هو مساحة لونية او بقعة او مجموعة خطوط . فلوحة ريتون باركر (بدون عنوان) هي تلخيص لكل هذا الكلام ، فهي عملية حساب دقيق لمجموعة من الالوان تنطبق عليها نظريات كثيرة في علم الالوان ، من توازن الى تضاد ، الى تكامل ، الى انسجام ، الى آخر ما هنالك من مشاكل اللون .

وأنا لا اميل الى التفسير الفكري والحضاري عند رؤية مثل هذه الاعمال الفنية التجريدية ، لأن التفسير الحضاري قد يوصلني الى نتيجة سطحية كما نرى في الفنون التوضيحية مثل لوحة (من حوض المتوسط) للفنان تيموكي هينسيي ، فهي على طريقة نقوش وزخارف قاش الاغباني السوري المعروف ، وتقليد مشوه له .

المعرض طريف ، ولكن المستويات فيه مختلفة جداً تتراوح بين الابداع والاصالة الحقيقية ، والنظرة العميقة الجديدة للمرئيات والاشكال ، وبين السطحية في الفهم ، والتقليد العادي للمدارس الاوربية الحديثة ، لدرجة الاستهتار في المعالجة .

معرض الرسم والحفر الصيني

المركز الثقافي العربي بدمشق

الفن لايمكن ان ينعزل عن الحياة ،والفنان لايمكنه الا ان يعيش العصر الذي هو فيه .. فالذي يعيش في قلب فييتنام لايمكنه الا ان يعيش مجزرة الدم .. ويعبر عن هذه المجزرة بالاستنكار إما عن طريق الكلمة أو عن طريق اللوحة أو عن طريق التمثال ! ولا نستغرب أبداً ان يتجمع عدد كبير من الفنانين الصينيين ليقولوا رأيهم في الحرب التي تستعر اوارها في فييتنام .

ومن الطبيعي في تجربة فنية مثل هذه ، أن تكون تجربة مبسطة مفهومة وذات لغة عادية لتقدم الى الناس جميعاً ولتفهم من قبل الجميع دون حاجة الى تعقيدات فلسفية أو حضارية أو تشكيلية !

هذا الفن سمي بالفن التوضيحي وهو فن مرتبط بالمناسبات ينتهي بانتهاء المناسبة ، لانه



الى الامام

لوحة من الفن الصيني المعاصر

يعبر عنها .. ولا يتضمن اكثر من تعبير عن لحظة معينة يقصد من عرضها اثارة العطف للقضية التي يدافع عنها الرسام ! فاللوحات التي من هذا النوع ترتبط بهدف واحد مشترك هو اثارة الجمهور ودعوته الى تبني القضية .. وما أن يثور الجمهور فعلاً ويبدأ بالدفاع الفعلي عن القضية ، حتى ينتهي دور هذه اللوحات وتعود دون أي مبرر لوجودها .

وهي نوع من الاعلان تؤكد الى اي مدى تمكن للغة الفن ان تكون عالمية وذات تأثير مباشر على الجماهير .

ويلاحظ في مثل هذه اللوحات الاعتماد على الحركة العنيفة للانسان ، والتأكيد على التشريح المبالغ ، والتركيز على اقسام معينة تبرز زاوية خاصة تخدم المعركة ، وتبالغ هذه اللوحات بالتعبير عن القسوة أو العنف أو الانتقام .. مستخدمة وسائل كثيرة للتأكيد على توضيح البيئة او المناسبة كالسلاح والمناظر والالبسة والوجوه التي تمثل شعباً معيناً دونما حاجة الى توضيح لملامح خاصة لكل فرد . فالتعبير هنا ليس فردياً وليس شخصياً .

وكلما كانت الحركات عنيفة ، والاوضاع غريبة ، كان تأثير الاعلان اقوى واطرف .

واللوحات المعروضة نجحت الى حد كبير في شرح القضية الفيتنامية وبالتعبير عن سخط الصين على هذه الحروب وبالتأكيد على رفاهية الشعب الصيني وعلى كفاحه المرير من اجل مستقبل أفضل . اما الأساليب الفنية المتبعة في هذه اللوحات فهي على طريقة الحفر او الطبع العادي وكلها ذات طابع صيني واضح .



- ديوان عروة بن الورد .. تحقيق عبد المعين الملوحي
- مئة قصيدة من روائع الشعر الحديث .. ترجمة سليمان العيسى ونادية الياس
- الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية .. للبطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث
- حبات زمرد .. الأدب العربي الحديث .. حكايات الف ليلة وليلة .. دراسات وطرائف شرقية .. لشفيق معلوف
- الموقع الستراتيجي العربي .. هيثم الكيلاني
- الاشتراكية في البلدان المتخلفة .. لمحمد الجندي

ديوان عروة بن الورد

أصدرت وزارة الثقافة في الحلقة الثانية عشرة من سلسلة إحياء التراث القديم (ديوان عروة بن الورد) في ١٥٠ صفحة . قام مدير التراث القديم عبد المعين الملوحي بتحقيق ديوان أبي الصعاليك عروة بن الورد حسب ثلاث نسخ مطبوعة منه: نسخة المطبعة الوهبية في مصر (١٢٩٣ هـ .) ونسخة المطبعة الاهلية في بيروت ونسخة مكتبة صادر في بيروت . وقد ذكر في طبعة وزارة الثقافة شرح الإمام يعقوب بن اسحق السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ .) لشعر عروة وما استدركته عليه المطبعة الاهلية . وذكر في الهامش شرح ابن السكيت للألفاظ والأبيات تحت كلمتي (ابن السكيت) ، ثم ذكر فيه شرح الألفاظ والأبيات التي أهملها ابن السكيت وأشير الى الشرح بحرف (ث) واستعين عليه بطبعتي بيروت . وضبط شكل النصوص

ضبطاً يكاد يكون كاملاً . وذكرت في آخر الديوان فهارس – تسهل الانتفاع به – بالأعلام والقبائل والاماكن والقصائد .

مئة قصيدة من روائع الشعر الحديث

أصدرت وزارة الثقافة كتاب (مئة قصيدة من روائع الشعر الحديث) في ٣٠٠ صفحة . وأخذت قصائده عن كتاب One Hundred Modern Poems للشاعر سيلدن رودمان Selden Rodman الذي اختار فيه قصائد منذ قرن مضى حتى يومنا هذا ،ومن الاتحاد السوفييتي شرقاً الى الولايات المتحدة غرباً . فهو يروي للرمزيين مثل الشاعر الفرنسي بول ڤاليري ، وللثوريين مثل رامبو ، وللمتدينين مثل الشاعر الألماني رنيه مارية رلكه ، وللمار كسيين مثل بريخت ، وللمتشبثين بالمهارة الفنية مثل الشاعر الانكلو أمريكي ت.س. إليوت ، وللهجائيين مثل الشاعر الانكليزي ستيفن سبندر ،وللشعراء الذين خرجوا من الحرب العالمية الثانية ناقمين على الحرب مثل أرشيبالدماك ليش،وللشعراء الذين اعتمدوا على ثورة الرمزيين اللغوية وعفوية السرياليين السحرية مثل دايلان توماس . اشترك في ترجمة القصائد الشاعر سليمان العيسى والأستاذة نادية الياس . راجع الترجمة الاستاذ زهير مصطفى . قدم للكتاب الشاعر سليمان العيسى بقصيدة الى شعراء الديوان عنوانها (سارقو النار) .

الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية

صدر لبطريرك أنطاكية وسائر المشرق أغناطيوس يعقوب الثالث كتاب (الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية)في ١٣٠ صفحة . وهو دراسة لمخطوطة سريانية ضخمة من القرن الثاني عشر . طولها ٣٩ سنتمتراً وعرضها ٢٩ سنتمتراً ، مكتوبة على الرق بالخط الاسطرنجيلي (وهو مرحلة بين الخطين السرياني والكوفي) والحبر الأسود عدا رؤوس المواضيع التي هي بالحبر الأحمر . وهي مبتورة ، وقد امحت الكتابة من بعض صفحاتها بتأثير الرطوبة . ونتيجة لتفككها في أوائل هذا القرن جعلت مجلدتين . بلغ عدد أوراق المجلدة الأولى ٣٠١ والمجلدة الثانية ٢٢٣ . عثر على هاتين المجلدتين في الخزانة المرقسية بالقدس ، وقد اهتم البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث بقصة في الصفحات ٤٢١ – ٤٢٥ من المجلدة الثانية عنوانها (قصة أي شهادة الطوباويين الحميريين الذين تكللوا في مدينة نجران) ، وقد استطاع أن يخلص من دراسته الى نتائج هامة نشرت تباعاً في المجلة البطريركية بدمشق ، وجمعت في هذا الكتاب مع صورة فوتوغرافية لكل من الصفحة ٤٢١ والصفحة ٤٢٢ من المجلدة الثانية ، مع فهرس بالأعلام .

حبات زمرد.. الأدب العربي الحديث.. حكايات ألف ليلة وليلة .. دراسات وطرائف شرقية

كان نادي القلم الدولي طلب من الشاعر المهجري شفيق معلوف إلقاء محاضرة عن (الأدب العربي الحديث) باللغة البرتغالية في جامعة سان باولو عام ١٩٦٠ ، ثم كتب الشاعر سنة ١٩٦١ مقدمة لأقاصيص (الف ليلة وليلة) التي ترجمها الى البرتغالية الأخوان سيسيليو وجورج كريزو . وجمعت وزارة الثقافة هاتين الدراستين في كتاب يقع في ١٦٥ صفحة . تلقي الدراسة الأولى نظرة على الأدب الحديث ، وأغراض الشكل والمحتوى فيه ، وتضرب على ذلك امثلة من الشعر العربي ، وبعد أن تتحدث عن الفوضى والثقافة في الأدب الحديث تبين لنا السبل التي نستطيع بها أن نفرض أدبنا الحديث . أما الدراسة الثانية فتهتم بجمال الأدب ونقده ، وتضرب أمثلة من أدب الفرس والهند ، وكيف صار الشخروب جزءاً من أدب نعيمة ، وتتحدث عن بلقيس ملكة سبأ وعن عبقرية ابن سينا .

الموقع الستراتيجي العربي

أصدرت وزارة الثقافة في الحلقة السادسة من سلسلة كتب قومية كتاب (الموقع الستراتيجي العربي) للعميد أركان حرب الجوي المتقاعد هيثم الكيلاني . يقع الكتاب في ٣٠٠ صفحة . ويبدأ بلمحة عن خصائص الوطن العربي وموقعه الجغرافي واوضاعه السياسية والعوامل المؤثرة في الموقع الجغرافي العربي . ثم يتحدث عن صفات الاقتصاد العربي والدعائم الاقتصادية للدولة الكبرى ، والطريق الى الوحدة الاقتصادية العربية . ويبين اهمية النفط العربي الاقتصادية ، ويشرح السياسة النفطية العربية ومكان النفط العربي في الستراتيجية العربية وأثره في مكانة الوطن العربي ودوره سلاحاً ستراتيجياً . ويعتبر الوطن العربي منطقة ستراتيجية واحدة ، ويكشف عن موقف الولايات المتحدة وبريطانية والستراتيجية والتكتيك الغربيين عامة من هذه المنطقة ، ومطامع ايران في الخليج العربي ، ويصور موقف الاتحاد السوفييتي من الوطن العربي . ويشرح الكتاب أسس الستراتيجية الاسرائيلية وأغراضها ، وأجهزة الدعاية الاسرائيلي ، ويعدد المشاكل التي يمكن أن تحدد لاسرائيل بدء الحرب . ويصف ملامح الستراتيجية العربية في تنظيمها العسكري وتكتيكها ودفاعها ودبلوماسيتها . ويختتم الكتاب بفصل عن الكيان الفلسطيني وقضية المصير .

الاشتراكية في البلدان المتخلفة

وأصدرت وزارة الثقافة في الحلقة السابعة من سلسلة (كتب قومية) كتاب (الاشتراكية في البلدان المتخلفة) للباحث الاجتماعي محمد الجندي . يقع الكتاب في ٢٦٥ صفحة

ويغلب عليه الطابع السياسي في معالجة القضايا الاشتراكية وسبل التعبئة الشعبية . فهو بعد ان يعرف البلدان المتخلفة ويحدد الهدف الاشتراكي ويعدد عوامل الانتاج وتضافرها ويشرح طرق التبادل وشروط تطور المشاريع ويبين اوضاع المصارف وماهية الاعتماد والاسناد المصرفية والنقد الورقي وتداول الاعتمادات المصرفية ، يتحدث عن تطوير الانتاج في البلدان المتخلفة وعن مفهوم الاشتراكية والتنظيم السياسي للدولة الاشتراكية وعن الاشتراكية العربية ،ويبين سبل الاشتراكية والمسؤولية الجماعية .



اخبار ثقافية

• عقدت في المركز الثقافي العربي بدمشق حلقة بحوث ودراسات حول أسس التخطيط في البلدان النامية ذات الاتجاه الاشتراكي، وواقع التخطيط في سورية وكيف يمكن تطويره وتقييمه . اشترك في الحلقة الدكتور عبد الوهاب خياطة الأمين العام لوزارة التخطيط ، والدكتور محمد العمادي الأمين العام المساعد للتخطيط ، والمهندس عبدالمنعم علاف الأمين العام المساعد للدراسات في وزارة التخطيط ، والدكتور فؤاد دهمان رئيس قسم الاقتصاد في جامعة دمشق ، والدكتور هشام متولي رئيس دائرة الدراسات والمراجع في مصرف سورية المركزي ، والدكتور شفيق الأخرس رئيس تحرير مجلة الاقتصادي العربي ، والدكتور صلاح دعبول رئيس الدائرة الاقتصادية في وزارة المالية، والدكتور احمد رجائي مدير المؤسسة التعاونية الاستهلاكية ، ومدير مالية دمشق رفيق الاختيار ، والدكاترة مفيد حلمي وأديب ابو عسلي وسليم ياسين والمهندس باليث .

• وفي نفس المركز ألقى مدير المسرح القومي في الجزائر مصطفى الكاتب محاضرة عن نهضة المسرح العربي . وافتتح المعرض الصيفي للحفر والرسوم التوجيهية . وألقت الطبيبة الألمانية شفنسكي فويجت محاضرة باللغة الانكليزية عن حماية الصحة العامة والمناخ الطبي في جمهورية ألمانية الديموقراطية . وعرضت ه أفلام ثقافية أمريكية .

• أحيت فرقة رباعي أوبرا برلين حفلتين موسيقيتين في صالة الحمراء بدمشق ، تحت رعاية وزارة الثقافة .

• يصدر في النجف الأشرف كتاب عن الشاعر العراقي المرحوم (علي الشرقي) .

• أصدرت الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية في الكاظمية في العراق ، مجلة فكرية شهرية باسم (البلاغ) .

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجور البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى ان يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي – دمشق – مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور . والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشأن التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب .

جولة الشهر

مع بريد المعرفة

لفؤاد الشايب

حول جولة الشهر

في بريد (المعرفة) رسالة من قارىء صديق يأخذ فيها علي توقفي عند آخر حلقة من حلقات (التخطيط الديموقراطي) وكان يجب أن يختتم بها بحث الخطة الفرنسية .

وهذا القصور أخذته على نفسي ،قبل أن يفعل القراء ، فاذا سمح لي الاصدقاء وسمحت لنفسي ان اتحدث عن شأن خاص بجولات الشهر ، كان علي أن أسمح لبعض الأصدقاء ظنهم بأن الحلقات الأخيرة من بحث التخطيط الديموقراطي كانت ختام البحوث، والحلقات معاً.

والواقع أنني بعد ما انهيت دراسة مقارنة للأفكار السياسية وراء انظمة الحكم السائدة في الدول الديموقراطية والاشتراكية الكبرى وفي بعض الدول الآسيوية والافريقية ، وكوبا ، كان علي أن اضع الخاتمة بنظرة عامة الى تطور الفكر السياسي في العالم الثالث ، وفي

الوطن العربي كجزء من هذا العالم الجديد . أما لماذا استأنفت البحث — عوداً على بدء — في التخطيط على الطريقة الديموقراطية ، فلأنني وجدت بعد استعراض اكثر من ستمائة صفحة كتبتها خلال اربعة اعوام ، أن موضوعي الذي اعالجه تحت عنوان **(تجارب الشعوب في ممارسة الديموقراطية والاشتراكية والتخطيط)** انما تشطره ثغرة لامناص من ملئها ، بدراسة ارقى نماذج التخطيط الديموقراطي الحديث ، ماثلاً في الخطة الفرنسية ، بعد أن أفردت للخطة السوفيتية من قبل وفي مطلع الجولات ، حلقات ثلاثاً ، لرصد حركتها ، وتحليل الفكرة السياسية والاقتصادية التي تسودها كأضخم نموذج للخطة الاشتراكية . وبهذا يستطيع القارىء أن يحيط بنماذج التخطيط ، وبالأفكار التي ترابط وراء الانظمة السياسية والاقتصادية المختلفة ، في حركتها المعاصرة الراهنة .

وعندما توقفت قبل الحلقة الأخيرة من بحث التخطيط الفرنسي — وهو بحث متصل بأوائل الحلقات لا بآخرها — فقد كان في تصميمي أن اعيد النظر في حصاد هذه الأعوام الأربعة ، لاؤلف منه كتاباً بالعنوان الذي ذكرت ، وكان علي أن اراجع عدة فصول من الكتاب بالاضافة والتنقيح لاسيما وقد حدثت تطورات ضخمة في الحاليات السياسية الدولية ، أهمها احداث الاتحاد السوفيتي ، واندونسيا ، وغانا ، وكوبا . فقد كنت خصصت الاتجاه الخروشوفي في سياسة التنظيم والتخطيط بعناية كبيرة ، لما لهذا الاتجاه من حافز فكري مرابط وراء العمل السياسي . وكان علي بعد سقوط خروشوف أن ادرس الظاهرة الجديدة وعلتها معاً . هل زال الخروشوف ام الخروشوفية ؟!

كذلك اسهبت في حديث الجولات عن اندونسيا ، عبر الأفكار التي سادت نظام حكمها ، وهي افكار الرئيس

سوكارنو ورفاقه على الغالب ، ثم جدّ ما انزل هذه الأفكار عن كراسيها ، كأنها لم تكن ذات يوم وراء دفة الحكم ، وادارة النظام ، وارادة الملايين ؟!

واستدركت ان ما كتبته عن اندونيسيا منذ عامين ، يجب أن يوضح بما حدث منذ أشهر ، تحقيقاً لهدف البحث في رصد التيارات الفكرية وراء الأحداث السياسية .

وما قلته في الخروشوفية ، والسوكارنية ، يصح قوله في النكرومية أيضاً . فقد بحثت (الاشتراكية الافريقية) في غانا خلال جولات شهرية ثلاث ، وكانت افكار الرئيس نكروما في تنظيم دولة افريقية راقية ، مصدراً رئيسياً لبحوثي ، لأهميتها من جهة التكوين الثقافي السياسي في افريقية الجديدة ، ومن جهة الاحتكاك بالكتلة العالمية الخارجية ، سياسياً وثقافياً . ثم قد مُسح الرئيس نكروما من لوح غانا ، بين صباح ومساء ، فخيل الى الكثيرين أن نكروما لم يكن سوى منشيء مقالات وحيد في قومه ، وأن ليس لأفكاره أية جذور في ارضه وبين اهله وقومه . اصحيح هذا ؟! ان الجواب عن السؤال يلزم بعودة الى ما سبق ان كتبته عن النكرومية ، لاضافة السؤال الجديد : هل ذهب نكروما .. حقاً من افريقية ؟! فاذا لم اضف هذا الى حلقاتي ، فكيف أزعم انني ارصد الفكر السياسي العالمي في حركته عبر السنوات العشرين الأخيرة ؟! وهكذا ..

ولما قد كنت من أن نفّس مشروع كتابي هذا سطول باضافاته ، عزمت على أن اترك امره بيني وبين جدران مشاغلي الخاصة ، وأوقف سلسلة (تجارب الشعوب) في المعرفة وادخل مع الاصدقاء والقراء في سلسلة من الجولات ، كنت أعدّ لها منذ أشهر ، **حول التيارات الجديدة في الأدب والفن ، عبر العشرين سنة الأخيرة** . وجاءت طلائع الحلقات الجديدة تختلط مطالعاتها باواخر الحلقات القديمة ، وتحدث في ذهن الكاتب ونفسه

مايشبه الاختلاط ، والارتباك والتشتت ، وكان لزاماً عليه أن يقيم جدار صمت زمني... ثم يخرج بهدوء وصفاء الى منطلقه الجديد .

أرجو أن يكون ماذكرت ــ باختصار شاق ــ عذراً ، او بينة كالعذر .

رجاء .. وليس وعداً

ان الاقدام على سلسلة من احاديث حول التيارات الجديدة في الابداع الأدبي والفني لفترة مابعد الحرب الثانية حتى الآن ، ليس مغامرة يسيرة . فقد فرضت ان المتصدي لهذه المحاولة عليه أن يطالع نحواً من عشرين الى ثلاثين كتاباً عالمياً باللغات الاجنبية ، حتى يتاح له أن يغطي مساحات هذه التيارات. وقد سبق ان طالعت خلال اربع سنوات اكثر من سبعين مرجعاً رئيسياً في علوم السياسة والاقتصاد والتاريخ . وكنت مع ذلك أرى نفسي ، عاماً بعد عام ، واثر صدور كتب جديدة في الموضوع ، دون معاصرة التيارات الفكرية ومتابعتها. وأرجو ألا يحسب ما أرويه تفاخراً ، بل اقراراً بالقصور .

على أن وقوعي منذ اربعة اشهر على كتيب فرنسي ، يجمع حوارات نخبة من رجال الفكر اليساري ، بينهم سارتر ودوبوفوار ، حول موضوع سلطان الأدب؟ que peut la literature حفزني الى بدء حلقات جديدة في التيارات الأدبية مع قراء (المعرفة) .ولست هنا الأعرّف بقيمة هذا الكتاب ، وحسبي الاشارة الى ان معظم المشتركين في هذا الحوار الفكري حول سلطة الأدب ، وتأثيره في التاريخ ، والجمهور ، تأثيراً دائماً أم عابراً رأوا انفسهم مسوقين الى طرح السؤال البسيط العتيق : ماهو الأدب؟ ! وطفقت التعريفات تتوارد بطرافة ، وسعة ، وعمق ، وانشاء ثقافي جديد ، مما وضع في ذهني صورة لحركة التيارات المعاصرة في عمليات الابداع الأدبي والفني ، وطفق يرشدني الى المراجع المؤلفة في الموضوع

وقد أخذ بعضها يدل على البعض الآخر، في تداع لايمكن أن يحصر في عشرين او ثلاثين مرجعاً.

بهذا طفقت أجمع، واراجع، وأخطط للسلسلة الجديدة منذ اربعة اشهر. وكان علي أن اتهيب المغامرة، وأعد لها اعداداً حسنا. فاذا تساقت الرغبة وظروف العمل – وكل يوم يختلف عن امسه – تيسر لرجائي ان يصبح وعداً أمام القراء، والا فالرياح في قطب والسفن راكدة في قطب آخر.

ومادمنا في حديث الأدب وسلطانه، فمن التداعي ان اقول بأن القوم الذي لايتاح معه ان يكون لأديب سلطة على نفسه، لن يكون ذا سلطان في مجتمعه وجمهوره.

اننا نقاوم احياناً، في سبيل هذه السلطة، ومن اجل سيادة الفكر، وليس من أجل سيادة المفكر بالذات، وتذهب المقاومة عبثا، لأن ادباء العصر، جماعة ولدت على صهوات التيارات الجامحة.

وكثيراً ماتجد هذه الجماعة نفسها أمام اختيارين: إما مسيرة التيار، أو الخروج عنها الى الهامش البلقع. وليس ثمة من يختار الموت وأداً، حتى يائس من الحياة. دع عنك أن التيار لن يعدم سبباً ينفخ به النشوة في صدور المنجرفين، على انهم اسرع القذائف نحو اعظم الاهداف. وشعور المثقف بأنه احياناً، قذيفة انتحارية، يمنحه بعض تعويض السعادة.

ثم إن الأديب لايطيق قرار السفوح وهو بطبيعته قرد عليها. وان تكن التيارات تحطمه، فليس هو من ينشد السلامة في ركود المستنقعات.

في الثقافة والحضارة

ليس جديداً بحث الثقافة والحضارة، بالمقارنة بينهما ولست هنا لأقتحم البحث في زاوية على هامش. انما اخترت العنوان لأشير الى نكهة انشائية لذيذة، في معالجة يطرحها باحث عالم، وانسان مؤمن، معاً. ففي البريد هدية لي من الدكتور محمد يوسف، الاستاذ في جامعة

كراتشي : كتيب بخمسين صفحة باللغة الانكليزية تحت عنوان : (بعض وجوه من الثقافة الاسلامية) وقد شاقني وأثار فضولي ، أن الموضوع جليل ، والصفحات معدودات ، حتى ليبادر في الظن للوهلة الأولى أن الباحث يعبث بالعناوين الضخمة ، كما هي عادة بعض المتطاولين . وما لبثت بعد قليل أن ادركت أن صاحب هذه الصفحات القليلة صانع افكار ماهر ، يستطيع ان يضغط الغذاء الكبير في حبوب صغيرة ، كصانع الفيتامينات . فوجب علي في البدء ، الاعتذار للدائه عن جهلي وجموح ظني .

في تحديد مفهومي الثقافة والحضارة ، يلجأ هذا المثقف المسلم إلى أبسط الشواهد وانصعها ليبرز فارق الثقافة عن الحضارة . وهو فارق يجب ألا تحجبه عنا كبرياء أو أحكام مسبقة . إن الفارق قد اوضحه أحد من أغاظهم ذات يوم اتاتورك عندما توهم أن تجديد شعب انما يتم بفرض الشروط الحضارية المعاصرة عليه دونما اعتبار للتكوين الثقافي . وقد قال هذا الناقد الساخر ، ان الزعيم التركي قد اختار غطاء رأس لشعبه ، ولكن المهم ليس (الغطاء) بل (الرأس) .

ويمضي الدكتور يوسف فيقول أن الثقافة هي خاصة من خواص العقل . انها محصول رؤية الانسان للكون ، ولمكانه فيه ، ووجهات نظره في هدف الحياة ، ومفاهيمه عن السعادة والحزن ، وسلوكه في الشدة والرخاء ، ومواقفه تجاه مشاكل الحياة اليومية ووقائعها . وعندما يقول (إقبال) معرفاً المسلم (انه ابتسامة على الشفتين ساعة الموت) فليس لما يقول علاقة ، بالعمة او الطربوش أو القبعة ، مما شغل به اتاتورك . ان تلك المواقف ، وأنماط السلوك ، التي يقابل بها الانسان المسلم ، كونه وعالمه واحداث يومه ، إنما تنبع من تحقيق بعض القيم الأساسية ، التي يأتي تحقيقها عبر جهود العقل . وحالما يصبح

هذا التحقيق جلياً فوق كل ريب، وصلباً إلى حد تحمل الارتجاج من أية قوة مضادة، يدعى عندئذ (قناعة) وايماناً. وينتج عن هذا ان الايمان الصادر عن (تمذهب) بحيث لا يستند إلى أي مجهود فكري انما هو اهانة لكرامة الانسان، ولا يتعدى كونه شكلاً من السحر والعرافة.

استمر في الترجمة والتلخيص:

هذا هو على الأقل، نظر الاسلام، وموقفه من القيم الأساسية، ومظاهر الحضارة الخارجية. إنه يؤكد على إنماء بعض القيم الأساسية في عقول اتباعه، وعلى التعبير عنها في خلقهم وحياتهم اليومية. ويترك ماعدا ذلك الى المقام المناسب، والذوق وحرية الاختيار. أي أن مكاسب الحضارة المادية مرهونة بالنمو التاريخي، ويجب أن تتبدل وتتنامى، وفق مايقضي به تقدم العلوم والفنون وتبدلات الظروف المعاشة المادية.

وبهذا، يضع الدكتور يوسف منطلقي بحثه الموجز في تعريف الثقافة الاسلامية، على انها ثقافة عقل ووعي وايمان. وعلى ان الاسلام غير منغلق على مستطرفات الحضارة ومستحدثاتها.

ولكن كيف نأخذ بأسباب هذه الحضارة. وما هو سلوكنا في الأخذ والاقتباس ؟! إن الذين يصدرون في الاقتباس والاكتساب عن عقدة نقص في نفوسهم كأن يتزلفوا الى سلطان قادر، أو ادارة توزع الارزاق، أو يقسروا أنفسهم على نسخ مظاهر من يقلدونهم، فقد دمغهم نبي الاسلام بأنهم خرجوا على الجماعة، ويجب أن ينظر إليهم كأنهم من زمرة القوم الذين يقلدون.

ومايقال في الاقبال المتهافت على التقليد، يقال في الاحجام والانكماش، من حيث صدور كل منها عن شعور بالنقص. اذ يبدو الانكماش احياناً في حساسية رهيبة، ومقاومة عنيدة مكابرة، سرعان ماتتحجر في قالب القناعة الثابتة، وتقف عثرة في وجه التبادل الحر ومكاسب الجنس البشري المشتركة.

ان الاسلام ينكر الدعوة الغاندية الى عدم التعاون — مثلاً — عندما تصبح الدعوة قعوداً وحروناً وانغلاقاً معمى. فالآخذون بالدعوة ينصرفون عن الملاعق الى الأكل بايديهم، وعن الكراسي، لينبطحوا على الارض، وعن اللبـــاس فيتعرون من ثيابهم واحذيتهم، ولكنهم لاينكرون الدعوة الى العصيان اذ يتلونها بمكبرات الصوت، وينقلون مناشيرها بالسيارات والقطارات، وكلها مأخوذ عن الأجنبي الذي يقاطعونه. فالاسلام عوضاً عن هذه الدعوات السلبية البدائية، يقدم بكل شجاعة وصراحة، ووعي، على كل جديد في العلم والفن، والصناعة والتقنيات المدنية، دون أن تصده عنها كبرياء مزورة، أو احتقار جاهل لمنجزات هذه المستحدثات. هكذا أقبل العرب — بالإسلام — على الأخذ والاقتباس عن الشعوب الأخرى المعاصرة، بالتقدير والعرفان، سواء في ذلك، الشعوب الـــتي قبلت الاسلام ودخلت فيه، أو الشعوب التي لم تدخل فيه، وحتى تلك التي وقفت معادية له. وكل طموحهم أن يصبحوا قادرين على اسداء مساهمة قيمة في اغناء علوم الجنس البشري وحضارته.

ان آثار العلم والحضارة، مكتسبات (تجميعية) Cumulative — وهي بهذا ليست ملكاً لأي فرد، او لأي شعب. كل المكتشفات والاختراعات بما فيها الأسرار المكنونة للطاقة الذرية، مفترض ان تؤول الى ملكية الجنس البشري عامة، مع تقادم الزمن، تماماً كما آلت النار الى ملكية البشر اجمعين. بينما أن الثقافة، في الجهة المقـــابلة، ليست (تجميعية). وعلى ناشديها أن يظفروا بها بلا انقطاع، جيلاً بعد جيل، عبر الارادة والجهد الواعي. وهي لا تتقدم تلقائياً، والزامياً، مع التقدم الحضاري، ومن هنا نلاحظ قيام ثقافة قديمة، بحضارة ضئيلة الشأن من جهة، وقيام ثقافة صغيرة، بحضارة مزدهرة من جهة اخرى. وهي ظواهر مشهودة في العوالم القديمة، والعوالم

الجديدة على السواء . وان هذا البون الحاجز بين الثقافة والحضارة ، بين الموقف الأخلاقي ، والمنجزات المادية مسؤول عن ازمات العالم وفواجعه ، وبخاصة عالمنا المعاصر .

ان الدكتور محمد يوسف ، في كتابه الصغير لايجترح جديداً ، ولا يحاول فلسفة او تعقيداً في حل قضايا الترابط الفكري - كما هو شأن بعض المتطاولين - انه مثقف مسلم معاصر ، يكتب في الاسلام كنظام ثورة اجتماعية، وكعقيدة منبعها العقل ، ويحاول ان ينقل بمنطق نير واضح جذاب، افكاره كمسلم مثقف، الى جمهور واسع من قراء اللغة الانكليزية في العالم . فيسدي الى الثقافة الانسانية معروفاً جميلا ، ويضيف الى المجهود الفكري الواسع في هذا الميدان ، فضلا مقدوراً مشكوراً .

حبذا لو اتيح لي أن اعود مرة ثانية الى صفحاته الرائعة ، مع قراء المعرفة . ومن شاء مزيداً من هذه الصفحات الغنية، فليراجع مكتبة المجلة .

مأساة ادبائنا في المهاجر

تلقى رئيس التحرير في بريد الاسبوع الاول من تشرين الاول ، رسالة من صديقه المغترب في سان باولو البرازيل الأديب الاستاذ نخلة ورد ، ينعي له فيها الكاتب الباحث توفيق ضعون ، احد رواد النهضة الأدبية في المهاجر ، وقد اودت بحياة الكاتب الرائد المرحوم ضعون حادثة سيارة جانية ، إثر إصابة قاتلة في الرأس لم تمهله الا بقدر ماتمهل الريح ضوء شمعة في مهب الرياح .

ويقول الاستاذ نخلة في رسالته التي ينعي فيها الأديب الرائد، صديق (المعرفة) ، ان الاصابة الجانية هي الحادثة الثانية من نوعها ، خلال عام ، وكانت اصابة سيارة قد اودت منذ شهور بحياة الأديب جورج حسون المعلوف ، فشق نعيه على الجالية العربية في المهاجر ، وكان المرحوم ضعون ممتلئين نشاطاً وحيوية ، ومشاريع ادبية جديدة لاتزيدها ايام الشيخوخة إلا صفاء

ومضاء . وقد نشرت (المعرفة) يومئذ رثاء شاعرنا الكبير فرحات في حسون الأديب الذي كان اول من قدم دواوين صديقه الى قراء العربية ، وكان له على الشاعر فضل المشجع والمرشد والرفيق الصديق .

انني اذكر هنا ، بكل اعتزاز وتقدير مراسلات صديق المعرفة ، الاستاذ نخله ورد ، وذكره مشاريع المرحوم توفيق ضعون في رسائله ، وما يتمتع به من مكانة فكرية مرموقة . وقد ارسل لنا الاستاذ ورد في بريد سابق حوار مقابلة للمعرفة مع المرحوم ضعون ، لم يتيسر لنا نشرها في هذا الجزء . وإنه ليشق علينا أن تكون هذه المقابلة التي سننشرها في العدد القادم ، آخر كلماته واحاديثه ، وسيكون الحديث معه ، حواراً مع روحه الخالدة وجولة في مدى انواره التي لاتنطفىء .

موسى كريم ـ الطائر

موسى كريم صاحب مجلة (الشرق – اوريانته) الصادرة في سان باولو البرازيل ، من مغتربينا الذين لايغنيهم الحنين الى الوطن عن معانقته ومصافحته وجهاً لوجه ويداً بيد . فهو يقدم كل عام اكثر من مرة ، الى وطنه زائراً طائراً ، مرة مع وفد رسمي ومرة بدعوة ، وثالثة بزيارة خاصة . وقد يسرت له صحافته الناجحة ان يستعيض عن (الحنين) باللقاء ، فكان اكثر مغتربينا حظاً . وانه لجدير بأحسن الحظوظ . ولعل أحسن حظوظه ماوفقه به الله من خدمة بلاده وامته في مجلته (الشرق) – وعمرها اربعون سنة من مجموع سنوات الاستاذ كريم – سبعون – امد الله بحياته .

وقد زار الاستاذ كريم مجلة المعرفة المرة الأخيرة منذشهر – ايلول ١٩٦٦ – قادماً بمهمة لزيارة معرض دمشق الدولي ، والاطلاع على معالم النهضة في بلاده ، وعلى علاقات سورية الدولية في ميادين التجارة والاقتصاد . وقبل اشهر لاتتجاوز الثلاثة ، كان الاستاذ كريم زائراً في دمشق ، مع

الوفد الاقتصادي البرازيلي الذي جاء ليدرس توثيق العلاقات الاقتصادية بين سورية والبرازيل .

ورئيس التحرير الذي يغبطه ، ان يستقبل صديقه الكبير الاستاذ موسى كريم ، مرتين او ثلاثاً كل عام ، قادماً الى الوطن بمهمة قومية او ثقافية ، يغتنم آخر هذه الفرص ، ليرسل الى الاستاذ كريم بتحية جمع غفير من الأدباء والمثقفين الذين يشتركون معنا في تقدير مواهب الكاتب والمؤلف والصحافي ، وعلى الأخص (سبعونه) الرائعة الحافلة بالجد والدأب والنضال ، وخدمة موطنه السوري ، وامته العربية .

رسالة صديق من القاهرة

وعدنا صديقنا الدكتور محمود علي مكي ، الذي عرفه قراء المعرفة من بحوثه حول أدب أمريكا اللاتينية ، بأن يخص المعرفة ببحث عن النشاط الصهيوني في الارجنتين كجزء من مجموعة دراسات عن الموقف العربي في دول امريكا اللاتينية . ولعل قراء (المعرفة) يذكرون ان التحرير وعد أن يبذل جهداً جديداً لاصدار جزء آخر من المجلة في موضوع (القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية) . وقد فاتتنا مجموعة بحوث هامة وعد بتقديمها اصدقاؤنا ، من بينها بحث الدكتور مكي . وبارتقاب بحث الدكتور مكي ، نرجو أن يتاح لتحرير المعرفة في وقت قريب تنفيذ مشروعه باصدار جزء ثان من المجلة في قضيتنا القومية .

الى كاتب مسرحي

الى مرسل مسرحية (القطة) لنشرها في المعرفة ، اقول دون ذكر اسمه ، انني لا اكاد اميز في احيان كثيرة بين ادب الهذيان وأدب اللامعقول أو بين طرش الألوان بيد طفل .. وفن التجريد . لهذا ، فان المجلة تفضل ان تنشر ادباً لامعقولاً ، لأديب عرفنا له باعه في المعقول ، ولفنان ابدع في الشكل ، قبل أن يبرز في فن اللاشكل .

ياصديقي الناشىء ! لماذا تبدأ من النهاية ؟ !

الاعلان في (المعرفة)

اعتمدت لجنة الادارة والتحرير اعتباراً من مطلع عام ١٩٦٦ تعرفة نشر الاعلانات في المجلة على النحو التالي الذي قرره مجلس ادارة المؤسسة العربية للاعلان :

	لمرة واحدة
صفحة كاملة من الصفحات الاولى او الاخيرة	٢٠٠ ل.س
نصف صفحة من الصفحات الاولى او الاخيرة	١٢٥ ل.س
صفحة كاملة من الصفحات الداخلية	١٥٠ ل.س
نصف صفحة من الصفحات الداخلية	٧٥ ل.س
الغلاف الخارجي (ابيض واسود)	٣٢٠ ل.س
الغلاف الخارجي بلونين	٤٠٠ ل.س
باطن الغلاف (ابيض واسود)	٢٥٠ ل.س

توزع مجلة (المعرفة) على نطاق عربي واسع يشمل جميع البلاد العربية في المشرق والمغرب.